

كتاب
الضياء الشارق
في رد شبهات المارق

تأليف
المعلم المصلح، والأستاذ الفاضل
الشيخ محمد بن محمد
من علماء نجد الأعلام
رحمه الله تعالى
أسبق

طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الثقة والعصبة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الاولين والآخرين ، وقيوم
السموات والأرضين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين ، وأمام
المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم
بإحسان الى يوم الدين .

﴿ أما بعد ﴾ فاني قد وقفت على رسالة مطبوعة مؤلفها رجل من العراق
يقال له جميل افندي صدق الزهاوى ، جمع فيها من الأكاذيب والترهات ،
والاضاليل المنكرات مع ما اشتمل عليه كلامه من الفجور ، وقول الزور ،
والتجافف للآثم والعدوان ، وصريح الافك والبهتان ، ما يمج سماعه أولو العقول
السليمة ، والألباب الزاكية المستقيمة ، وسلك فيها مسلك أهل الغي والضلال ،
واعتمد فيما يحكيه على ما هو من أحل المحال ، وأوخم الاتحال ، واتبع فيها
اهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، حيث
لم يتمسكوا من الكتاب والسنة بأوضح برهان وأقوم دليل ، ولم يردوا من
حوضهما السلسيل ، بل عدلوا الى آسن قلوّط أهل الفلسفة والتجهيل والتبديل ،
وحادوا فيها عن منهج أهل الحق والصدق والعدل والانصاف ، وساروا على
طريقة أهل الغي والكذب والانحراف ، وقد قال تعالى (ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساءت مصيراً) فان الله تعالى قد بين الحق بيانا كافياً شافياً ، وأرسل

رسوله محمدآ الى الخلق بالحق مبشرا ونذيرا وداعيا ، ونصب الأدلة وأوضح
 المحجة ، فلم يبق للناس على الله بعد الرسل من حجة ، فن أجاب داعي الله فقد نجا ،
 ومن تولى عن الحق معرضاً أفضى به عوجا ، فلما نكب هذا الرجل عن طريقة
 أهل الحق والتحقيق ، ولجأ فيما ينتحله ويحكىه إلى ركن غير وثيق ، استعنت الله
 على رد أباطيله ، وتهجين أضاليله وأساطيله ، على سبيل الاختصار والاقتصار
 وتركت من كلامه مالا طائل في الجواب عنه ، والله المستول المرجو الإجابة ،
 أن يمدنا بالإصابة ، وأن يجزل لنا الأجر والإثابة ، وأن يجعله لوجهه خالصاً ،
 وأن ينفع به من قرأه ونظر فيه ، وأن يقمع به صاحب الباطل ومبتغيه .

فصل

قال العراقي :

الوهابية ومنسؤها

الوهابية فرقة منسوبة إلى محمد بن عبد الوهاب ، وإبتداء ظهور محمد بن
 عبد الوهاب كان سنة ١١٤٣ ولما اشتهر أمره بعد الحسين ، فأظهر عقيدته
 الزائفة في نجد ، وساعده على إظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلة
 الكذاب فخر أهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا فتابعوه ، وما زال ينخدع
 له في هذا الأمر حتى بعد حى من أحياء العرب حتى عمت فتنه ، وكبرت شهرته ،
 واستفحل أمره تخافه البادية ، وكان يقول للناس : ما أدعوكم إلا الى التوحيد ،
 وترك الشرك بالله تعالى في عبادته ، وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع
 له الملك .

فالجواب ، ومن الله أستمد الصواب ، أن نقول :

أما منشأ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وظهورها في نجد ،
 فمن المعلوم عند الخاص والعام أنه قد نشأ في أناس قد اندرست فيهم معالم الدين ،
 ووقع فيهم من الشرك والبدع ماعم وطم في كثير من البلاد ، الا بقايا متمسكين
 بالدين يعلمهم الله تعالى ، وأما الأكثرون فعاد المعروف بينهم منكراً ، والمنكر

معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ،
 ففتح الله بصيرة شيخ الاسلام بتوحيد الله الذى بعث الله به رسله وأنبياؤه ،
 فعرف الناس ما فى كتاب ربهم من أدلة توحيده الذى خلقهم له ، وما حرم الله
 عليهم من الشرك الذى لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، فقال لهم كما قاله المرسلون
 لأنهم (أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) فحجب كثيراً منهم عن قبول هذه
 الدعوة ما اعتادوه ، ونشأوا عليه من الشرك والبدع فصبوا العداوة لمن دعاهم
 الى توحيد ربهم وطاعته ، ولمن استجاب له وقبل دعوته ، وأصغى الى حجج
 الله وبياناته ، كحال من خلا من أعداء الرسل كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل
 نبي عداء من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) وقال تعالى (وكذلك جعلنا
 لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
 غروراً) .

• فاذا تمهد هذا فلنذكر هنا شيئاً يسيراً من حال نشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
 التميمي رحمه الله وظهوره ودعوته الى الله ، ليعلم الطالب ، ويتحقق الراحب ،
 حقيقة ما دعا اليه هذا الإمام ، وما كان عليه من الاعتقاد والفهم التام ، ويتبين
 للناظر فيها ما بهت به الأعداء من الأكاذيب والافتراء ، التي يرومون بها تنفير
 الناس عن المحجة والسبيل ، وكتمان البرهان والدليل ، وقد كثر أعداؤه
 ومنازعوه ، وفشا البهت منهم فيما قالوه ونقلوه ، فربما اشتبه على طالب الانصاف
 والتحقيق ، والتبس عليه واضع المنهج والطريق ، بما موهوبه من تلك الأكاذيب
 الشنيعة ، والألقاب الداحضة الوضيعة ، وأن من استصحب الأصول الشرعية
 وجرى على القوانين المرضية ، عرف أن لكل نعمة حاسداً ، ولكل حق
 جاحداً ، ولا يقبل في نقل الأقوال والاحكام ، الا العدول للثقات الضابطون
 من الانام ، ومن استصحب هذا استراح عن البحث فيما ينقل اليه ويسمع ،
 ولم يلتفت الى أكثر ما يختلف ويصنع ، وكان من أمره على منهاج واضح
 وشرع .

فصل

كان مولده رحمه الله سنة ١١١٥ خمسة عشرة بعد المائة والالف من الهجرة النبوية في بلد العينة من أرض نجد ونشأ بها وقرأ القرآن بها حتى حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر وكان حاد الفهم سريع الإدراك والحفظ يتعجب أهله من فطنته وذكائه ، وبعد حفظ القرآن اشتغل وجد في الطلب ، وأدرك بعض الارب ، قبل رحلته لطلب العلم وكان سريع الكتابة ربما كتب الكراسة في مجلس . قال أخوه سليمان: كان والده يتعجب من فهمه ويعترف بالاستفادة منه مع صغر سنه ووالده هو مفتي تلك البلاد ووجه مفتي البلاد النجدية وآثاره وتصانيفه وفتاويه تدل على علمه وفقهه وكان جده اليه المرجع في الفقه والفتوى وكان معاصر الشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب اجتمع به بمكة وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام قدمه والده في الصلاة ورآه أهلاً للآتيام ثم طلب الحج الى بيت الله الحرام ، فأجابه والده الى ذلك المقصد والمراد ، وبادر الى قضاء حجة الاسلام ، وأداء المناسك على التمام ، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وأقام بها قريباً من شهرين ، ثم رجع الى وطنه قريز العين ، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم وذاق حلاوة التحصيل والفهم وزاحم العلماء والكبار ورحل الى البصرة والحجاز مراراً واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الاختيار وأتى الى الاحساء وهي اذ ذاك آهلة بالمشايخ والعلماء . فسمع وناظر وبحث واستفاد وساعدته الاقدار الربانية بالتوفيق والامداد وروى عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ، ثم المديني وأجازه من طريقين وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالاولية وكتب السماع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الراحمون يرحمهم الرحمن أرحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ، وسمع منه مسلسل الخطاب بسنده الى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : اذا أراد الله بعبده

خيراً استعمله ، قالوا كيف يستعمله ؟ قال : يوقفه لعمل صالح قبل موته ، وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد رحمه الله وطالت إقامة الشيخ ورحلته بالبصرة وقرأ بها كثيراً من الحديث والفقه والعربية وكتب من الفقه والحديث واللغة ما شاء الله في تلك الأوقات .

وكان يدعو الى التوحيد ويظهره لكثير من يخالطه ويخالسه ويستدل عليه ويظهر ما عنده من العلم وما لديه وكان يقول ان الدعوة كلها لله لا يجوز صرف شيء منها الى سواه وربما ذكروا بمجلسه اشارة الطواغيت أو شيئاً من كرامات الصالحين الذين كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويلجئون اليهم في المهمات فكان ينهى عن ذلك ويزجر ويورد الادلة من الكتاب والسنة ويحذر ويخبر أن محبة الأولياء والصالحين انما هي متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين وتكثير أجورهم بمتابعتهم على ما جاء به سيد المرسلين وأما دعوى المحبة والمودة مع المخالفة في السنة والطريقة فهي دعوى مردودة غير مسلمة عند أهل النظر والحقيقة .

ولم يزل على ذلك رحمه الله ثم رجع الى وطنه فوجد والده قد انتقل الى بلدة حريملا فاستقر فيها يدعو الى السنة المحمدية ويبيدها ويناصح من خرج عنها ويفشيها حتى رفع الله شأنه ورفع ذكره ووضع له القبول وشهد له بالفضل ذووه من المعقول والمنقول وصنف كتابه المشهور في التوحيد وأعلن بالدعوة الى الله العزيز الحميد وقرىء عليه هذا الكتاب المفيد وسمعه كثير من لديه من طالب ومستفيد وشاعت نسخه في البلاد وطار ذكره في الغور والانجاد وفاز بصحبته واستفاد من جرد القصد وسلم من الاسر والبغى والفساد وكثر بحمد الله محبوه وجنده وصار معه عصاة من خول الرجال وأهل السمات الحسن والكمال يسلكون معه الطريق ويجاهدون كل فاسق وزنديق .

فصل

كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم ، وعفت آثار الدين لديهم ، وانهدمت قواعد الملة الخيفية ، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية ، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان ، وغلب الجهل والتقليد والاعراض عن السنة والقرآن ، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان ، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد ، وأعلام الشريعة مطموسة ، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة ، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام ، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة ، قد خلعوا ربة التوحيد والدين ، وجدوا واجتهدوا في الاستغانة والتعلق على غير الله من الأولياء والصالحين ، والأوثان والأصنام والشياطين ، وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون ، ومن البحر الأجاج شاربون ، وبه راضون ، وإليه مدى الزمان داعون ، قد أعشتهم العوائد والمألوفات ، وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات ، والآيات البينات ، يحتاجون بما روه من الآثار الموضوعات ، والحكايات المختلفة والمنامات ، كما يفعله أهل الجاهلية وغير الفترات . وكثير منهم يعتقد النفع في الأحجار والإسادات ، ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) .

فأما بلاد نجد . فانه قد بالغ الشيطان في كيدهم وجد ، وكانوا ينتابون قبر زيد ابن الخطاب ويدعونه رغبا ورهبا بفصيح الخطاب ، يزعمون أنه يقضى لهم الحوائج ويروونه من أكبر الوسائل والولائج ، وكذلك عند قبر يزعمون أنه قبر ضرار

ابن الأزور وذلك كذب ظاهر ، وبهتان مزور ، وكذلك عندهم نخل خال ينتابه النساء والرجال ، ويفعلون عنده أقبح الفعال ، والمرأة إذا تأخر عنها الزواج ، ولم ترغب فيها الأزواج ، تذهب إليه وتضمه يديها وتدعوه برجاء وابتهاال وتقول : يا نخل النحول ، أريد زوجا قبل النحول . وشجرة عندهم تسمى الطرينية أغرام الشيطان بها ، وأوحى اليهم التعلق عليها ، وأنها ترجى منها البركة ، ويطلقون عليها الخرق لعل الولد يسلم من السوء . وفي أسفل بلدة الدرعة مغارة في الجبل يزعمون أنها انشقلت من الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الناس أن يظلمها ويضير ، فانفلجت الغار ولم يكن له عليها اقتدار ، وكانوا يرسلون إلى هذا المكان من اللحم والخبز ما يقتات به جند الشيطان . وفي بلدتهم رجل يدعى الولاية يسمى تاج يتبركون به ، ويرجون منه العون والافراج ، وكانوا يأتون إليه ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه ، فتغافه الحكام والظلة ، يزعمون أن له تصرفا وفتكا لمن عصاه وملحمة مع أنهم يحكون عنه الحكايات الشنيعة التي تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشريعة . وهكذا سائر بلاد نجد على ما وصفنا من الاعراض عن دين الله ، والجحد لأحكام الشريعة والرد . ومن العجيب أن هذه الاعتقادات الباطلة ، والمذاهب الضالة ، والعوائد الجائرة ، والصرائق الخاسرة ، قد فشت وظهرت ، وعمت وطمت ، حتى بلاد الحرمين الشريفين . فمن ذلك ما يفعل عند قبر محجوب وقبة أبي طالب ، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند نزول المصائب ، وحلول النواكب ، وكانوا له في غاية التعظيم ، ولا ما يجب عند البيت الكريم ، فلو دخل سارق ، أو غاصب ، أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد لما يرون له من وجوب التعظيم ، والاحترام والمكارم . ومن ذلك ما يفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها في سرف وكذلك عند قبر خديجة رضي الله عنها ، يفعل عند قبرها ما لا يسوغ السكوت عنه من مسلم يرجو الله والدار الآخرة فضلا عن كونه من المكاسب الدينية الفاخرة ، وفيه من اختلاط النساء بالرجال ، وفعل الفواحش والمنكرات ، وسوء الأفعال ، ما لا يقره أهل الإيمان والكمال ، وكذلك سائر القبور المعظمة

المشرقة في بلد الله الحرام مكة المشرقة ، وفي الطائف قبر ابن عباس رضي الله عنه يفعل عنده من الأمور الشركية التي تشمئز منها نفوس الموحدين ، وتنكرها قلوب عباد الله المحلّصين ، وتردها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين ، منها وقوف السائل عند القبر متضرعاً مستكيناً ، وإبداء الغافة إلى معبودهم مستعيناً ، وصرف خالص المحبة التي هي حجة العبودية ، والنذر والذبح لمن تحت ذاك المشهد والبنية ، وأكثر سوقهم وعامتهم يلهجون بالاسراق اليوم : على الله وعلىك يا ابن عباس فيستمدون منه الرزق والغوث . وكشف الضر والبأس .

وذكر محمد بن حسين النعمي الزيدي رحمه الله أن رجلاً رأى ما يفعل في الطائف من الشعب الشركية والوظائف ، فقال أهل الطائف لا يعرفون الله انما يعرفون ابن عباس ، فقال له بعض من يترشح بالعلم معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فانظر إلى هذا الشرك الوخيم ، والغلو الذميمة المجانب للصراط المستقيم ، ووازن بينه وبين قوله (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) الآية . وقوله جل ذكره (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد الله فيها فكيف بمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، والنصوص في ذلك لا تخفى على أهل العلم ، وكذلك ما يفعل بالمدينة المشرقة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام هو من هذا القبيل بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل . وفي بذر جدة ما قد بلغ من الضلال حده وهو القبر الذي يزعمون أنه قبر حواء وصفه لهم بعض الشياطين ، وأكثروا في شأنه الإفك الميين ، وجعلوا له السدنة والخدم ، وبالغوا في مخالفة ما جاء به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من النهي عن تعظيم القبور والفتنة بمن فيها من الصالحين ، وكذلك مشهد العلوى بالغوا في تعظيمه ، وتوقيره ، وخوفه ، ورجائه . وقد جرى لبعض التجار انه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم وذلك في سنة عشر ومائتين وألف فهرب إلى مشهد العلوى مستجيراً ، ولائذا به مستغيثاً ، فتركه أرباب

الاموال ، ويتجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذلك المشهد والمقام واجتمع طائفة من المعروفين واتفقوا على تنجيئه في مدة سنين فعودوا بالله من تلاعب الفجرة والشياطين .

وأما بلاد مصر وصعيدها وأعمالها قد جمعت من الامور الشركية ، والعبادات الوثنية ، والدعاوى الفرعونية مالا يتسع له كتاب ، ولا يدنو له خطاب لا سيما عند مشهد احمد البدوي وأمثالهم من المعتقدين في المعبودين ، فقد جاوزوا بهم ما دعت الجاهلية لأهتهم ، وجهورهم يرى له من تدير الربوبية والتصريف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة مالم ينقل مثله عن أحد بعد القرعنة والنفاردة ، وبعضهم يقول : يتصرف في الكون سبعة ، وبعضهم يقول أربعة ، وبعضهم يقول : القطب يرجعون اليه . وكثير منهم يرى أن الامور شورية بين عدد ينتسبون اليه ، فعلى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات والفواحش والمفاسد ما لا يمكن حصره ، ولا استطاع وصفه ، واعتمدوا في ذلك من الحكايات والخرافات والجهالات مالا يصدر عن من له أدنى مسكة وحظ من المعقولات فضلاً عن النصوص والشرعيات . وكذلك ما يفعل في بلدان ائمين جار على تلك الطريق والسنن ، ففي صنعاء وبرع والمخا وغيرها من تلك البلاد ما يتزه العاقل عن ذكره ووصفه ، ولا يمكن الوقوف على غايته كشفه ، وناهيك يقوم استخفهم الشيطان ، وعداوا عن عبادة الرحمن إلى عبادة القبور والشياطين فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على الجرائم ، ولا يهمل الحقوق والمظالم ، وفي حضرموت ، والشحر ، وعدن ، ويافع ، ماتستك عن ذكره المسامع ، يقول قائلهم شيء لله عيدروس . شيء لله يا محي النفوس .

وفي أرض نجران من تلاعب الشيطان ، وخلع زبقة الايمان ، مالا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن ، من ذلك رئيسهم المسمى بالسيد لقد أتوا من طاعته وتعظيمه ، وتقديمه ، وتصديره ، والغلو فيه بما أفضى بهم إلى مفارقة المللة والاسلام والانحياز الى عبادة الأوثان والأصنام (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من

دون الله . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون)
وكذلك حلب ، ودمشق ، وسائر بلاد الشام فيها من تلك المشاهد والنصب
والاعلام ؛ ما لا يجمع عليه أهل الايمان والاسلام من اتباع سيد الانام . وهي
تقارب ما ذكرنا في الكفریات المصرية ، والتلطف بتلك الأحوال الوثنية الشركية
وكذلك الموصل وبلاد الأكراد ظهر فيها من أصناف الشرك والفجور والفساد
وفي العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخلقان ، وعندهم المشهد الحسيني
قد اتخذوه اراضة وثناً ؛ بل رباً مدبراً ، وغالطاً ميسراً ، وأعادوا به المجوسية .
وأحيوا به معاهد اللات والعزى ، وما كان عليه أهل الجاهلية . وكذلك مشهد
العباس ، ومشهد علي ، ومشهد أبي حنيفة ، ومعروف الكرخي ، والشيخ
عبد القادر فانهم قد اقتنوا بهذه المشاهد رافضتهم وسنيهم ، وعدلوا عن أسنى
المطالب والمقاصد ، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من حق الله الفرد الصمد الواحد
وبالجملة فهم شر تلك الأمصار ، وأعظمهم نفوراً عن الحق واستكباراً ،
والرافضة يصلون لتلك المشاهد . ويركعون ويسجدون لمن في تلك المعاهد . وقد
صرفوا من الأموال والنذور ، لسكان تلك الأجدان والقبور ما لا يحصل عشر
معشاره للملك العلي الغفور . ويزعمون أن زيارتهم لعلی وأمثاله أفضل من سبعين
حجة ، تعالى الله وتقدس في مجده وجلاله ، ولآلهتهم من التعظيم والتوقير والحشية
والاحترام ما ليس معه من تعظيم الله وتوقيره وخشيته وخوفه شيء . لئلا الحق
والملك العلام ، ولم يبق مما عليه التصارى سوى دعوى الولدية . غير أن بعضهم
يرى الحلول لأشخاص بعض البرية ، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون .
وكذلك جميع قرى الشطوط والبحر على غاية من الجهل والمعرفة في القطيف والبحرين
من البدع الرافضية ، والاحداث المجوسية ، والمقامات الوثنية ما يصاد ويصادم
أصول الملة الحنيفية . فمن اطلع على هذه الأفاعيل وهو عارف بالايمان والاسلام
وما فيهما من التفرع والتأصيل ، يتقن أن القوم قد ضلوا عن سواء السبيل ،
وخرجوا من مقتضى القرآن والدليل ؛ وتسكوا بزخارف الشيطان ، وأحوال
الكهان ، وما شابه هذا القبيل ، وازداد بصيرة في دينه ، وقوى بمشاهدته إيمانه

وبيقينه ، وجد في طاعة مولاه وشكره ، واجتهد في الانابة اليه وإدانة ذكره ،
وبادر الى القيام بوظائف أمره ، وخاف أشد الخوف على إيمانه من طغيان الشيطان
وكفره . فليس العجب من هلك كيف هلك ، إنما العجب من نجا كيف نجا .

فلما تفاقم هذا الخطب وعظم ، وتلاطم موج الكفر والشرك في هذه الامة
وجسم ، واندرست الرسالة المحمدية ، وانمحت منها المعالم في جميع البرية ،
وطمست الآثار السلفية ، وأقيمت البدع الرفضية ، والامور الشركية .

تجرد الشيخ للدعوة الى الله ، ورد هذا الناس الى ما كان عليه سلفهم الصالح
في باب العلم والايمان ، وباب العمل الصالح والاحسان ، وترك التعلق على غير
الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم ، والاعتقاد في الاحجار والاشجار
والعيون والمغار ، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في الاقوال والافعال وهجر
ما أحدثه الخلوف والاختيار ، فجادل في الله وقرر حججه وبيئاته ، وبذل نفسه
لله ، وأنكر على أصناف بني آدم ، الخارجين عما جاءت به الرسل ، المعرضين
عنه ، التاركين له . وصنف في الرد على من عاند وجادل ، وما حل حتى ظهر
الاسلام في الأرض ، وانتشر في البلاد والعباد ، وعلت كلمة الله ، وظهر
دينه ، واقمع أهل الشرك والنساذ ، واستبان لنوى الالباب والعلوم من دين
الاسلام ما هو مقرر معلوم .

فهذه حقيقة حال الشيخ ونشأته ، وظهور دعوته . وهذه حال أهل الامصار
في تلك الاوقات والاعصار ، كما تقدم بيانه لذوى العقول والابصار . فن
شرح الله صدره للاسلام تبين له صحة ما دعا اليه هذا الامام ، ومن عى عن
طريق رشدته وهداه ، واتبع فيما ينتحله ما يهواه ، وتمرد على الله واستكبر وعتا
وتجبر . فانما الهداية بيد الله (ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئا ، ومن
لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

وبما ذكرناه يعرف كيفية الجواب عما تقدم من فاتحة كتاب هذا العراقي
الى مبدأ نشأة الشيخ وظهور دعوته ، وإنما تركنا الجواب لعدم المصلحة
الراجعة في ذلك .

فصل

قال الملحد فأظهر عقيدته الزائغة في نجد

(الجواب) أن يقال قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة ، ومأثرت بخطه ، وعرف واشتهر من أمره ودعوته ، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح ، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الأخبار النبوية ، وتلقها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم يثبتونها ويؤمنون بها ، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل ، وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين ، وتابعيهم من أهل العلم والإيمان ، وسلف الأمة وأئمتها . وكان رحمه الله يدعو الناس إلى الصلوات الخمس والمحافظة عليها حيث ينادى لها ، وهذا من سنن الهدى ومعالم الدين كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، ويأمر بالزكاة والصيام والحج . ويأمر بالمعروف ويأمر الناس أن يأتوه ويأمرؤا به ، وينهى عن المنكر ويتركه ويأمر الناس بتركه والنهي عنه ، فمن زعم أن عقيدته وطريقته زائغة ، أو عن الحق رائغة ، فلعدم معرفته بالعقائد السلفية ، والآثار النبوية ، بل تنادى عقيدته البيضاء بعقيدة السلف ، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف ، بل قد تتبع العلماء مصنفاته رحمه الله من أهل زمانه وغيرهم فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب . وأقواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ولم يعب عليه إلا من خرج عن طريقة أهل السنة والجماعة لافهم بما كانوا عليه من الشرك والضلال من عبادة غير الله تعالى ، بالالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ، والاستغاثة بهم ، لانهم لا يعرفون إلا ما نشأوا عليه من هذا الشرك العظيم ، والمرتع الوبي الوحيم الذي وجدوا عليه الآباء والجدود الراجعين في رياض المحرمات والحدود . والاكثر منهم يتدين بالبدع والاهواء ، ويرفض ما درج

عليه السلف الصالح من الدين القديم الاولى ، وينتحل ما كان عليه الفلاسفة المتقدمون ؛ وورثتهم من المتكلمين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قوله : وساعده على اظهارها محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلة الكذاب فأقول : نعم قد استجاب لهذه الدعوة المحمدية والملة الابراهيمية من أهل الإسلام عصابة حصل بهم من العز والمنعة ما هو عنوان التوفيق والاصابة ، فكانوا لطريقته المثل متبعين ، وبأقواله وأفعاله مقتدين ، لا يزالون معه في اخلاص الدعوة مشمرين ، وفي ادحاض الباطل وأهله مجتهدين ، وبايضاح مناهج الشرك معلنين ، ولها منكرين ، وعنهما محذرين ، وفيما يرضى الله مسرعين ، ولاهل الدين والحق مكرمين ، ولاهل الضلال موهنين ، وللضلال والفساق مهينين ، ولقبح عقائدهم مبينين ، قائمين في ذلك لرب العالمين ، ولوجهه الكريم محتسبين ، وللتجاة مرتجين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين) وقد قال الإمام أحمد بن محمد الحفظي النبني في أرجوزة له ذكر فيها ظهور هذه الدعوة المحمدية ، والطريقة السلفية ، قال فيها :

أحمد مهلاً مسبلاً	محوقلاً محيلاً محسلاً
مصلياً على الرسول الشارح	وآله وصحبه والتابع
في البدء والختم (وأما بعد)	فهذه منظومة تعد
حركتي لنظمها الخير الذي	قد جاءنا في آخر العصر القدي
لما دعى الداعي من المشارق	بأمر رب العالمين الخالق
وبعث الله لنا مجدداً	من أرض نجد عالماً مجتهداً
شيخ الهدى محمد الحمدي	الحنبلي الاثرى الاحمدي
فقام والشرك الصريح قدسرى	بين الورى وقد طغى واعتكرى
لا يعرفون الدين والتليلاً	وطرق الإسلام والسبيلاً
الا أساميا وباقي الرسم	والارض لا تخلو من أهل العلم
وكل حزب فلهم وليجة	يدعونه في الضيق للتفريجة

وملة الاسلام والاحكام
دعا الى الله وبالتهليلة
مستضعفا وما له مناصر
في ذلة وقلة وفي يده
كانها ریح الصبا في الرعب
قد اذكرتني درّة لعمر
ولم يزل يدعو الى دين النبي
يعلم الناس معاني أشهد
محمد نبيه وعبد
أن تعبدوه وحده لا تشركوا
ومن دعا دون الاله أحداً
ان قلتموا نعبدهم للقربة
وربنا يقول في كتابه
هذي معاني دعوة الشيخ لمن
فانقسم الناس ففهم شارد
ما بين خفّاش وبين جعل
وبعد ما استجيب لله فمن
ومن أجاب داعي الله ملك
والسابقون الاولون السادة
هم الغيوث والليوث والشنف
فأقبلوا والناس عنه أدبروا
حفوا به كأسد العرائن
وابن سعود كآبي أيوب
قال اذهبوا فأنتموا سيوم
وقام فاروق الزمان المؤتمن

في غربة وأهلها أيتام
يصرخ بين أظهر القليلة
ولا له معاون موازر
مهفة تغنيه عن مهنه
والحق يعلو بجنود الرب
وضرب موسى بالعصا للحجر
ليس الى نفس دعا أو مذهب
ان لا اله غير فرد يعبد
رسوله اليكم وقصده
شينا به والابتداع فتركوا
أشرك بالله ولو محمداً
أو للشفاعات فلك الكذبة
هذا هو الشرك بلا تشابه
عاصره واستكبروا عن السنن
مخاصم محارب معاند
شاهت وجوه أهل هذا المثل
جادل في الله تردى واقتن
ومن تولى معرضاً فقد هلك
آل سعود الكبار القادة
ونصرة الاسلام والشم الأنف
وعرفوا من حقه ما أنكروا
وكم وكم لله من ضنائن
محمد الربيل واليعسوب
وجند ربّ قبله حيزوم
عبد العزيز من ومن ومن

فسار في الناس كسير ■ الاشج	ودوخ البر وخاض للشج
يسوس بالآثار والقرآن	على طريق العدل والاحسان
يدعو الى الله بحزب غالب	مجاهد بالاربع المراتب
ونفسه لله والنفيس	والصدق للقلوب مغناطيس
وبعده قام الامام البارع	بأمر رب العالمين الوازع
وهو الهزبر الضيغم العدل الولي	سعود مخ الرأس قلب الهيكل
كم زع بالقرآن والسلطان	من فارس والروم والزنجان
وفي العراقيين له رعود	ومصر من صولته مرعود
واليمين الميمون كالخجاز	دوخها بالقهر والمغازي
والحرمين وهي المطهرة	قد أصبحت بعداه معطره
بالرفق يدعو وبالاعتطف	ومن أبي يطره بالمشرفي
ولم يكن في نزعه من ضعف	وشاهد الواقع فيه يكني
فلم أرى من عبقرى يفري	فريه من أمراء العصر
وهكذا من يبتدى بنفسه	مجاهداً في يومه وأمه
فانه يطاع لآعماله	في خارج يبعاً بلا اقاله
ونغات أمره مترجمة	ليظهر الحق وتعلو الكلمة
وهو الغيور الشهم ليس يرضى	ببيضة الاسلام أن ترضا
لا يطلب الدنيا ولا الفسادا	في الارض والعلو والعنادا
أو مذهباً أو ذهباً يريد	وانما مطلوبه التوحيد

فصل

وأما تعييره أهل الاسلام بأن بلادهم بلاد مسيلة الكذاب
فالجواب ان نقول سبحانه الله ما اعظم شأنه وأعز سلطانه فانه لا يعير بهذا
الكلام الا أشباه الانعام فان سكنى الدار لا تؤثر فان الصحابة سكنوا مصر
وبلاد الفرس وفضلهم لا يزال في مزيد وإيمانهم قهر أهل الشرك والتنديد

وعادت تلك البقاع والاماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد وقد روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : دخل ابليس العراق فقضى فيها حاجته ثم دخل الشام فطردوه ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقرية ، ولا يقول مسلم بدم علماء العراق لما ورد فيها وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى وقد قال لى بعض الازهرين : مسيلة الكذاب من خير نجدكم فقلت وفرعون اللعين رئيس مصر كم فبغت ، وأين كفر فرعون من كفر مسيلة لو كانوا يعلمون . وقال الشيخ ملا عمران بن على بن رضوان نزيل لنجة في رده على من عارض الشيخ محمد وعيره بأن بلاده بلاد مسيلة الكذاب قال بعد كلام سبق :

قد عيروه بانه قد كان في	وادی حنیفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ما ضر مصر بأنها	كانت لفرعون الشقي الاطرد
ان الفارادة الفراعنة الاولى	كانوا بأرض الله أهل ترمذ
ذا قال أنا رب وذا متنبئ	هم في بلاد الله أهل تردد
يمنا وشاما والعراق ومصرها	من كل طاغ في البرية مفسد
فيموتهم طابت وطار غبارها	وزهت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لا تشرف ساكنها	فيها ولا تهديه ان لم يهتد
من كان لله الكريم موحداً	لومات في جوف الكنيف المطرد
وبعكسه من كان يشرك فهو لم	يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبي المصطفى من مكة	وبقي أبو جهل الذي لم يهتد
ان الاماكن لا تقدر أهلها	ان لم يكونوا قائمين على الهدى

وأما كونه أجبر أهلها يعني أهل الدرعية فن الكذب والبهتان بل دخلوا في دين الله أفواجا واستجابوا لمن دعاهم الى الله وأدخلوا سائر أهل نجد ممن لم يقبل دين الله ورسوله في دين الله قهراً أو قسراً وجاهدوهم حتى تبين لهم صحة هذا الدين وذاقوا حلاوته واطمأنوا به وجاهدوا مع الأمير محمد بن سعود من لم يدخل فيه حتى استوسقت له جزيرة العرب ودانت ، ثم أن الذين أنكروا هذه الدعوة

من الدول الكبار والشيوخ وأتباعهم من أهل القرى والامصار أجلبوا على
عداوة أهل الاسلام وهم إذ ذاك في عدد قليل وفي حال تخلف الاسباب عنهم
وقهرهم فرموهم عن قوس العداوة فمن أهل نجد دهام بن دواس وابن زامل
وآل بجاد أهل الخرج ومحمد بن راشد راعي الحوطة وتركى الهزاني وزيد ومن
والاهم من الاعراب والبادى كذلك العنقرى في الوشم ومن تبعه وشيوخ قرى
سدير والقصيم وبوادي نجد وابن حميد ملك الاحساء ومن تبعه من حاضر وبادى
وكلمهم تجمعوا للحرب المسلمين مراراً عديدة مع عريعر وأولاده منها نزولهم
على الدرعية وهى شعاب لا يمكن تحصنها بالابواب والبنا وقد أشار إلى ذلك
العلامة حسين بن غنام رحمه الله تعالى بقوله :

وجاءوا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجى الوحوش رنينها
فنزّلوا البلاد واجتمع من اجتمع من أهل نجد حتى قال من يدعى انه من العلماء
وهو من أمثل علمائهم وعقلائهم . لما سئل كيف أشكل عليكم أمر عريعر وفساده
وظلمه وأنتم تعينونه وتقاتلون معه فقال لو أن الذى حاربكم ابليس كنا معه
والمقصود أن الله تعالى ردهم بغیظهم لم ينالوا خيراً وحى الله تلك القرية فلم يشربوا
من آبارها .

وأما وزير العراق فشى مراراً عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد
الشديد وأجرى الله تعالى عليهم من الذل ما لا يخطر ببال قبل أن يقع بهم ما وقع
من ذلك أن ثوينى في مرة من المرات مشى بجنوده الى الاحساء بعد ما دخل أهلها
في الاسلام في حال حدائتهم بالشرك والضلال فلما قرب من تلك البلاد أنه
رجل مسكين لا يعرف من غير ممالات أحد من المسلمين فقتله فمات فنصر الله
هذا الدين برجل لا يعرف وذلك مما به يعتبر فانقلبت تلك الجنود وتركوا
ما معهم من المواشى والاموال خوفاً من المسلمين ورعباً فغنمها من حضر وقد
قال الشيخ حسين بن غنام في ذلك :

تقاسمت الاحساء قبل منالها فللروم شطر والبادى لهم شطر
في آيات كثيرة

ثم جددوا أسباب الحرب المسلمين وساروا بدول عظيمة يتبع بعضها بعضاً

وكيد عظيم فنزلوا الاحساء وقادهم على كيخيا فتحصن من ثبت على دينه في الكوت وثر صاهود فنزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقنابر وحفر اللغوب، فاعجزه الله ومن معه ممن ارتد عن الإسلام فولى مدبراً بجنوده، فاجتمع بسعود ابن عبد العزيز في تاج وغزوه الذين معه رحمه الله . والذين معه من المسلمين أقل من المتفق أو آل ظفير الذين مع الكيخيا فألقى الله الرعب في قلوبهم على كثرتهم وقوتهم فصارت عبرة عظيمة فطلبوا الصلح على أن يدعمهم سعود يرجعون إلى بلادهم فأعطاهم أماناً على الرجوع فذهبوا في ذل عظيم . فلما قدم كل منهم مكانه مات سليمان باشا وذلك من نصر الله لهذا الدين فأهلك الله من أنشأ هذه الدول ثم قام على كيخيا فصار هو الباشا فأخذ يحدد آلة الحرب ، فجمع من الكيد والأسباب أعظم مما كان معه في تلك الكرة ، فلما كملت أسبابه وجمع الجموع فلم يبق إلا خروجه لحرب المسلمين لينتقم من أهل هذا الدين سلط الله صيين مملوكين عنده يبيتون معه فقتلوه آخر الليل ، فخدمت تلك النيران ، وتفرقت تلك الأعوان ، فما قام لهم قائمة فيالها عبرة ما أظهرها لمن له أدنى بصيرة فاعتبروا يا أولى الأبصار، أين ذهب عقل من أنكر هذا الدين . وجادل وكابر في دفع الأدلة على التوحيد وما حل .

وكذلك ماجرى في حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية . وذلك أنهم من أول من بدأ المسلمين بالعداوة فحبسوا حاجتهم فأتوا في الحبس منهم عدد كثير ومنعوا المسلمين من الحج أكثر من ستين سنة ، وفي أثناء هذه المدة سار اليهم الشريف غالب بعسكر كثيف وكيد عنيف ، وقدم أخاه عبد العزيز قبله في الخروج فنزل قصر بسام فأقام مدة يضرب بالمدافع والقنابر وجر عليه الزحافات فأبطل الله كيده على هذا القصر الضعيف بناؤه ، القليل رجاله ، فرحل منه ووافى غالباً ومعه أكثر الجنود ، ومعه من الكيد مثل ما كان مع أخيه أو يزيد ، فنزلوا جميعاً الشعراء فجذبوا في حربهم بكل كيد فاعجزه الله تعالى عن ذلك البناء الضعيف الذي لم يتأهب أهله للحرب بالبناء والسلاح فأبطل الله كيده وردده عنهم بعد الإياس ، فسلط الله المسلمين على من كان معه

من الاعراب خصوصاً مطير فأوقع الله بهم في العداوة ومعهم مطلق الجربا
فهزمهم الله تعالى وغنم المسلمون جميع ما كان معهم من الإبل والخيول وسائر
المواشي فصار ما ذكرناه من نصر الله وتأييده لاهل هذا الدين عبرة عظيمة ،
وفي جملة قتلاهم حصان ابليس . وبعد ما ذكرناه جد غالب في الحرب واجتهد ،
لكن صار حرباً للأعراب ، ولم يتعد النير فيغزو على من استضعفه ويغير ،
فأعطى الله أعراب المسلمين الظفر عليه في عدة وقعات من أعظمها وقعة الخزيمة
على يد ربيع وغزوه من أهل الوادي وبعض قحطان فهزمه الله تعالى واشتد
القتل في عسكره فأخذوا جميع ما كان معه من المواشي وغيرها ، فصار بعد ذلك
في ذل وهوان ففتح الله الطائف للمسلمين ، وصار أميره عثمان بن عبد الرحمن
فاجتمع فيه دولة للمسلمين وساروا الحرب الشريف ومعهم عبد الوهاب أبو نقطة
أمير عسير ، وسالم بن شكبان أمير أهل يشة فنزلوا دون الحرم . فخرج اليهم
عسكر من مكة فقتلوه ، فطالب الشريف المذكور منهم الامان فلم يقبلوا منه
إلا الدخول في الإسلام والبيعة للامام سعود فأعطاهم البيعة على يد رجال بعثهم
اليه ، هذا بعد وقعات تركنا ذكرها كراهة الإطالة لأن القصد بهذا الوضع
الاعتبار بما جرى لاهل هذه الدعوة من النصر والتأييد ، والظهور على قلة
أسبابهم ، وكثرة عدوهم وقوته ، وذلك من آيات الله وبيئاته . على أن ما قام به
هذا الشيخ في حال فساد الزمان الدين الذي بعث الله به المرسلين . وتبين أن
هذه الطائفة في هذه الازمنة هي الطائفة المذكورة في قوله ﷺ « ولا تزال طائفة
من أمتي على الحق منصورون لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر
الله وهم على ذلك ، وقد كانت هذه الطائفة قبل ظهور الشيخ فيما تقدم موجودة
في الشام ، والعراق ومصر وغيرها بوجود أهل السنة وأهل الحديث في القرون
المفضلة وبعدها ، فلما اشتدت غربة الاسلام ، وقل أهل السنة ، واشتد النكير
عليهم ، وسعى أهل البدع في إيصال المكر اليهم ، من الله بهذه الدعوة ، فقامت
بها الحجة . واستبان المحجة .

والمقصود أن كل من ذكرنا ممن عادى من أهل نجد والاحساء وغيرهم

من البوادي أهلهم الله ولحقهم العقوبة حتى في الذراري والأموال ، فصارت
أموالهم فيئاً لأهل الاسلام ، وانتشر ملكهم وصار كل من بقي في أماكنهم
سامعاً مطيعاً لآمام المسلمين القائم بهذا الدين ، فانتشر ملك أهل الاسلام حتى
وصل الى حدود الشام ، مع الحجاز ، وتهامة ، وعمان ، فصاروا بحمد الله في أمن
وأمان ، يخافهم كل مبطل وشیطان ، ففي هذا معتبر لأهل الاعتبار ، مع ما وقع
بمن حاربهم من الخراب والدمار ، واستيلاء المسلمين على ما كان لهم من العقار
والديار ، فلا يرتاب في هذا الدين بعد هذا البيان الا من عميت بصيرته ، وفست
علايته وسريرته ، انتهى من المقامات التي ألفها الشيخ الامام عبد الرحمن
ابن حسن مفتي الديار النجدية رحمه الله تعالى

وأما قوله : أما ولادته فقد كانت سنة ألف ومائة وأحدى عشرة سنة
فقد قدمنا أنه ولد رحمه الله سنة ١١١٥ خمس عشرة بعد المائة والالف من
الهجرة النبوية هذا هو الصحيح
وأما قوله وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم يتردد الى مكة والمدينة لآخذه
عن علمائها ، ومن آخذ عنه في المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي والشيخ
محمد حياة السندی فأقول :

قد تقدم بيان رحلته وطلبه للعلم ، وعن من آخذ عنه من العلماء في المدينة
المنورة ، ومكة المشرفة ، والبصرة ، والاحساء ، وعن علماء نجد بما أننى من اعادته
وأما قوله وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من المشايخ الذين آخذ عنهم
يتفرسون فيه الغواية والالحاد ، ويقولون سيضل الله تعالى هذا ، ويضل به من
أشقاء الى آخر ما افترعه هذا العراقي الملحد وافتراه

فالجواب أن هذا النقل كذب وافتراء من غير شك ولا امتراء ، ثم لو
فرضنا صحة هذا النقل لم يكن هذا القول عمن لا ينطق عن الهوى ، بل لا يعجز
الخصم الذى لا يخاف الله ولا يتقيه عن أكثر من هذا القول وأرغم وأفحش
منه وأعظم ، وقد قدمنا من حال الشيخ ودعوته الى الله وحسن سيرته ما يعتبر
به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

فيا لك من آيات حق لو اقتدى بهن مرید الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب غشاوة فليست وإن أصغت تجيب المناذية
وأما قوله : وكذلك كان أبوه عبد الوهاب وهو من العلماء الصالحين يتفرس
فيه الاحاد ، ويحذر الناس منه الخ .

فالجواب أن نقول : وهذا أيضاً من الكذب والبهتان ، والزور والعدوان ،
بل كان والده يعظمه ويعترف بالاستفادة منه ، ولم ينقل عن والده هذا النقل
من يعتد بنقله ، وإنما يرميه بمثل هذا البهتان ، وينسبه اليه من جعل زوره وقده
في أهل العلم والايمان جسراً يتوصل منه ، ويعبر الى ما انطوى عليه ، وزينه له
الشیطان من عبادة الصالحين والتوسل بهم ، وعدم الدخول تحت أمر أولى العلم
وترك القبول منهم ، والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد
الضالة ، والمذاهب الجائرة .

وأما نسبة ذلك الى أخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا
الفاسيق وعدم قبوله الا بعد التبين ، ثم لو فرضت صحته فمن سليمان وما سليمان ،
وهذه دلائل السنة والقرآن تدفع في صدره ، وتندراً في نحره ، وقد اشتهر ضلاله
ومخالفته لأخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم . قال شيخنا الشيخ
عبد اللطيف رحمه الله وقد رأيت له رسالة يعترض على الشيخ ، وتأملتها فاذا هي
رسالة جاهل بالعلم والصناعة ، مزجى التحصيل والبضاعة ، لا يدرى ما طحاها ،
ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها ، هذا وقد آمن الله وقت
تسويد هذا بالوقوف على رسالة لسليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه
الأول ، وأنه قد استبان له التوحيد والايمان ، وندم على ما فرط من الضلال
والظغيان ، وهذا نصها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبد الوهاب الى الاخوان أحمد بن محمد التويجري ، وأحمد
ومحمد ابنا عثمان بن شبانه . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فأحمد اليكم الله

الذى لا اله الا هو ، وأذكركم ما من الله به علينا وعليكم من معرفة دينه ، ومعرفة ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده ، وبصرنا به من العبي ، وأنقذنا به من الضلالة . وأذكركم بعد أن جئونا في الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه وابتهاجكم به ، وثنائكم على الله الذى أنقذكم ، وهذا دأبكم فى سائر مجالسكم عندنا ، وكل من جاءنا بحمد الله شئى عليكم والحمد لله على ذلك ، وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأعظكم ، ولكن يا اخوانى معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق واتباعنا سبيل الشيطان ، ومجاهدتنا فى الصد عن اتباع سبيل الهدى . والآب معلومكم لم يبق من أعمارنا الا اليسير . والآيام معدودة ، والأنفاس محسوبة ، والمأمول بنا أن نقوم لله ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا مع الضلال ، وأن يكون ذلك لله وحده لا شريك له لا لما سواه ، لعل الله يحو عنا سيئات ما مضى ، وسيئات ما بقى ، ومعلومكم عظم الجهاد فى سبيل الله ، وما يكفر من الذنوب ، وأن الجهاد باليد ، واللسان ، والقلب ، والمال ، وتفهمون أجر من هدى الله به رجلاً واحداً ، والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن : وأن تقوموا لله قيام صدق ، وأن تدينوا للناس الحق على وجهه ، وأن تصرحوا لهم تصريحاً بيناً بما أتم عليه أولاً من الغى والضلال ، فيا اخوانى الله فالأمر أعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجار الى الله فى الفوات ، وعدنا الناس من السفهاء والمجانين فى ذلك ، لما كان ذلك بكثير منا وأتم رؤساء الدين والدنيا فى مكانكم أعز من الشيوخ والعوام كلهم تبع لكم فاحدوا الله على ذلك ، ولا تعلقوا بشئ من الموانع ، وتفهمون أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا بد أن يرى ما يكره ولكن أرشدكم فى ذلك الى الصبر كما حكى عن العبد الصالح فى وصيته لابنه فلا أحق من أن تحبوا الله ، وتبغضوا الله ، وتوالوا الله ، وتعادوا الله ، وترى يعرض فى هذا أمور شيطانية ، وهى أن من الناس من ينتسب لهذا الدين ، وربما يلقي الشيطان لكم أن هذا ما هو بصادق وأن له ملحظ دنيوى ، وهذا أمر ما يطلع عليه الا الله ، فاذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه ووالوه ، فاذا ظهر من أحد شر ولم دبار عن الدين فعادوه واكرهوه ولو أحب حبيب ، وجامع الأمر فى هذا أن الله خلقنا

لعبادته وحده لا شريك له ، ومن رحمته بعث لنا رسولا يأمرنا بما خلقنا له ،
 ويبين لنا طريقه ، وأعظم ما نهانا عنه الشرك بالله وعداوة أهله وبغضهم ، وتبيين
 الحق ، وتبيين الباطل ، فمن التزم ما جاء به الرسول فهو أخوك ولو أبض بغض
 ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك ولو هو ولدك أو أخوك ، وهذا
 شيء أذكركموه مع اني بحمد الله تعلون ما ذكرت لكم ، ومع هذا فلا عذر لكم
 عن التبيين الكامل الذي لم يبق معه لبس ، وان تذاكروا دائماً في مجالسكم ماجرى
 منا ومنكم أولاً ، وان تقوموا مع الحق أكثر من قيامكم مع الباطل فلا أحق من
 ذلك ولا لكم عذر لأن اليوم الدين والدنيا والله الحمد مجتمعة في ذلك فتذاكروا
 ما أتم فيه أولاً من أمور الدنيا من الخوف والاذى ، واعتلاء الظلمة والفسقة
 عليكم ، ثم رفع الله ذلك كله بالدين وجعلكم السادة والقادة ، ثم أيضاً ما من الله
 به عليكم من الدين ، انظروا الى مسألة واحدة فما نحن فيه من الجهالة كون البدوى
 تجرى عليه أحكام الاسلام مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهل الردة وأكثرهم
 متكلمين بالاسلام ، ومنهم من أتى بأركانه ومع معرفتنا انه من كذب بحرف
 من القرآن كفر ولو كان عابداً ، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كافر ،
 وأن من جحد حكماً مجعاً عليه فهو كافر الى غير ذلك من الاحكام المكفرات ،
 وهذا كله مجتمع في البدوى وأزيد ، ونجى عليه أحكام الاسلام اتباعاً لتقليد
 من قبلنا بلا برهان . فيا اخواني تأملوا وتذكروا في هذا الاصل يدلكم على ماهو
 أكبر من ذلك ، وانا اكثرت عليكم الكلام لو ثوقى بكم انكم ما تشكون في شيء
 فيما تحاذرون ، ونصيحتي لكم ولنفسى والعمدة في هذا أن يصير دائماً في الليل
 والنهار أن تجاروا الى الله تعالى أن يعيدكم من شرور أنفسكم وسيئات أعمالكم
 وأن يهديكم الى الصراط المستقيم الذي عليه رسله وأنبيأؤه ، وعباده الصالحون
 وأن يعيدكم من مضلات الفتن ، والحق واضح وابولج ، وماذا بعد الحق الا
 الضلال ، فانه الله تولى الناس الى في جهاتكم تبع لكم في الخير والشر ، فان
 فعلتوا ما ذكرت لكم ما قدر أحد من الناس يريكم بشر ، وصرتوا كالاعلام هداية
 للحيران ، فان الله سبحانه وتعالى هو المسؤول أن يهدينا واياكم سبل السلام ،

والشيخ وعياله وعيالنا طيبين والله الحمد ويسلمون: عليكم ، وسلموا لنا على من يعز
عليكم والسلام . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، اللهم اغفر لكتابها
ولو ألدية ، ولذريته ، ولنظر فيه ودعا له بالمغفرة والمسلمين والمسلمات أجمعين اه
وأما تأليفه الرد على أخيه فنعم وذلك في حال ضلالتة ونفوره عن دين
الاسلام ، فلما هداه الله وتبين له صحة مادعا اليه الشيخ من توحيد الله وافراده
بالعبادة ، وترك عبادة ماسواه تبين له سوء عمله وزيفه وضلاله ، فرجع عما كان
يعتقده من الضلال والعنى إلى طريقة أهل الحق والهدى كما صرح به في رسالته
المتقدم ذكرها والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فصل

وأما قوله وكان محمد هذا بادىء بدأته كما ذكره بعض المؤلفين مولعاً بمطالعة
أخبار من ادعى النبوة كاذباً كمسيلة الكذاب وسجاح والاسود العنسى وطلحة
الاسدى وأضرابهم ، فكان يضم في نفسه دعوة النبوة الا أنه لم يتمكن
من اظهارها .

(فالجواب) أن نقول (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم
كبرت كرامة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) فان هذا معلوم كذبه
بالاضرار لا يمتري فيه من له أدنى معرفة بمقادير الأئمة الأخيار ومن طالع كتب
الشيخ ومصنفاته ورسائله وتأمل حال نشأته ودعوته الى الله تبين له أن هذا من
الكذب والافتراء وانه من وضع أعداء الله ورسوله الذين يصدون عن سبيل
الله ويغيثونها عوجا ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب الفساد (يريدون
ليظفثوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون)
وهذا العراقى الملحد لما لم يكن له حيلة في دفع ما من الله به من ظهور الاسلام
أخذ في رد ما جاء به من البينات والهدى بالكذب والافتراء وقبله أناس أتوا
بأعظم الأسباب ، وزجوا الخلق في لجة الضلال والارتباب ، وضجوا على دعوة
الحق بالتكذيب والاكذاب ، وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر أو مفتر أو

كذاب وحكوا بكفره واستحلل دمه وماله وجميع من له من الاصحاب وجادوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وصنفوا في رد هذا الدين مصنفات ولفقوا من الاكاذيب على الشيخ وأكثروا من الترهات ولم يكن لهم قصد ولا مرام الا تنفير الخواص والعوام فأتوا بهذه المجونات والخرافات التي لا تروج الا على من أعمى الله بصيرة قلبه من أهل تلك القلوب المغفلات (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وسيقف هو وإياهم بين يدي عدل لا يظلم ولا يحور فيجازى كلا بعمله يوم النشور وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال العراقي الملقب : وكان يسمى جماعته من أهل بلده الانصار ويسمى متابعيه من الخارج المهاجرين وكان يأمر من حج حجة الاسلام قبل اتباعه أن يحج ثانية قائلا أن حجتك الاولى غير مقبولة لانك حججتها وانت مشرك ويقول لمن أراد أن يدخل في دينه اشهد على نفسك أنك كنت كافراً واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين واثهد على فلان وفلان ويسمى له جماعة من أكابر العلماء الماضين أنهم كانوا كفاراً فان شهد بذلك قبله والا أمر بقتله وكان يصرح بتكفير الامة منذ ستانة سنة ويكفر كل من لا يتبعه وان كان من أتقى المسلمين ويسميه مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الناس وكان عليه ما يستحقه من الله يتنقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة منها قوله أنه طارش وهو في لغة العامة بمعنى الشخص الذي يرسله أحد الى غيره والعوام لا يستعملون هذه الكلمة فيمن له حرمة عندهم ومنها قوله اني نظرت في قصة الحديدية فوجدت فيهم كذا وكذا من الكذب الى غير ذلك من الالفاظ الاستخفافية حتى ان بعض أتباعه يقول بحضرته ان عصاى هذه خير من محمد لأنى أنفع بها ، ومحمد قد مات فلم يبق فيه نفع وهو يرضى بكلامه وهذا كما تعلم كفر في المذاهب الاربعة .

فالجواب عن هذه المطاعن كلها أن نقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل هذا من افك الوضاعين الذين شرفوا بهذا الدين وأنسكرت قلوبهم فهووا بهذه

الأوضاع على الجهال والضغام وصادفت قلوباً قد ملئت بالشرك وعداوة أهل الإسلام فكانوا لما يديه هؤلاء يصدقون (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يرضوه وليقتروا ما هم مقتربون) .

(وأما قوله) ومنها أنه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ وينهى عن ذكرها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر ويعاقب من يفعل ذلك عقاباً شديداً حتى إنه قتل رجلاً أعمى مذنوباً لم ينته عما أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان ويلبس على أتباعه قائلًا إن ذلك مخالفة على التوحيد (فالجواب أن نقول) أما النهى عن الصلاة على النبي ﷺ بأى لفظ كان فلم ينه عنه بل هو من الكذب والبهتان .

وأما الجهر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان وعلى المنابر يوم الجمعة غير الإمام الذى يخطب فهو بدعة محدثة وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الأحاديث الصحيحة فان ذلك لم يكن على عهد الصحابة رضى الله عنهم ولا التابعين وقد قال ﷺ فى الحديث الصحيح « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفى لفظ « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . (وأما قوله) وكان قد أحرق كثيراً من كتب الصلاة على النبي ﷺ كدلائل الخيرات وغيرها .

(فالجواب أن نقول) أما مسألة منع الناس من قراءة دلائل الخيرات فقد أجاب عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالته التى كتبها الى عبد الرحمن ابن عبد الله حيث قال : وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك انى أشرت على من قبل نصيحتى من اخوانى أن لا يصير فى قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن وأما إحراقه والنهى عن الصلاة على النبي ﷺ بأى لفظ كان فهذا من البهتان اهـ .

(وأما قوله) وكذلك أحرق كثيراً من كتب الفقه والتفسير والحديث مما هو مخالف لأباطيله وكان يأذن لكل من اتبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه فأقول وهذا كله من الكذب والبهتان والزور والعدوان وقد قال الشيخ

ملا عمران نزيل لنجاة في رد مفتريات بعض هؤلاء الوضاعين فيما افتروه على
الشيخ من الأكاذيب فأجبت أن اذكرها لاشتغالها على بعض ما ذكره هذا
العراقي قال رحمه الله تعالى

جاءت قصيدتهم تروح وتفتدى	في سب دين الهاشمي محمد
قد زخرفوها للعوام بقولهم	ان الكتاب هو الهدى فيه اقتد
لو أن ناظمها تمسك بالذي	قد قال فيها أولا اذ يبتدى
بهدي ووفق ثم حاز سعادة	لا شك فيها عند كل موحد
لكنه قد زاغ عما قاله	متأولا فيه بتأويل رد
فأنت كشهد فيه سم نافع	من ذاق منه ففي الهلاك المبعد
اذ شبه الشيخ الامام المهتدى	بأخي مسيلة الكفور المعتدى
فهو الذي ان مات معتقداً بذات	ياويله ماذا يلاقى في غد
ماذا يجيب وما يقول ومن له	يوم القيامة وهو خصم محمد
قد شبه التوحيد بالكفر الذي	شهد الكتاب وسنة احمد
الشيخ شاهد بعض أهل جهالة	يدعون أصحاب القبور الحمد
تاجاً وشمسان ومن ضاهاهما	من قبة أو تربة أو مشهد
يرجون منهم قرينة وشفاعة	ويؤملون كذاك أخذاً باليد
ورأوا لعباد القبور تقرباً	بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما أنكر القراء والأشياخ ما	شهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في أكله	من كان يذبح للقبور ويفتدى
فأنهم الشيخ المشار اليه بالنصح	المبين وبالكلام الجيد
يدعوه هو الله أن لا تعبدوا	الا المهيمن ذا الجلال السرمد
لا تشركوا ملكاً ولا من مرسل	كلا ولا من صالح أو سيد
فتنافروا عنه وقالوا : ليس ذا	الا عجيب عندنا لم يعهد
ماقاله آباؤنا أيضاً ولا	أجدادنا أهل الحجي والسؤدد

انا وجدنا جملة الآبا على
فالشيخ لما ان رأى ذا الشأن من
ناداهموا يا قوم كيف جعلتموا
قالوا له : بل ان قلبك مظلم
قد عيروه بأنه قد كان في
قلنا لهم ماضر مصر بأنها
ان الفاردة الفراعنة الأولى
ذا قال : أنا رب وذا متنبئ
يجنا وشاما والعراق ومصرها
فبموتهم طابت وطار غبارها
ان المواطن لم تشرف ساكنا
من كان لله الكريم موحداً
وبعكسه من كان يشرك فهو لم
خرج النبي المصطفى من مكة
ان الاماكن لا تقدر أهلها
لو أنصفوا لرأوا له فضلاً على
ودعوا له بالخير بعد مماته
لكنهم قد عاندوا وتكبروا
ورموه بالبهتان والافك الذي
كمقالهم هو للتابع قاطع
حاشا وكلا ليس هذا شأنه
قالوا له : أشقى الورى مع كونه
قالوا له : يا سالكا طرق الردى
وهو يرون الشمس ظاهرة لهم
قالوا له : يا كافرا يا فاجرا

هذا فتنن بما وجدنا نفتدى
أهل الزمان اشتد غير مقلد
لله أنداداً بغير تعدد
لم تعتقد في صالح متعبد
وادی حنیفة دار من لم يسعد
كانت لفرعون الشقى الأطرده
كانوا بأرض الله أهل تمرد
هم في بلاد الله أهل تردد
من كل طاغ في البرية مفسد
وزهت بتوحيد الاله المفرد
فيها ولا تهديه ان لم يهتد
لومات في جوف الكنيف المطرد
يفلح ولو قد مات وسط المسجد
وبقى أبو جهل الذى لم يهتد
ان لم يكونوا قائمين على الهد
اظهار ما قد ضيعوه من اليد
ليكافئوه على وفاق المرشد
ومشوا على منهاج قوم حسد
هم يعملون به ومنهم يبتد
بدخول جنات وحوار خرد
بل انه يرجو بها الموحد
ينهى عن الأنداد للتفرد
لم لا تسير على الطريق الارشد
لكن أعنى القلب ليس بمهتد
ما ضره قول العداة الحسد

قالت قريش قبلهم للبصطفى
 قد أتهموه بأنه يغتال في
 فاذا أتوا قتلوا بغير جناية
 قالوا يعم المسلمين جميعهم
 بل كل من جعل العدیل لربه
 قالوا له : غشاش أمة أحمد
 هل قال : الا وحدوا رب السما
 وتمسكوا بالسنة البيضاء ولا
 هذا الذي جعلوه غشاشا وهو قد
 من عهد آدم ثم نوح هكذا
 وكذلك الخلفاء بعد نبيهم
 منهاجهم هذا عليه تمسكوا
 عجائز يتلوا الكتاب ويدعي
 ويقول للتوحيد غشاشا ان ذا
 ويجدد الاسلام والايمان معتقداً بأن الشيخ خير مجدد
 ماذنه في الناس إلا أنه هد القباب وتلك سيرة أحمد
 ماصح عهد ثقيف لما عاهدوا إلا بهدم اللات لو لم يعبد
 ما اللات إلا كان عبداً صالحاً لت السوق لطائف متعبد
 لما توفي عظموا لضريحه كصنيع عباد القبور النكد
 اذ كان حياً قادراً قاموا باطعام له وبكسوة وتفقد
 وإذا توارى عنهموا في قبره جعلوه ندا للاله السيد
 ولقد رأى الفاروق يوماً قبة نصبت على قبر تشد بأعمد
 فأشار نحوها دعوه يظله عمل له ان لم يكن عمل ردى
 وحديث أبي الهياج فيه كفاية لذوى البصائر والعقول النقد
 في طمس تمثال وقبر مشرف جاء الحديث به الصحيح لمسند

لما نفي الاطراء منهم والغلو
لو كان حبك للنبي محققا
أما الدلائل فهو لم ينكر بها
إلا التظاهر بالغلو وجعلها
قترى لهم حرصاً على تجويدها
لا يعتنون بمصحف لهمو كما
فلو اعتنى رب الدلائل بالذى
لكفاه كل مؤونة وتكلف
سأل النبي من الصحابة سائل
فأجاب يرشده بما قد جاء في
لوحت فيه ولم أصرح حيث لم
هذا الكلام على الدلائل ليس ما
وكذاك في روض الرياحين الذى
والله قد ذم الغلو فقال يا
اذ قال لا تغلو بنهى لازم
وكذا الرسول نهى وأخبر أنه
عجبا لهم لو كان فيهم منصف
من حيث أن الاتباع مقارن
قالوا: صبا تم نحوه، قلنا لهم:
ما بيننا نسب نميل به ولا
أيضاً ولا هو جارنا الاذى الذى
لكنها شمس الظهيرة قد بدت
فالعاملون العاملون المنصفو
لكن قليل منهمو في عصرنا
والله قد ذم الكثير وقال في

قالوا أنتيت بذا الجفاء المبعد
لفعلت فعلتنا لعلك تهتدى
صلوات أزكى العالمين الأبعد
درساً يكرر في كتاب مفرد
خطأ وتزويقاً وحسن مجلد
هم يعتنون براتب وبمولد
يأتى عقيب تشهد المتشهد
ومشى على النهج القويم الارشد
كيف الصلاة عليك كالمسترشد
قول المصلى دبر كل تشهد
يدخل على وزن القريض المنشد
قد قاله من شذعن ذا المقصد
فيها الغلو بصالح وبسيد
أهل الكتاب بغلظة وتهدد
في دينكم فالحكم لم يتردد
فيه الهلاك لراهب متعبد
لرأى المحب محمداً لمحمد
للحب في نص الكتاب الانجد
الحق شمس للبصير المهتدى
حسب يقربنا له بتودد
نمتار نعمته ولم نسترفد
لذوى البصائر فاهتدى من يهتدى
ن له أقروا بالفضائل واليد
كالشعرة البيضاء بمجلد اسود
حق القليل مقالة لم يتحدد

بسبب اوص فاتها متدبرا
فان اعتراكم في الذي قد قاله
فزنوا بميزان الشريعة قوله
ولئن وجدتم فاسقا أو جافيا
قد زل يوما أو هفا لا تنسبوا
فالآل والاصحاب ماذا ضرهم
من بعد ذاك الاجتماع على الهدى
ماذا يضر السحب نبج الكلب أم
ثم الصلاة على النبي محمد
والآل والاصحاب جمعا كلها
تلق الصحيح بها فغذه تهتد
شك وريب واختلاف يبتدى
تجدوه حقاً ظاهراً للبقتدى
أو جاهلا في العلم كالمرتد
هفواته لجناب ذاك المرشد
من بعدهم تكدير صافي المورد
ظهروا ذوى فرق وأهل تبدد
ماذا يضر الصحب سب الملحد
أزكى الورى أصلاً وأطيب محمد
قد ذب عن ذا الدين كل موحد

فصل

قال العراقي :

تمسك ابن عبد الوهاب في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها
على الموحدين

(الجواب أن يقال) هذا كذب بحت فانه لا يكفر رحمه الله أهل التوحيد
ولا يحمل الآيات النازلة في المشركين على الموحدين ، وإنما يكفر من أشرك
بالله في عبادته واتخذ معبودا سواه ، مع أن هذا المعترض لم يذكر الآيات التي
زعم أن الشيخ رحمه الله تمسك بها في تكفير الناس حتى ننظر هل كان محقا في
ذلك القول أو مبطلا ضالا ؟ ويقال أيضاً : ان منع تنزيل القرآن وما دل عليه
من الاحكام على الاشخاص والحوادث التي تدخل تحت العموم اللفظي فهو من
أضل الخلق وأجهلهم بما عليه أهل الاسلام وعلمائهم قرنا بعد قرن ، وجيلا بعد
جيل ، ومن أعظم الناس تعطلا للقرآن وهجرا له وعزلا له عن الاستدلال به
في موارد النزاع ، وقد قال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول)
الآية . والرد إلى هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول رد إلى سنته ، وقد

قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقد قال تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ) فنصوبه وأحكامه عامة لا خاصة بخصوص السبب ، وما المانع من تكفير من فعل كما فعلت اليهود من الصد عن سبيل الله والكفر به مع معرفته وهذا العراقى لا يبدى قولة في اعتراضه وتليسه الا هي أكبر من أختها في الجهالة والضلالة ولو كان يعرف الكتاب العزيز وما دل عليه من الأحكام والاعتبار لأحجم عن هذه العبارات التي لا يقولها الا أفسس الخلق من العلم والايان (وأما قوله) وروى البخارى في صحيحة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين وفي رواية أخرى عن ابن عمر انه عليه السلام قال : أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه ، فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب وأتباعه

(فالجواب أن يقال) هذا الوصف هو المنطبق عليك وعلى من نحائحوك من أهل الضلال حيث زعمت ان كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية لاتعارض اليقنيات فتأول إما إجمالاً ويفوض أمرها الى الله. وإما تفصيلاً كما هو رأى الكثيرين فالذى يتأول القرآن ويضعه في غير موضعه ويصرفه عن القول الراجح الى القول المرجوح بالتحكم والهوى — لان كتاب الله وسنة رسوله عندكم أدلتها ظنية لاتعارض نتائج عقول الفلاسفة وورثة المجوس والصائبة وطواغيت اليونان ومن أخذ بأقوالهم من المتكلمين بل قد صرحت أن العقل يقدم على النقل — فمن قدم معقول هؤلاء على كتاب الله وسنة رسوله فقد خرج من الدين وفارق جماعة المسلمين وأما ابن عبد الوهاب فهو وأتباعه لا يتأولون القرآن ولا يضعونه في غير موضعه بل يعملون بحكمه ويؤمنون بمتشابهه ولا يتأولون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما تفعلون أتم في تأويل آيات الصفات وأحاديثها وحاصل مقصود هذا العراقى ونقله تشبيه أهل الاسلام والتوحيد بالخوارج في تكفيرهم من عبد الانبياء والاولياء والصالحين ودعاهم مع الله — لان عباد القبور عندهم أهل التوحيد وأهل الاسلام — من جنس الخوارج

الذين يكفرون أهل القبلة « هذا حاصل كلامه ومضمون خطابه وهذا داء قديم في أهل الشرك والتعطيل ، من كفرهم بعبادة غير الله وتعطيل أوصافه وحقائق أسمائه قالوا له أنت مثل الخوارج يكفرون بالذنوب ويأخذون بظواهر الآيات ومعلوم أن الذنوب تتفاوت وتختلف بحسب منافاتها لأصل الحكمة المقصودة بإيجاد العالم وخلق الجن والانس وبحسب ما يترتب عليها من هضم حقوق الربوبية وتنقص رتبة الالهية وقد كفر الله ورسوله ﷺ بكثير من جنس الذنوب كالشرك وعبادة الصالحين وأخبر انه أكبر الكبائر كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الذنوب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قال قلت ثم أى ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال قلت ثم أى ؟ قال « أن تزاني حليلة جارك » فانزل الله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية فمن انكر التفكير جملة فهو محجوج بالكتاب والسنة ومن فرق بين ما فرق الله ورسوله من الذنوب ودان بحكم الكتاب والسنة وإجماع الأمة في الفرق بين الذنوب والكفر فقد أنصف ووافق أهل السنة والجماعة ونحن لم نكفر أحداً بذنوب دون الشرك الأكبر الذى أجمعت الأمة على كفر فاعله إذا قامت عليه الحجة وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد كما حكاه في الاعلام لابن حجر الشافعى

وأما قوله ويظهر من أقواله وأفعاله أنه كان يدعى أن ما أتى به دين جديد فالجواب أن نقول بل الذى يظهر من أفعاله وأقواله خلاف ما يزعمه هؤلاء الضالان فانه كان رحمه الله على الدين العتيق الذى كان عليه السلف الصالح والصدر الأول من الدعوة الى دين الله كما قال رحمه الله في رسالته الى عبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف الاحسائى قال : واما ما ذكرتم عنى فانى لم آت به بجهالة بل أقول والله الحمد والمنة وبه القوة اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ديناً قيماً لملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست والله الحمد ادعو الى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل

ابن القيم والذهبي او ابن كثير أو غيرهم بل ادعوا الى الله وحده لا شريك له
وادعوا الى الله سنة رسول الله ﷺ التي وصى بها أول أسـته وآخرهم وأرجو اني
لا أرد الحق اذا أتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتاني منكم كلمة
من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ولا ضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال
أمتي حاشا رسول الله ﷺ فانه لا يقول الا الحق اه فهذا نص كلامه رحمه الله
كما ترى لم يقل فيه ولا في غيره من كلامه ان ما أدعوكم اليه دين جديد بل كان
رحمه الله يحدد ما اندرس من معالم الدين العتيق ويوطد أساس الملة المحمدية
التي انطمتت أعلامها وأقوت رسومها كما قال الامير محمد بن اسمعيل الصنعاني
رحمه الله في آيات له قال فيها :

قفي واسألني عن عالم حل سوحها	به يهتدى من ضل عن منهج الرشـد
محمد الهادي لسنة أحمد	فياحبذا الهادي وياحبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله	بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل	ولا كل قول واجب الرد والطرـد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله	فذلك قول جلّ ياذا عن الرد
وأما أفاويل الرجال فانها	تدور على قدر الأدلة في النـقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه	يعيد لنا الشرع الشريف بما يـدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل	ومبتدع منه فوافق ما عنـدي
ويعمر أركان الشريعة هادما	مشاهد ضل الناس فيها عن الرشـد
اعادوا بها معنى سواع ومثله	يغوث وود بش ذلك من وـد
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفـرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة	أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل	ومستلم الأركان منهن باليد

وقال الشيخ الامام عالم الأحساء أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى في
آيات له

لقد رفع المولى به رتبة الهدى بوقت به يعلى الضلال ويرفع

سقاء نمير الفهم مولاه فارتوى
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها
وشمر في منهاج سنة أحمد
ينظر بالآيات والسنة التي
فاضحت به السمحاء يبدى ثغرها
وعاد به نهج الغواية طامسا
وجرت به نجد ذبول افتخارها
فأثاره فيها سوام سوافر
وعاد بتبار المعارف يقطع
وأوهى به من مصلح الشرك مبيع
سواه ولا حاذى فناها سميدع
يشيد ويحيى ما تعفى ويرفع
أمرنا إليها في التنازع نرجع
وأمسى بحياها يضىء ويلبع
وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وحق لها بالالتمى ترفع
وأنواره فيها تضىء وتستطع

وبهذا يظهر لكل ذى عقل سليم ، ودين مستقيم ، انه لم يكن يدعو الى دين جديد كما يزعمه هؤلاء المارقون عن دين الاسلام

وأما قوله ولذلك لم يقبل من دين النبي ﷺ إلا القرآن وقبوله إياه إنما كان ظاهراً

فالجواب أن نقول وهذا أيضاً من نمط ما قبله من المفتريات . ورعونات الخزعبلات والخرافات

وأما قوله : والدليل على ذلك انه هو واتباعه كانوا يأولون القرآن بحسب أهوائهم لا بحسب ما فسر به النبي ﷺ وأصحابه . والسلف الصالح ، وأئمة التفسير . وما كان يقول بأحاديث النبي ﷺ ، وأقاريل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، ولا بما استنبطه الأئمة من الكتاب والسنة ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح ، وكان يدعى الانتساب إلى مذهب الامام احمد كذباً وتسترأ . وقد رد عليه أضراليه كثير من علماء الحنابلة وألفوا في ذلك رسائل عديدة حتى اخوه سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة في الرد عليه كما ذكرناه . وكان يقول لعلماء اجتهدوا بحسب نظرهم واحكموا بما ترونه مناسباً للدين ، ولا تلتفتوا لهذه الكتب المتداولة ، فإن فيها الحق والباطل وقتل كثيراً من العلماء والصالحين لأنهم لم يوافقوه على ما ابتدعه

فالجواب أن نقول : قد اجاب عن هذه الاكاذيب والمفتريات الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقال رحمه الله : وأما ما يكذب علينا سترأ للحق ، وتليساً على الخلق بأننا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا من دون مراجعة شرح ، ولا نعول على شيخ ، وانا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا انفع منه ، وليس له شفاعة ، وان زيارته غير مندوبة ، وانه كان لا يعرف معنى لا إله الا الله حتى انزل عليه ، (فاعلم انه لا إله الا الله) مع كون الآية مدنية ، وانا لا نعتمد أقواله ، وتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وانا مجسمة ، وانا نكفر الناس على الاطلاق من بعد الستائة الا من هو على ما نحن عليه . ومن فروع ذلك انا لا نقبل يعة احد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركا ، وان ابويه ماتا على الاشرار بالله ، وانا نهى عن الصلاة على النبي ﷺ ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً ، وانا لا نرى حقاً لأهل البيت ، وانا نجبرهم على تزويج غير الكف . لهم . وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتسكج شابا اذا ترافعوا اليها ولا وجه لذلك ، لجميع هذه الخرافات واشباهاها لما استفهمنا عنها من ذكرنا جوابنا عليه في كل مسألة سبحانه هذا بهتان عظيم . فن روى عنا شيئاً من ذلك ونسبه اليها فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا وحضر مجلسنا وتحقق ما عندنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا ، وافتراه أعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله على انه لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

فهذا واشباهه مما تقدم ذكره عن هذا العراقي وأمثاله من الكذب على شيخ الاسلام وعلم الهداة الاعلام لا يعتمد عليه ويصدق في ذلك إلا ضال مضل .

فصل

قال العراقي : قال العلامة السيد العلوي الحداد إن المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لما أنه استحل أموراً مجتمعة على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ ، وهو مع ذلك ينتقص الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وانتقاصهم عمداً كفر بالاجماع عند الأئمة الأربعة .

والجواب أن يقال هذا كله كذب واقتراء . وهذا الرجل المسمى بالحداد ليس هو من العلماء المشهورين بالعلم والدين والصلاح ، بل كان من الغالين في الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، لأنه زعم أن من أمر بتوحيد الله بالعبادة وإخلاصها لله وحده دون من سواه ، فقد تنقص الأنبياء والأولياء والصالحين ، وقد كان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن من صرف لغير الله شيئاً منها كان مشركاً سواء كان ذلك الغير من الأنبياء والصالحين ، فلو كان هذا عالماً ، أركان يعرف قواعد الإسلام ومبانيه العظام مافاه بمثل هذه الورطات وبهرج بهذه الخرافات ، بل هذا يدل على جهله وعدم معرفته وعليه . ومن كان هذا حاله وهذه أقواله فلا يعول عليه ، ولا يلتفت إليه ، ولا يعتمد على قوله ونقله إلا أشباه الانعام السائمة ، فلو ذكر عدو الله شيئاً مما نسبته إلى الشيخ مما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لبينا بطلان قوله ولكنه عدل إلى هذه المخرفة الساجدة ؟

فصل

قال العراقي : ثم أنه صنف لابن سعود رسالة سماها كشف الشبهات عن هالق الأرض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة ، وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قریش على أتقياء الأمة ،

واتخذ ابن سعود ما يقوله وسيلة لاتساع الملك وانقياد الأعراب له . فصار ابن عبد الوهاب يدعو الناس الى الدين ، ويثبت في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مرأه . ومن قتل مشركاً فقد وجبت له الجنة ، وكان ابن سعود يمثل كل ما يأمر به . فإذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك وكان ابن عبد الوهاب في قومه كالنبي في أمته لا يتركون شيئاً مما يقوله ، ولا يفعلون شيئاً الا بأمره ، ويعظمونه غاية التعظيم ، ويبجلونه غاية التبجيل ، وما زالت أحياء العرب وقبائلها تطيعه حتى اتسع بذلك ملك ابن سعود وملك أولاده بعده ، وحارب الشريف غالباً رحمه الله خمس عشرة سنة حتى عجز عن حربه ، ولم يبق أحد الا صار من حزبه . ودخل مكة بالصلح سنة ألف ومائتين وعشرين ، واستمر فيها سبع سنين الى أن جهزت الدولة العلية عساكرها المنصورة عليه ، ووجهت الأمر الى وزيرها المفخم محمد علي باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش بأسلة ، وطهر الأرض منه ومن أنبائه ، ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين فاقبى وأباد من بقى منهم .

والجواب أن نقول . نعم صنف الشيخ رحمه الله تعالى كشف الشبهات ، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات فأدحض حججهم ، وبين تهاقضهم ، وكان كتاباً عظيماً النفع على صغر حجمه ، جليل القدر ، انقمع به أعداء الله ، وانتفع به أولياء الله ، فصار علماً يقتدى به الموحدون ، وسلسيلاً يرده المهتدون ، ومن كوثره يشربون ، وبه على أعداء الله يصلون ، فله ما أنفعه من كتاب ، وما أوضح حججه من خطاب ، لكن لمن كان ذا قلب سليم ، وعقل راجح مستقيم .

وأما قوله (عن خالق الأرض والسماوات) فأقول لم أسمع بهذه الكلمة الا عن هذا العراقي . وأما قوله كفر فيها جميع المسلمين .

فأقول حاشا وكلا ما كفر فيها مسلماً ، وإنما كفر من أشرك بالله وعدل به أحداً سواه .

وأما قوله : وزعم أن الناس كفار منذ ستائة سنة فأقول هذا كذب لم يثبت عنه هذا اللفظ في هذه الرسالة ولا في غيرها ، بل قد أجاب عن هذه المسألة وغيرها في رسالته لعدو الله عبد الله بن سحيم حيث قال فالمسائل التي شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله اني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : اني أقول ان الناس من ستائة سنة ليسوا على شيء ، وقوله اني أقول أن اختلاف العلماء نقمة ، وقوله اني أكفر من توسل بالصلحين ، وقوله اني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق الخ .

وقوله اني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ولو أقدر على الكعبة لا أخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب وقوله اني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ وقوله اني أنكر زيارة قبر اوالدين وغيرهم وانى أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول سبحانه هذا بهتان عظيم ولكن قبله من بهت محمد ﷺ انه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين تشابهت قلوبهم وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزير في النار فأنزل الله في ذلك (ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) .

وأما قوله وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أئقياء الامة فقد تقدم الجواب على هذه الدعوى الباطلة فيما تقدم وأما قوله وبث في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء مشرك بلا مرأى ومن قتل مشركاً فقد وجبت له الجنة فأقول هذا كذب واقتراء كما تقدم بيانه .

فصل

ثم ذكر العراقي محاربة آل سعود الشريف غالباً وعجزه عن منازاتهم ودخولهم مكة بالصلح الى قوله ثم جهزت الدولة العلية الى آخره .
فأقول قد ذكرنا فيما تقدم ما أوقع الله بمن عادى المسلمين من العقوبات وان آخر أمرهم صار الى تباب كما ذكره شيخنا رحمه الله في المقامات ثم قال شيخنا رحمه الله تعالى « وأما الدولة التركية المصرية فابتلى الله بهم جميع المسلمين لما

ردوا حاج الشامي عن الحج بسبب أمور كانوا يفعلونها في المشاعر فطلبوا منهم أن
 يتركوها وأن يقيموا الصلاة جماعة فاحصل منهم ذلك فردم سعود رحمه الله
 تدبنا فغضبت تلك الدولة التركية وجرى عندهم أمور يطول عدها ولا فائدة في
 ذكرها فأمروا محمد علي صاحب مصر أن يسير اليهم بعسكره وبكل ما يقدر
 عليه من القوة والكيد فبلغ سعود ذلك فأمر ابنه عبد الله أن يسير لقتالهم
 وأمره أن ينزل دون المدينة فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبد الرحمن
 المضايقي وأهل بيته وقحطان وجميع العربان فنزلوا بالجديدة فاختر عبد الله
 ابن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم وذلك أن العسكر المصري في ينبع،
 فاجتمع المسلمون في بلد حرب وحفروا في مضيق الوادي خندقا وعبثوا الجموع
 وصار في الخندق من المسلمين أهل نجد وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في
 الجبل فوق الخندق فحين نزل العسكر ارتدت خيولهم وعلبوا أنه لا طريق لها
 الى المسلمين فأخذوا يضربون بالقبوس فدفع الله شر تلك القبوس الهائلة عن
 المسلمين أن رفعوها مرت ولا ضرت وان خفضوها اندفت في التراب فهذه
 عبرة وذلك أن أعظم ما معهم من الكيد أبطله الله في الحال ثم مشوا على عثمان
 ومن معه في الجبل فتركهم حتى قربوا منه فرموهم بما احتسبوه به وما أعدوه لهم
 حين أقبلوا عليهم فما أخطأ لهم بندق فقتلوا العسكر قتلا ذريعا وهذه أيضا من
 العبر لان العسكر الذي جاءهم أكثر منهم باضعاف ومع كل واحد من الفروء
 والمزندات فما أصابوا رجلا من المسلمين وصار القتل فيهم وهذه أيضا عبرة
 عظيمة هذا كله وأنا أشاهده ثم مالوا الى الجانب الايمن من الجبال بجميع
 عسكرهم من الرجال وأما الخيل فليس لها فيه مجال فانهمز كل من على الجبل من أهل
 يشه وقحطان وسائر العربان إلا ما كان من حرب فلم يحضروا واشتدوا على المسلمين
 لما صاروا في أعلى الجبل فصاروا يرامون المسلمين من فوقهم فخمى الوطيس آخر
 ذلك اليوم ثم من الغد فاستنصر أهل الاسلام ربهم الناصر لمن ينصره فلما قرب
 الزوال من اليوم الثاني نظرت فاذا برجلين قد أنيا فصعدا طرف ذلك الجبل فما
 سمعنا لهم بشدقا ثارت إلا أن الله كسر ذلك اليرق ونحن ننظر فتابعنا الهزيمة

على جميع العسكر فولوا مدبرين وجنبوا الخيل والمطرح وقصدوا طريقهم الذى
جاءوا معه فقتلهم المسلمون يقتلون ويسلبون هذا ونحن ننظر الى تلك الخيول
قد حارت وغارت وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب الخندق ومعهم
بعض الرجال فولت تلك الخيول مدبرة فقتلهم خيول المسلمين فى اثرهم وليس
معهم زاد ولا مزاد فانظر الى هذا النصر العظيم من الإله الحق رب العباد لأن
الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين فهذه ثلاث عبر لكن أين من يعتبر
فأخذوا بعد ذلك مدة من السنين

ثم بعد ذلك سار طوسون كبير ذلك العسكر الذى هزمه الله فقصد المدينة
قوراً وأمر سعود على عبد الله ومن معه من المسلمين أن ينهضوا لقتالهم
فوجدوهم قد هجموا على المدينة ودخلوها وأخرجوا من كان بها من أهل نجد
وعسير فحج المسلمون تلك السنة فأقبل ذلك العسكر ونزل رابغ ونزل المسلمون
وادی فاطمة فخان لهم شريف مكة وضمهم اليه وجاءوا مع الخبيث على غفلة من
المسلمين فعلم المسلمون أنهم لا مقام لهم مع ما جرى من الخيانة فرجعوا الى
أوطانهم يخاف عثمان وهو بالطائف أن يكون الحرب منهم ومن الشريف عليه
لما يعلم من شدة عداوتهم فخرج بأهله وترك لهم الطائف أيضاً مخافة أن يجتمعوا على
حربه وليس معه إلا القليل من عشيرته ولا يأمن أهل الطائف أيضاً فنزل المسلمون
بتربه بعد ذلك نحواً من شهر ثم رجعوا حين أكلوا ما معهم من الزاد فجري
بعد ذلك وقعت بينهم وبين المسلمين ولا فائدة فى الاطالة بذكرها والمقصود
أن استيلائهم على المدينة ومكة والطائف كان بأسباب قدرها الملك الغلاب
فيريك عزته ويبدى لطفه والعبد فى الغفلات عن ذا الشأن

وفى ما من العبر أن الله ابطل كيد العدو وحى الحوزة وعافى المسلمين من
عمرهم وصار المسلمون يغزونهم فيما قرب من المدينة ومكة فى نحو من ثلاث
سنين أو أربع فتوفى الله سعود رحمه الله وهم غزاة على من كان معينا لهذا
العسكر من البوادی فأخذوا وغنموا فبقى لهم من الولاية ما كانوا عليه أولاً إلا
ما كان من مكة والطائف وبعض الحجاز وبعد وفاة سعود رحمه الله تجهزوا

للجهاد على اختلاف كان من أولئك الأولاد فصار المسلمون جانبين جانباً مع عبد الله وجانباً مع فيصل أخيه فنزل الحناكية عبد الله ونزل فيصل تربة باختيار وأمر من أخيه له فوافق أن محمد على حج تلك السنة فواجه فيصل هناك فطلب منه أن يصلحه على الحرمين فأبى فيصل واغظ له الجواب وفيما قال :

لا اصلاح الله منا من يصلحككم حتى يصلح ذئب المعز راعيها
فأخذت محمد على العزة والانفة فصار الى بسل والظاهر أنه كان حريصاً على الصلح فاستعجل فيصل بمن معه فساروا اليه في بسل وقد استعد لجرهم خوفاً مما جرى منهم فاقبلوا وهم في منازلهم فصارت عليهم العساكر والخيول فولوا مدبرين لكن الله أعز المسلمين فخبس عنهم تلك الدول والخيول حتى وقفوا على التلول فسلم أكثر المسلمين من شرهم واستشهد منهم القليل ولا بد في القتال من أن ينال المسلم أو ينال منه قال الله تعالى : (وتلك الايام نداولها بين الناس) الآيات وقال تعالى (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) الى قوله (والله يحب الصابرين) الآيات

وقد قال هرقل لابي سفيان فما الحرب بينكم وبينه قال : سجال ، ينال منا وننال منه فهذه سنة الله في العباد زيادة للذممين في الثواب وتغليظاً على الكافرين في العقاب . وأما عبد الله فرجع بمن معه فلم يلق كيداً دون المدينة ففكر في حماية الله لهذه الطائفة مع كثرة من عاداهم وناوأهم ومع كثرة من أعان عليهم من ارتاب في هذا الدين وكرهه وقبل الباطل وأحبه فما أكثر هؤلاء لكن الله قهرهم بالاسلام في هذا المقام عبرة وهو أن الله أعزهم وحفظهم من شر من عاداهم فله الحمد والمنة

وبعد ذلك رجع محمد على الى مصر وبعث الشريف غالب الى اصطنبول وأمر ابنه طوسون أن ينزل الحناكية دون المدينة وأمر العطاس أن يسعى بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له من مكة وأراد الله أن أهل الرس يخافون لانهم صاروا في طرف العسكر فاستلحقوا لهم جماعة من المغاربة وطوسون على الحناكية وصار في أولاد سعود نوع من العجلة في الأمور

فأمروا على الرعايا بالمسير الى الرس فنزلوا الرويضة فتحصن أهل الرس بمن
عندهم فأرجبت تلك العجلة ان استفزعوا أهل الرس أهل الحناكية فلما جاء
الخبر بأقبالهم نصرة لأهل الرس ارتحل المسلمون يلتمسون من أعانهم من
حرب ما بينهم وبين المدينة فصادفوا خزنة العسكر فقتلوهم وأخذوا ما معهم
فهذا مما يسره الله من النصر من غير قصد ولا دراية فرجع المسلمون الى
عينزة والعسكر نزلوا الشيبية قريبا منهم ويسر الله للمسلمين سبباً آخر وذلك من
توفيق الله ونصره وجهزوا جيشاً وخيلاً فأغاروا على جانب العسكر فخرجوا
عليهم فزهمهم الله وقتل المسلمون فيهم قتلاً كثيراً فآلئى الله الرعب فى قلوبهم على
كثرة من أعانهم وقوة أسبابهم وذلك من نصر الله لهذا الدين فرجعوا الى
الرس خوفاً من هجوم المسلمين عليهم فتبعهم المسلمون ونزلوا الحيتاوى فقدم
العطاس على الامر الذى عمده عليه محمد على فوجد الحال قد تغير ابتداء
فمنعوه بما جاء له ثم إنهم سعوا فى الصلح والمسلمون على الحيتاوى وكل يوم
يجرى بين الخيل طراد فل أكثر المسلمين من الاقامة فلم يبق منهم إلا شذمة
قليلة فجاء منهم اناس يطلبون الصلح فاصلحهم عبد الله رحمه الله تعالى وطلبوا
منه ان يبعث معهم رجلاً من أهل بيته خوفاً أن يعرض لهم أحد من المسلمين
فى طريقهم فبشى معهم محمد بن حسن بن مشارى الى المدينة

والمقصود أن الله سبحانه أذلهم وألقى الرعب فى قلوبهم وحفظ المسلمين
من شرهم بل غنمهم بما بأيديهم من حيث بذلهم المال بشرائهم الهجن فاشتروا
من المسلمين الذلول بضعتى ثمنها - إلى أن قال رحمه الله - فلو ساعد القدر وتم
هذا الصلح لكان الحال غير الحال لكن ما أراده الله تعالى وقع على كل حال ،
لكن جرى من عبد الله بن سعود رحمه الله تعالى ما أوجب نقض ذلك الصلح
وهو أنه بعث عبد الله بن كثير لغامد وزهران بخطوط مضمونها أن يكونوا فى
طرفه وفى امره فبعثوا بها إلى محمد على فلم يرض بذلك وقال إنهم من جملة
ما وقع عليهم الصلح فهذا هو سبب النقض وانشأ عسكراً مع ابراهيم باشا ونزل
الحناكية ثم ذكر وقعة الماوية ثم قدومه الى الدرعية واخذ فى حصارها قدر

ثمانية أشهر وهو يضربهم بالقنابر والقبوس ثم انتهى الامر الى الصلح فاعطاهم العهد والميثاق على ما في البلد من رجل أو مال حتى الثمرة التي على النخل لكن لم يف لهم بما صالحهم عليه وغدر باناس منهم سليمان بن عبد الله وبعد هذا تشتت أهل البلد عنها وقطع النخل وهدم المساكن إلا القليل وبعث بعبد الله بن سعود لمصر واتبعه عياله واخوانه وكبار آل الشيخ وبعد ذلك حج فسلط الله على عسكره الفنا ولم يصل الى مصر الا القليل فلما وصل مصر حل بهم عقوبات أهل الاسلام فشئى على السودان ولا اظفره الله فرجع مريضاً ، ثم ان محمد على بعث ابنه اسماعيل وتمكن منهم بصلح فلما رأوا منه الخيانة بأخذ عبيد وجوارا حرقوه بالنار في بيته ومن معه من العسكر ثم بعد ذلك بعث لهم دفتردار ولا حصل منهم شيئاً

فأما عسكر الحجاز التي وصلت مصر قبل ابراهيم باشا حسين بك الذي صار في مكة وعابدين بك الذي صار في اليمن فسيرهم محمد على قبل هذا الحرب الى موره وجريد لما خرجوا على السلطان فاستمده السلطان على حربهم فأمدّه بهذين العسكرين فهلكوا عن آخرهم ولم يفلت منهم عين تطرف وذلك أن موره وجريد في الاصل ولاية للسلطان فخرجوا عليه فهلك من عسكر السلطان والعساكر المصرية في حربهم ما لا يحصى وهذه عقوبة أجراها الله عليهم بسبب ما جرى منهم على أهل الاسلام حتى العرناووط في جبلهم عصوا على السلطان قبل حادثة موره وجريد . وبعد هذا الامر اشتد الامر على السلطان وبعث يستنصر محمد على فبعث عسكراً كبيرهم قارىء على فهلكوا في البحر قبل أن يصلوا ثم ان السلطان بعث نجيب أفندي لمحمد على يطلب منه أن يسير بنفسه فبعث اليه يعتذر بالمرض وأن ابراهيم باشا يقوم مقامه وقبل ذلك بعث حسين بك الذي سبا أهل نجد وقتل منهم البعض في ثردا وفرغ للسلطان قبل مسير ابراهيم باشا بعسكره الذي كان معه في نجد وتبعه ابراهيم باشا يمدّه ونزلوا موره لحرب أهلها فأذلهم الله لهم فقتلوا فيهم قتلاً عظيماً

فأما عسكر حسين بك فلم يقدم مصر منه الا صبي . وأما ابراهيم باشا

فاشتري نفسه منهم بالاموال فانظر الى هذه العقوبات العاجلة التي أوقعها الله على الأمر والمأمور واكثر الناس لا يدري بهذه الامور . وهذا الذي ذكرناه فيه عبرة عظيمة وشاهد لأهل هذا الدين أن الله لما سلط عليهم عدوهم ونال منهم ما نال صارت العاقبة السلامة والعاقبة لمن ثبت على دينه واستقام على دين الاسلام

ثم ان الله تعالى اوقع بعدوهم ما ذكرنا واعظم لكن ذكرنا الواقع على سبيل الاختصار لقصد الاعتبار (فاعتبروا يا اولي الابصار) . ثم ان الله اجري على من اعانهم من أهل نجد من شك منهم في هذا الدين واكثر الطعن على المسلمين أن الله تعالى أفناهم وهذه أيضا من العبر لم يبق أحد من اظهر شره وانكاره وعداوته للمسلمين الا وهو جل باهلاك والذهاب اه

ثم ذكر رحمه الله ظهور خالد واسماعيل وذلك بعد أن رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله على تركي بن عبد الله ثم على ابنه فيصل وذكر رحمه الله ماجرى من تسلط العساكر المصرية على أهل هذه الدعوة الحمدية وما جرى من الملاحم العظيمة مما يطول عده وتمكنهم من فيصل وأخذهم له وارساله لمصر ثم صار في هذه العساكر من الذهاب والعذاب والفساد لما أوقع الله الحرب بين السلطان ومحمد علي وذلك من العقوبات ، ثم رد الله الكرة لأهل نجد وجمعهم الله بالامام فيصل فرجعوا كما كانوا أولا على ما كانوا عليه قبل حرب هؤلاء الدول

والمقصود بما ذكرنا الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن تمسك به وأيدهم بالنصر على ضعفهم وقتلهم واوقع بأسه بهذه الدول على قوتهم وكثرتهم واسباب كيدهم ثم ان الله تعالى اهلك تلك الدول بما اجري عليهم من حرب النصارى في بلاد الروم فكل دولة مشيت على نجد والحجاز لم يبق منهم اليوم عين تطرف وكانوا لا يحصى عددهم الا الله فهلكوا في حرب النصارى فصارت العاقبة العافية والظهور لمن جاهدكم في الله من الموحدين فجمع الله لهم بعد تلك الحوادث العظيمة من النعم والعز والنصر مالا يحيط بالبال ولا يدور في الخيال

ومن عجيب ما اتفق عليه لأهل الدعوة أن محمد بن سعود عفا الله عنه لما
 وفقه الله لقبول هذا الدين ابتداءً بعد تخلف الأسباب وعدم الناصر شمر في
 نصرته ولم يبال بمن خالفه من قريب أو بعيد حتى أن بعض أناس ممن له قرابة
 به عذله عن هذا المقام الذي شمر إليه فلم يلتفت إلى عذله عاذل ولا لوم لائم ولا
 رأى مراتب بل جد في نصرته هذا الدين فلكه الله تعالى في حياته كل من
 استولى عليه من القرى ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته يسوسون الناس بهذا
 الدين ويجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء فزادت دولتهم وعظمت صولتهم
 على الناس بهذا الدين الذي لا شك فيه ولا التباس فصار الأمر في ذريته
 لا ينازعهم فيه منازع ولا يدافعهم عنه مدافع وأعظام الله القبول والمهابة وجمع
 الله عليهم من أهل نجد وغيرهم ممن لا يمكن اجتماعهم على إمام واحد إلا بهذا
 الدين وظهرت آثار الإسلام في كثير من الأقاليم النجدية وغيرها مما تقدم ذكره
 وأصلح الله بهم ما أفسدت تلك الدول التي حاربهم ودافعتهم عن هذا الدين
 ليطفئوه فأنى الله ذلك وجعل لهم العز والظهور ، انتهى ما ذكره الشيخ

والمقصود أن هذا العراقي ذكر أن الدولة المصرية أمنت المسلمين وأبادتهم
 ولم يبق منهم أحد وقد أبقي الله وله الحمد والمنة من آل سعود من أقام هذا
 الدين وجاهد فيه وأحيا ما اندرس من معاملة بعد تلك الدول ونسأل الله أن
 يديم ذلك وأن يجعلهم أئمة هدى وأن يوفقهم لما وفق له الخلفاء الراشدين الذين
 لهم التقدم في نصرته هذا الدين والحمد لله رب العالمين .

فصل

قال العراقي : ومن قبائح ابن عبد الوهاب الشنيعة أنه منع الناس من زيارة
 قبر النبي ﷺ فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروه ﷺ فلما رجعوا
 مروا على ابن عبد الوهاب في الدرعية فأمر بحلق لحامهم واركبهم مقلوبين
 إلى الاحساء .

(والجواب) أن هذا كذب واقتراء فان الشيخ قال في جواب اثنتي عشرة

مسألة منها انكاره زيارة قبر النبي ﷺ مانصه :

فهذه اثنتا عشرة مسألة جوائى فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم)
وقد تقدم ذكرها . وأما كونه حلق لحا اناس من أهل الاحساء فهو من تصرف
هذا العراقي فانه لم يذكرها إمام ضلالتهم أحمد بن زيني دحلان في مفترياته وهم
إنما يمشون على ما اقترحه لهم واقتراه (فبعداً للقوم الظالمين)

وأما قوله قد أخبر النبي ﷺ عن هؤلاء الانوارج في أحاديث كثيرة فكانت
من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام لأن فيها اخباراً بالغيب فنها قوله عليه
الصلاة والسلام « الفتنة من ههنا ، وأشار إلى المشرق وقوله ﷺ « يخرج اناس
من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه - يعنى موضع الوتر -
سيهام التحليق » وفي رواية زيادة على ذلك « هم شر الخليفة طوبى لمن قتلهم أو
قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء » وقوله ﷺ « اللهم بارك لنا في
شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ؟ قال « هناك
الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » . وقوله ﷺ « يخرج ناس من المشرق
يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم المسيح
الدجال سيهام التحليق » وفي قوله ﷺ « سيهام التحليق ، تنصيص عن هؤلاء
القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد ابن عبد الوهاب فيما ابتدعه .

فالجواب أن يقال لقد - والله - أمكن الرامى من سواء الثغرة ، وعلى نفسها
تجنى براقش . فان قوله ﷺ « الفتنة ههنا الفتنة ههنا ، وأشار إلى المشرق مراده
مشرق المدينة وهو العراق كما يأتى ذلك في الأحاديث وفي كلام أهل العلم .

فأما قوله : فنها قوله ﷺ « الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا ، وأشار إلى المشرق
أقول روى البخارى في كتاب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا عن
سالم عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال « الفتنة ههنا الفتنة ههنا
من حيث يطلع قرن الشيطان - أو قال - قرن الشمس ، وفي رواية عنه أنه سمع
رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول « الا ان الفتنة هاهنا من حيث

يطلع قرن الشيطان، وفي رواية عنه قال ذكر النبي ﷺ « اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يشير بيده نحو المشرق ويقول « ها ان الفتنة هاهنا - ثلاثاً - حيث يطلع قرن الشيطان » وله من طريق حنظلة عن سالم مثله قال « ان الفتنة هاهنا ثلاثاً » وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم ابن عبد الله بن عمر يقول « يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبا يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الفتنة تجيء من ههنا وأرمي بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان » كذا فيه بالثنية فبين من هذا الحديث الصحيح أن المراد بالمشرق العراق ولا بدع فهو منبع كل فساد ومنشأ كل الحاد، قال الخطابي: نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها فهي مشرق أهل المدينة « واصل نجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها » وقال الحافظ في الفتح: وقال غيره « كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين » وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة، انتهى، وقال القسطلاني إنما أشار عليه الصلاة والسلام الى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية وكذا وقعت فكانت وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق وكان أصل ذلك وسببه قتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه وهذا من أعلام نبوته ﷺ انتهى .

فتبين مما ذكره الشراح أن المراد من قوله من قبل المشرق أنه العراق ونواحيه لأن به كانت وقعة الجمل ووقعة صفين وهي لم تكن إلا في ناحية العراق وخروج الخوارج إنما كان من البصرة والكوفة فأين هذه الأماكن من

اليامة لو كانوا يعلمون ولكن الأمر كما قيل « رمته بدائها وانسلت » وقال
 الداودي « ان نجدنا من ناحية العراق ذكر هذا الحافظ ابن حجر ، ويشهد له
 ما في مسلم عن ابن غزوان سمعت سالم بن عبد الله سمعت ابن عمر يقول يا أهل
 العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت رسول الله ﷺ يقول
 « إن الفتنة تجيء من ههنا وأوى يده إلى المشرق ، فظهر أن هذا الحديث خاص
 لأهل العراق لأن النبي ﷺ فسر المراد بالإشارة الحسية وقد جاء صريحا في
 الكبير للطبراني النص على أنها العراق وقول ابن عمر وأهل اللغة وشهادة الحال
 كل هذا يعين المراد ومن المعلوم بالضرورة أن وقعة الجمل وصفين لم تكن
 بأرض اليامة ولا كان خروج الخوارج على علي رضي الله عنه إلا يجر وراءه
 من جهة العراق ونواحيها .

وأما قوله في الحديث الآخر يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن الخ
 فأقول الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد عن معبد بن سيرين عن
 أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يخرج ناس من قبل المشرق
 يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية
 لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه ، قيل ما سيأثم قال « التحليق » أو قاله
 التسديد ، وقد وقع مصداق ما أخبر به ﷺ من خروج هؤلاء المارقين على هذه
 الصفة التي أخبر بها رسول الله ﷺ وكان خروجهم من جهة العراق كما ذكره
 الشراح ، قال الحافظ في الفتح في آخر كتاب التوحيد تحت قوله ﷺ « يخرج ناس
 من قبل المشرق ، تقدم في كتاب الفتن أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم
 وكان ابتداء خروجهم في العراق وهي من جهة المشرق بالنسبة إلى مكة المشرقة
 انتهى . وأخرج البخاري عن بشير بن عمرو قال « قلت لسهل بن حنيف هل
 سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئا ؟ قال : سمعته يقول : وأهوى يده قبل
 العراق « يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الإسلام
 مروق السهم من الرمية »

وأما قوله ﷺ « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا ، الحديث

فالجواب أن يقال وصف أهل اليمامة بهذا كذب على رسول الله ﷺ فانه لم يصف أهل نجد وأهل اليمامة بهذا ولا دخل في وصفه من يؤمن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم بل الموصوف باجماع المسلمين هم الحرورية الخارجون على الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أهل السكوة والبصرة وما يليها من بني يشكر ومن طي وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا ، ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر ولذلك نسبوا اليه وقيل أهل النهروان وحروراء بلدة هناك نسبوا اليها فقيل الحرورية وبعض ألفاظ الحديث في بعض الطرق دال على تلك الخصوصية كما وقع في رواية البخاري عن أبي سعيد ديجرجون على حين فرقة من الناس ، قال أبو سعيد شهدت لسمعته من النبي ﷺ وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه حين جيء بالرجل على التعت الذي نعته النبي ﷺ وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد دتمرق مارقه عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق ، وكذلك الحديث الذي أورده العراقي (الزهاوي) من قوله ﷺ د يخرج من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال ، قال بعض المحققين من أهل العلم في رده شبه دحلان : لم أقف على هذا اللفظ ولكن أخرج معناه النسائي من حديث أبي برزة وأخرج ابن ماجه معناه من حديث ابن عمر ولفظه أن رسول الله ﷺ قال « ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع » قال ابن عمر حتى يخرج في عراضهم الدجال وفي مجمع الزوائد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون مع بقيتهم الدجال » رواه الطبراني وإسناده حسن . انتهى

وأما قوله « وفي قوله ﷺ د سيام التحليق » تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لأنهم كانوا يأمرؤن من اتبعهم أن يحلق رأسه ، ولا يتركونه إذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ، ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة التي مضت قبلهم ، وكان

ابن عبد الوهاب يأمر بخلق رؤوس النساء أيضاً من اتبعه ، وفي مرة أمر امرأة دخلت في دينه أن تخلق رأسها فقالت له لو أمرت بخلق اللحي للرجال لساخ أن تأمر بخلق رؤوس النساء . فان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجل فلم يجد لها جواباً

فالجواب أن نقول : قد تقدم أن التحليق من صفة الخوارج الذين يخرجون من العراق كما هو معروف مشهور في الأحاديث وكلام العلماء .

وأما قوله إن الشيخ وأتباعه يأمرؤن من اتبعهم أن يخلق رأسه فهذا من الكذب والهتان ، والظلم والعدوان

وأما حكايته عن المرأة التي زعم أن الشيخ أمرها بخلق رأسها فمن الخرافات والمجونات التي لا يستجيز صبيان المكاتب حكايتها ، ولا يحكيها إلا هؤلاء الذين سلب الله عقولهم ، وأنطقهم بما يضحك منه المجاذيب الذين لا يعقلون

وأما قوله ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة التي مضت قبلهم فأقول هذا بما بين شدة غباوة هذا العراقي وجهله ، وعدم إدراكه ومعرفة وشدة كلب عداوته لأهل الاسلام ، فان التحليق من صفة الخوارج كما مر في الاحاديث ، وهم خرجوا على علي رضي الله عنه وهم من أكبر الفرق الضالة في القرن الاول ، وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى دين الله في القرن الحادي عشر ، أفلا يستحي هذا العراقي من وقف على كلامه من سوء قصده ومرامه حيث قال : ولم يقع مثل ذلك من إحدى الفرق الضالة وهو قد وقع للخوارج . ومن شدة غباوته أنه يكتب هذا في صفة الخوارج ثم يقول : ولم يقع مثل هذا اللهم إلا أن يكون توهم أن الذين خرجوا على علي وقاتلهم في النهروان ليسوا بخوارج ، وإنما الخوارج عنده من أخلصوا العبادة لله بجميع أنواعها ، ودعوا الناس إلى ذلك ، ونهوا عن الاعتقاد في الانبياء ، والاولياء والصالحين ، والاحجار ، والاشجار ، وترك التعلق عليهم ، والالتجاء اليهم في الرغبات والطلبات ، وأنه لا يستغاث بهم في كشف الكربات والملمات إلى غير ذلك من الفواحش والمنكرات

وأما قوله وكان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤوس النساء إلى آخره
فأقول هذا من الكذب الواضح الذي لا يمتري فيه عاقل ، بل هو تزوير
الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً وقد خاب من افترى ، وشاهد الحال
يكفي في رد هذه الخرافات

وأما قوله ومن الأحاديث قوله ﷺ ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلة
رجل يغير دين الاسلام ،

فأقول هذه رواية بلا سند فلا اعتداد بها ، بل هذا من موضوعات هؤلاء
الغلاة ، ولو كان لها أصل لعزاها إلى كتاب من الكتب المعتمدة ، وقد قال امام
ضلالة هؤلاء الغلاة دحلان في شبهاته ومفترياته ما نصه : وفي بعض التواريخ
بعد ذكر قتال بنى حنيفة قال « ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلة رجل يغير
دين الاسلام ، فنسبها إلى بعض التواريخ غير مسندة إلى تاريخ معلوم ولا إلى
رسول الله ﷺ بسند يعتمد عليه ، وهذا الجاهل أسند هذه المقالة إلى رسول الله
ﷺ بغير سند لعظم غباوته وجراءته ، وقد قال ﷺ من كذب على متعمداً
فليتبوأ مقعده من النار ،

فصل

فاذا وضح لك ما تقدم ذكره فاعلم أنه لا يكون من الخوارج وعلى مذهبهم
إلا من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وسلك مسلكهم
من قتل أهل الاسلام ، وترك أهل الاوثان ، وتكفير من لا يعتقد معتقدهم ،
ولإباحة دمه ، وماله ، وأهله « وأن عثمان وعلياً وأصحاب الجمل وصفين وكل من
رضى بالتحكيم كفار ، وأن من أتى كبيرة فهو كافر يخلد في النار أبداً ، وأن من
لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم ، وابطال رجم المحسن ،
وقطع يد السارق من الابط ، وإيجاب الصلاة على الحائض في حال حيضها ،
وكفر من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان كان قادراً وان لم يكن

قادراً فقد ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر ، وسائر معتقداتهم الفاسدة ، وأعمالهم الزائفة

فاذا تبين لك هذا فالشيخ رحمه الله واتباعه لا يعتقدون شيئاً من عقائدهم ، ولا يعملون بشيء من أعمالهم . بل مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الاسلام ، بل والاعلم والاحكم ، وهم في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله . ومن روى عنهم من تلك الخرافات والاضاع ، أو نسه اليهم فقد كذب عليهم وافزى ، وهذا ظاهر لمن طالع كتابه المسمى كتاب التوحيد وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ .

فصل

قال العراقي : ومن قبائح ابن عبد الوهاب احراقه كثيراً من كتب العلم ، وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم ، واستباحة دماهم وأموالهم ، وتبشيع قبور الاولياء ، وقد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلاً لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات . ومن الراتب والاذكار ، ومن قراءة المولد الشريف ومن الصلاة على النبي ﷺ في المنابر بعد الاذان ، وقتل من فعل ذلك ، ومنع الدعاء بعد الصلاة ، وكان يصرح بكفر المتوسل بالانبياء ، والملائكة ، والاولياء ، ويزعم أن من قال لا أحد : مولانا وسيدنا فهو كافر . فالجواب أن نقول : قد تقدم الجواب عن هذه المفتريات وبيننا أنها كذب وزور ، وتعنّت وجفور إلا أن لم نجب عن دعواه نبش قبور الاولياء وجعلها محلاً لقضاء الحاجة ومنع الناس من الروائب والاذكار ، وأن الشيخ يقول لمن قال لا أحد : مولانا وسيدنا فهو كافر .

فأما دعواه أن الشيخ نبش قبور الاولياء فهذا كذب والذي جرى من الشيخ رحمه الله واتباعه هدم البناء الذي على القبور والمسجد المجمعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه وذلك كذب ظاهر فإن قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ،

بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قتلوا في أيام مسيلة في هذا الوادي ، ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره ، وإنما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد فافتنوا به وصاروا يأتون اليه من جميع البلاد بالزيارة ، ويجمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره ، وذلك المسجد الذي على المقبرة اتباعاً لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور في النهي والتغليظ في بناء المساجد عليها كما يعرف ذلك من له أدنى مسكة من المعرفة والعلم ، وأما كونه نبش القبر فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور وكذلك قوله : وقد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلاً لقضاء الحاجة كذب وافتراء .

وأما قراءة مولد النبي ﷺ بوقت محدود وطريقة معلومة وكتب مخصوصة لها فلا شك في كونها بدعة محدثة ، فأى محذور في المنع منها ؟ وأما الدعاء بعد الصلاة فإن كان بالألفاظ الواردة في الأحاديث الصحيحة من الأذكار من غير رفع اليدين كما ورد في الصحيحين وغيرهما من الكتب فالشيخ لا يمنع منه ولا أحد من أتباعه بل ولا أحد من أهل الحديث ، وإن كان الدعاء بغير الألفاظ المأثورة وكما يفعله الناس اليوم فقال شيخ الإسلام لما سئل عن ذلك (الجواب) الحمد لله لم يكن النبي ﷺ يدعو هو ولا المأمومون عقيب الصلوات الخمس كما يفعله الناس عقيب الفجر والعصر ولا نقل ذلك عن أحد ولا استحجب ذلك أحد من الأئمة ، ومن نقل عن الشافعي أنه استحجب ذلك فقد غلط عليه ، ولفظه الموجود في كتبه يناهض ذلك ، لكن طائفة من أصحاب أحمد وأبي حنيفة وغيرهما استحجوا الدعاء بعد الفجر والعصر ، قالوا : لأن هاتين الصلاتين لا صلاة بعدهما فتعوض بالدعاء بعد الصلاة ، واستحجب طائفة من أصحاب الشافعي وغيره الدعاء عقيب الصلوات الخمس وكانهم متفقون على أن من ترك الدعاء لم ينكر عليه ومن أنكر عليه فهو مخطئ باتفاق العلماء فإن هذا ليس بمأموراً به لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب في هذا الموطن بل الفاعل أحق بالانكار فإن المدارمة على ما لم يكن النبي ﷺ يداوم عليه في الصلوات الخمس ليس مشروعاً بل مكروهاً

كما لو داوم على الدعاء عقيب الدخول في الصلاة أو داوم على القنوت في الركعة الأولى في الصلوات الخمس أو داوم على الجهر بالاستفتاح في كل صلاة ونحو ذلك فإنه مكروه ، وإذا كان القنوت في الصلوات الخمس قد فعله النبي ﷺ أحياناً ، وكان عمر يجهر بالاستفتاح أحياناً وجهر رجل خلف النبي ﷺ بنحو ذلك فأقره عليه ، فليس كل ما شرع فعله أحياناً تشرع المداومة عليه ، ولو دعا الامام والمأموم أحياناً عقيب الصلاة لأمر عارض لم يعد هذا مخالفة للسنة كالذي يداوم على ذلك ، والأحاديث الصحيحة تدل على أن النبي ﷺ كان يدعو دبر الصلوات قبل السلام ويأمر بذلك كما قد بسطنا الكلام على ذلك وذكرنا ما في ذلك من الأحاديث وما يظن أن فيه حجة للنازع في غير هذا الموضع ، وذلك لأن الداعي يناجي ربه فإذا انصرف مسلماً انصرف عن مناجاته ، ومعلوم أن سؤال السائل لربه حال مناجاته هو الذي يناسب دون سؤاله بعد انصرافه ، كما أن من يخاطب ملكاً أو غيره فإن سؤاله له وهو مقبل على مخاطبته أولى من سؤاله بعد انصرافه عنه . انتهى .

وأما مسألة قول القائل : مولانا وسيدنا فالشيخ لا يمنع من قال ذلك على الوجه الذي يعرفه الناس من لفظ السيد الشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم ، وكذلك لفظ المولى بالمنعم والمعق والناصر والمحب والتابع والخال وابن العم والحليف إلى غير ذلك ، وإنما نهى ومنع عن إطلاق لفظ السيد والمولى فيمن يعتقدون فيه نوعاً من الربوبية أو الألوهية كمن يقول : يا سيدى أو يا مولاي فلان أغنى أو أدركنى أو أرزقنى أو أنا فى حسبك ونحو هذا ، فن قال هذا بهذا المعنى فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه إله آخر .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى الرسالة السنية : فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة فى هذه الازمان قد يمرق أيضاً

من الاسلام لاسباب منها الغلو في بعض المشايخ ، بل الغلو في علي بن أبي طالب
بل الغلو في المسيح عليه السلام ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه
نوعاً من الإلهية مثل أن يقول : ياسيدي فلان انصرفي ، أو أغثنى أو أرزقني
أو أنا في حسبك ، ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه
فان تاب وإلا قتل إلى آخر كلامه رحمه الله

فصل

قال العراقي الزهاوي البغدادى :

الوهابية وهديت بنيتها

إن زعيم الوهابية اليوم هو عبد الرحمن بن فيصل من أولاد محمد بن سعود
الباغي الذي حاد عن طاعة الخلافة العظمى الاسلامية سنة ١٢٠٥ واستمرت له
وقائع مع الشريف غالب الى ١٢٢٠ حتى عجز الشريف عن حربه جهزت الدولة
العلية عليه عساكرها وناطت الأمر بوزيرها المرحوم محمد علي باشا صاحب
مصر وولده المرحوم ابراهيم باشا فأبداً سنة ١٢٣٣ كما ألعنا اليه في مقالاتنا
السابقة ما هو مسطور في كتب التاريخ ، وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة
تقريباً أميراً على الرياض ، فلما استولى عليها المرحوم أمير نجد محمد بن رشيد
هرب عبد الرحمن بن سعود إلى بعض السواحل البحرية ، وأخيراً التجأ إلى
الكويت وبقى هناك يعيش في فقر مدقع لا يرحمه أحد إلى أن عطفت عليه
الدولة العلية وأجرت له جناية أزال ما كان فيه من الفقر وصار يعيش في أرغد
عيش على نفقتها في تلك الديار .

(والجواب أن يقال) ذم قد كان زعيم الوهابية اليوم الامام المعظم والرئيس
المنفخم عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز بن عبد الرحمن هو قائد الجيوش
الاسلامية وكان عبد الرحمن من أولاد محمد بن سعود الذي رفع الله به أعلام
الشريعة المحمدية وآلة الابراهيمية ، بعد أفول شمسها وانقراض معالمها

ودروسها ، فبغت عليه الدولة المصرية لما استوثقت له البلاد العربية ، وأظهر دين الله الذي بعث الله به رسوله ، وأزل به كتيبه ، وكان قد جرى من أولاد سعود رحمه الله بعض التقصير في الأوامر الدينية فتسلط عليهم بسبب ما اقترفوه من الذنوب هؤلاء الباغون المعتدون كما تقدم بيانه عما لا فائدة في اعادته ، ثم رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله بالامام فيصل بن تركي بعد ما بغت عليه العساكر المصرية ، ونقلوه إلى مصر بعد محاربات عديدة ، وأمور هائلة شديدة ، ثم توفي رحمه الله سنة ١٢٨٢ هـ .

(وأما قوله) وعبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريباً أميراً على الرياض فأقول ليس الأمر كذلك وما آفة الأخبار إلا رواها بل كان الأمير على أهل نجد بعد وفاة الامام فيصل ابنه الأكبر عبد الله بن فيصل واستمرت له أولاية مدة سنين ثم كان بينه وبين أخيه سعود محاربات ومنافسات على المملكة يطول عدها وكان محمد بن رشيد من أسراء آل سعود على جهة الجبل وما يليه من القرى والبادى فلما ضعفت الممالك النجدية وتضعضع أسرها باختلاف آل سعود بينهم وخاب أولاد سعود على عمهم عبد الله بن فيصل استنجد عبد الله بمحمد بن رشيد على أولاد أخيه سعود فسار إلى الرياض وحصرها أياماً قلائل ثم وقعت المصالحة بينه وبين أهل الرياض وبينه وبين أولاد سعود على الخرج من أعمال الرياض وارتحل ابن رشيد راجعاً إلى الجبل بعبد الله بن فيصل ثم بعد ذلك غدر بأولاد سعود وقتلهم وصار الأمر في يده بالبغي والعدوان على أهل تلك الأماكن والبلدان وكان الامام عبد الرحمن بن فيصل حال ولاية ابن رشيد على الرياض ساكناً فيها والأمير عليها من جهة محمد بن رشيد أخوه محمد ابن فيصل والمتصرف فيها بأوامر محمد بن رشيد أحد أمرائه المسمى سالم ابن سبهان وكان رجلاً فاجراً لا يخاف الله ولا يقيمه فأراد الخديفة والمكر بعبد الرحمن بن فيصل والغدر به كما غدر بأولاد سعود فلما تحقق الامام عبد الرحمن خبره هجم عليه وأخذه قسراً وقهراً وحبسه ثم بعد ذلك قدم ابن رشيد وحاصر الرياض نحواً من شهر ثم رجع خائباً حسيراً لم يدرك

مقصوده فلما لم يحصل على طائل بالمحاربة أخذ يخادع أهل الرياض ويعدم ويمينهم حتى انخدع له بعض الاشرار لما يحصل لهم بعد ذلك منه بسبب غدرهم من الانتقام والدمار فلما تحقق الامام عبد الرحمن ذلك الخبر وتقرر عنده واشتهر خرج بأولاده وأهله إلى (قطر) ثم التحل إلى الكويت فسكن بها واستقر . هذا ما يخص الامر لا كما يزعمه هذا العراقي ثم توفي محمد بن رشيد سنة ١٣١٥ الف وثلاثمائة وخمس عشرة وتولى بعده ابن أخيه عبد العزيز ابن متعب وجرى بينه وبين مبارك بن صباح ما جرى من المحاربة وكانت الدائرة لابن رشيد على ابن صباح غير أنه لم يقتل من قومه هذا العدد المذكور بل كان القتلى قريباً من ثلاثمائة رجل أو أقل .

وأما قوله وبقى هناك يعيش في فقر مدقع لا يرحمه أحد الى أن عطفت عليه الدولة وأجرت له جناية أزال ما كان فيه من الفقر الى آخر كلامه .

فأقول لما كان لهذا العراقي الحظ الوافر من الكذب على الاموات ولم يكف بذلك أخذ يكذب على الاحياء بما هو معلوم كذبه بالاضطرار فان الامام عبد الرحمن كان في بلد الكويت في أرغد عيش وأنعم بال وكان جميع من يصل الى تلك البلاد من أهل نجد في مضيفه حتى يرحلوا بالجواز والصلوات الجزيلة من الامام وانما أخذ معاش الدولة ليسكن بذلك لكونه إذ ذاك في طرفهم وانولاية لهم فيه ظاهراً ولأن الكويت قريباً من بلاد نجد والاطخبار تصل اليه بسرعة وأيضاً كان فيه آمنة من تسلط الأعداء فليس لأحد عليه فيه اتصال بما يكره لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد فلذلك استحب سكنى الكويت على غيره من الأماكن .

وقد كان قائد الجيوش الاسلامية الهام المقدم القمقام المفخم والعزيز الغشمشم عبد العزيز بن عبد الرحمن إذ ذاك حديث السن لكنه مع ذلك يروم من الأمور معاليها وينبئ بهمة الى هاماتها وأعالها وطلب من أبيه عبد الرحمن ابن فيصل أن يأذن له في الاغارة على البوادي من أهل نجد ممن كان في ولاية ابن رشيد ليتقوى بما يأخذه منهم على محاربة ذلك العدو المريد والفاجر العنيد

عبد العزيز ابن متعب بن رشيد فأذن له في الخروج والغزو وأعانه ابن صباح
بسلاح فأخذ يغير على البوادي النجدية حتى أئتمهم قسراً وأخذهم قهراً ولم يكن
ابن رشيد إذ ذاك كما يزعمه العراقي مشغولاً ببعض الغزوات لكنه قد بهت مما
فعل هذا الرئيس الهام والفارس المقدام فأعمل الفكرة والحيلة في حفظ القرى
والامصار بأن جعل فيها بأمر الدولة العثمانية من يمنع عشائر ابن سعود عن
الميرة منها والقدوم اليها فانه كان اذا قفل من غزوته نزل قريبا من الاحساء ليمتار
منها ويتزود ففنته الدولة من القدوم اليها للميرة وامتنع بعض قواد الاعراب
عن مساعدته لاجل ذلك فلما تحقق عبد العزيز ما أعمله من الحيلة وتعذر الوصول
إلى بعض تلك الاقطار للاختيار اقتضى رأيه أن يسير الى الرياض فهجم عليها
ليلاً بشرذمة قليلة نحواً من ثلاثين رجلاً فقتل أمير ابن رشيد وذويه بعد أن
ألقى بنفسه ومن معه على ثغر الرياض من باب صغير في عرض باب القصر
ووقاه الله شر رماة من فيه من الرجال فلما فرغ من أسر ذلك القصر أحكم سور
البلد في مدة يسيرة وحفظه بالرجال وأخذ يغير على البوادي من كل معاند له
ومعادي وكف الله أكف الظالمين ولم ينتهزوا الفرصة بالمبادرة الى الرياض قبل
استحكام الامر ثم جمع ابن رشيد جموعه من المحاضرة والبادية وأقبل بتلك
الجنود العاتية حتى نزل بقرية من قرى الوشم فكث بها قرياً من أربعين يوماً
يخادع أهل الرياض ويعددهم ويمنيهم بالأنواع وهيبات دون ذلك خبط القتاد
ثم ارتحل ونزل بماء يقال الحسى فكث به قرياً من شهر وفي تلك الايام والامام
عبد العزيز في الرياض ثم اقتضى رأيه الميمون أن يسير الى الحوطة من ديار
بنى تميم لكي يستنجد أمر ابن رشيد وإلى ما يصير اليه أمره بعد ارتحاله عن
أرض الرياض فارتحل ابن رشيد من الحسى وعمد الى الخرج لأجل حصارها
فامتنعوا منه ثم مشى عبد العزيز حفظه الله بأهل الحوطة وما يليها من القرى ومن
معه من أهل الرياض حتى وصل الى بلد الخرج فدخلها ليلاً ثم لما كان من الغد
برز له وجرت بينه وبين ابن رشيد مقاتلة في مدة ثلاثة أيام فهزم الله ابن رشيد
وجنوده وقتل منهم عبد العزيز خلقاً كثيراً ورجع ابن رشيد خاسئاً حسيراً .

وأما قول العراقي أنه حاصر الرياض سنة فبن الكذب الواضح فإنه لم يقدم إليها فضلاً عن أن يحاصرها لكنه بعد ذلك بمدة نحواً من خمسة أشهر قصد الرياض وكان عبد العزيز بن عبد الرحمن قد سار بجنوده إلى الكويت لظهور أهله منها وجدّه ابن رشيد في السيز حتى وصل إلى الرياض ليلاً ولم يشعر به أحد حتى كان وقت السحر وهو قد أحرق بالبلاد وحفظ أطرافها بالخيـل والجنود وأمر على بعض قومه أن يقتحموا في البلد فيسر الله أن رجلاً من أهل البادية أقبل قاصداً إلى الرياض فرآه وهو قد قرب منها فدخلها ليلاً وصاح بأهل البلد فنهض أهل البلد وقصدوا السور وأشعلوا النيران في البروج وهم قد أحرقوا بها لكن قذف الله في قلوبهم الرعب فاجتمعوا عن الاقتحام والزحام فلما علم أن أهل البلد قد شعروا به أرسل إلى قومه أن يكفوا وأن يرجعوا إلى معسكرهم وأمر البادية ومن معهم من المحاضرة المحدثين بالبلاد أن يأخذوا ما وجدوا في النخيل من الأدباش وقتلوا في النخيل عشرة انفار فلما كان من الغد بعد ارتفاع الشمس أقبل بجنوده ونزل على الرياض فظهر عليه بعض الإبطال من الرجال وصار بينهم قتال ثم لما كان من اليوم الثاني قذف الله في قلبه الرعب فارتحل من الرياض لم يحصل على طائل وقد قتل من قومه نحواً من خمسين رجلاً ثم سار إلى شقراء فحاصرها مدة نحواً من نصف شهر فلما علم أن عبد العزيز ابن عبد الرحمن قد وصل إلى الرياض راجعاً من الكويت ارتحل من الوشم ونزل القصيم ولما رأى ابن رشيد أن أمور ابن سعود قد استصعبت عليه وعشائر نجد التجأت إليه لم يجد مندوحة عن الالتجاء إلى الدولة العثمانية والاستنصار بها فلما عزم على ذلك الأمر جعل في القصيم جنوداً من قومه وأمر عليهم ماجد ابن حود وحفظ الحصن الذي في (بريدة) بالرجال والأزواد وحفها بالاجناد وبعث سرية من قومه وأمر عليهم حسين ابن جراد إلى بادية حرب وأمره أن يسير بهم إلى قرى الوشم وينزل بها هناك حتى يقدم اليهم بالعساكر العثمانية وأرسل رسـله إلى باشا بغداد بعد أن قرب من تلك البلاد فاستجاشها وأثارها بالبخاشيش فأمدوه بالاجناد فعند ذلك انتهز الفرصة الإمام عبد الرحمن فأمر

ابنه عبد العزيز فأغار بالجيوش الاسلامية والجنود الخفيفة على حسين بن جراد ومن معه من تلك الاجناد من حرب ومن اجتمع عليها من الامداد فأخذهم الله وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رجع بتلك المغنم الجسيمة هذا وماجد بن حمود الرشيدى مع جنوده قريبا من عنيزة فلجأ اليها ونزل قريبا منها لأجل حماية أهلها فسار اليهم عبد العزيز فدخل عنيزة عنوة ليلا وقتل أمير ابن رشيد الذى كان فيها ثم سار بجنوده آخر الليل فهجم على ماجد بن حمود ومن معه من الجنود فأخذهم الله تعالى وهرب ماجد بمن نجا معه الى الجبل وسار عبدالعزيز الى بريدة فدخلها عنوة وحاصر الحصن الذى فيها نحواً من شهر ثم فتحه الله صلحا . هذا ملخص ما جرى فى تلك الوقعات .

فصل

قال العراقى : ولما رأت الدولة العلية اعتداء عبد الرحمن هذا وبغية وتطاوله على صادقها ومخلصها الأمير ابن رشيد ونزع عبد الرحمن الى الاجانب أرسلت كتبة من عساكرها المنصورة صحبة الأمير ابن رشيد لقطع دابر أولئك المارقين وقع بغيتهم واعتدائهم واطفاء شرر فتنهم المستطير فصادمت العساكر المنصورة الجماعة الباغية حزب ابن سعود قرب بلدة البكيرية من بلاد القصيم . ف وقعت بين الجمعين ملحمة كبرى انجلت عن هزيمة الفتنة الباغية جماعة ابن سعود وامتلاك العساكر أحد عشر راية من راياتهم . وقد كان والحق يقال لحضرة الأمير ابن رشيد وجيشه فى هذه الملحمة خدمة فى قمع الأعداء تشكر وبسالة يخلد ذكرها ولا تنكر وأما المنهزمون فهم اليوم متحصنون ببعض تلك البلاد والعساكر المنصورة مع جيوش الأمير ابن رشيد محققون بهم ومجدون فى تنكيلهم وكبح جماحهم . وفقهم الله تعالى لذلك .

والجواب أن يقال ليس الأمر كما زعم هذا العراقى بل حقيقة الحالة أنه لما رأت الدولة العثمانية أنه قد وقع بين العرب حروب عديدة وملاحم شديدة طمعت فى بلاد العرب بواسطة الاتصار لابن رشيد كما أخذت الأحساء والقطيف

بغياً وعدواناً بواسطة الانتصار لعبد الله بن فيصل على أخيه سعود : وقد كان من المعلوم أنها لا تمتشى مع أحد لحظ نفسه وإنما تمتشى لحظ نفسها ولكن لا يشعر تأته بمصابه لأنه ما دخل الامر من بابها :

لجاءوا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رنينها

وظنوا أنهم لمن عاداهم من الناس سيقهرون وأنهم لمن حاربهم سيغلبون (الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فأقبل بتلك العساكر والعربان يقودهم البغي والعدوان والاشروالبطروالطغيان (يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره واركره الكافرون) حتى نزل بأدنى قرى القصيم وأنزل الله عليهم بها من رجزه عقاصا عظيما ووباء وخيما فقتل بعض أولئك الطغام وبقي منهم خلق كثير وجم غفير ولم يعتبروا بما حل بهم ودها ، وما نزل بهم من النوى ، فنهض اليهم الامام عبد العزيز بمن معه من المسلمين وهم لا يبلغون متشار أولئك المعتدين ونزل البصر فارتحل ابن رشيد ونزل بالشيخيات وسار عبد العزيز بالمسلمين فنزل البكيرية فلما كان من الغد واتصف النهار ، ولم يلق كيدا من أولئك الاشرار . وظن المسلمون انه لا يكون في ذلك الوقت مقاتلة من الأغيار . ففرقوا في التخييل والاشجار ، فاتهم ابن رشيد هذه الفرصة وعبا عساكره وجنوده ، ونشر راياته وبنوده . وجاؤوا كما قال الله تعالى : (بطرا ورتاء الناس ويصدون عن سبيل الله) ف وقعت بين الطائفتين وقعة عظيمة . وملحمة كبيرة جسيمة ، وكان المسلمون قد نهضوا اليهم على غير تعبئة وكانت العساكر والجنود الطاغية قد نهضوا بأجمعهم في نحر أهل الرياض ومن معهم من أهل النواحي غير أهل القصيم فانكشف المسلمون بعد أن جاءتهم الخيل من خلفهم (وليخص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) قال الله تعالى : (وتلك الايام نداولها بين الناس) الآية . ولم يقتل من المسلمين على التحقيق إلا نحواً من ثمانين رجلاً وقد قتل من العسكر وجند ابن رشيد خلق كثير ولما كان في آخر النهار قبل غروب الشمس ظهرت جموع أهل القصيم وهم لا يعلمون بانكشاف أهل العارض لانهم في خب منخفض فحملوا على العساكر العثمانية

والجنود الرشيدية وقد اجتمع بأهل القصيم من أهل الرياض عصابة في ذلك اليوم فهزمهم شر هزيمة وقتلوا في ذلك اليوم منهم مقتلة عظيمة . وأخذوا كثيراً من مطارحهم وخيامهم ومدافعهم وقد قتل من العسكر ومن أهل الجبل نحواً من خمسمائة مقاتل فلما علم أهل القصيم بانكشاف المسلمين تركوا ما أخذوه مما لا يطيقون حمله ورجعوا الى أوطانهم وأما كنهم ولم يترجع الفريقان الا بعد أيام فرجع ابن رشيد وعسكره الى معسكرهم في الشيعيات واستولى على البكيرية واجتمع المسلمون في عنيزة ثم نهض اليهم عبد العزيز بالمسلمين وقدم جمعاً الى البكيرية فجمعوا عليها ليلاً وهرب من فيها من جند ابن رشيد وملكوا صورها وقصورها فلما كان آخر الليل التقى الجمعان قريباً من البكيرية فهزمهم المسلمون هزيمة عظيمة ونزل المسلمون البكيرية فرجع الله بآبن رشيد وعساكره فارتحلوا منهزمين وركبتهم خيول المسلمين يأخذون ويقتلون حتى نزل بالشنانة من أعالي قرى القصيم ونزل عبد العزيز الرس ولم يكن بينهم مزاحفة انما هو بالخیل مناوشة ومراوحة ثم لما طال المقام وخاف ابن رشيد تفرق قومه لطول المقام ولأن المسلمين لا يدعونهم ينتشرون لرعى ابلهم وجيوشهم وأكلوا ما في الشنانة حتى النخيل فارتحل من الشنانة ونزل بماء يقال له المقوعى فهض المسلمون الى قصر هناك قريباً منهم يقال له قصر ابن عقيل فالتقى الجمعان وتصادم الفريقان وكانت الدائرة للمسلمين على ابن رشيد وذويه وهزمهم شر هزيمة وأخذوا من الاموال والمتاع والابل والغنم ما لا يحصى ، ولا يعد ولا يستقصى ، وأخذوا نحواً من عشرة أيام يغدون ويروحون الى المعركة يأخذون من الاموال والمتاع ما لا يخطر بالبال ولا يدور في الخيال فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن الجميل لانحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى عليه أحد من خلقه .

وأما زعمه أن عبد الرحمن بن فيصل تطاول على غلص الدولة وصادقها ابن رشيد فنعم هو غلصها وصادقها ونحن ان شاء الله مخلصون لله في عبادته الصادقون في جهاد أعدائه فانه هو ووعمه الذين بغوا علينا فأبادهم الله تعالى بأيدينا فله الحمد لا نحصى ثناء عليه .

وأما دعوى هذا العراق نزوع الامام عبد الرحمن الى الاجانب ويعنى بالاجانب طائفة النصارى الانكليز فعاذ الله من ذلك ويأبى الله والمؤمنون إلا منابذتهم ومعاداتهم ومحاربتهم وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً) الآية . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم) الآية . وقال تعالى : (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون) الآية . وإنما ينزع اليهم ويتخذهم أولياء من حكم قوانينهم والتزمها على نفسه ونفذها في رعيته وجعل وزراءه ووكلاءه منهم ، وجعل لهم قناصل في أماكنه ودياره ، فنعود بالله من رين الذنوب ، وانتكاس القلوب ، وإذا تحقق المنتصف ما ذكرناه ، واتضح له ما بيناه ، مما كان وجري وما حصل من الامور بعد تلك الوقعات ، والدواهي المضلات ، بقدوم المشير أحمد فيضى باشا بجنوده وعساكره وعسكر المدينة إلى القصيم مما لو ذكره العراقي لأوضحناه على جليته عرف أن البسالة كل البسالة التي يجب أن تشكر وتذكر ، وان ينشر ذكرها في الخافقين ولا ينكر ، مقامات الرئيس المفخم ، والمقدام المعظم ، والوزير العشمشيم ، عبد العزيز بن الامام المكرم ، عبد الرحمن بن فيصل لا من نعتوه بها عن ليس لها بأهل :

لقد منّ مولانا وأفضل وارضى	لنا ملكاً منا سمي المناقب
فشام المعالي وارتضاها وأمتها	بهمته العليا وجرد شواذب
ويض قواض يختل الهام حدها	وقود الهجان العملات النجائب
في همه العليا وشأو مرامها	فأم إلى هاماتها والغوارب
في ليس يثنى همه ومرامه	طوال العوالي وأطوال السباب

يخوض عباب الموت والموت ناقع
إذا استعرت نار الوغى في الكتاب

ويركب هول الخطب والخطب معضل
يرد لهم الجيش وهو عرم
لقد فات أبناء الزمان وفاقهم
وجود وإقدام اذا احتك الفضا
وأحجم أهلها يوم عصب
هناك لا تلقاء الا كضيق
ترى جثث الابطال صرعى بغابة
كذا الملك الشهم الهام فانما
ترى عافيات الطير يعصن فوقه
وتتبعه غرث السباع لعلها
وقد وثقت ان لا تعود خوامصاً
فلنا المني من بعد ان كادت العدى
بعبد العزيز بن الامام ابن فيصل
من نذب همهم مهنب
ومن المعنى أحوذى ومصقع
يقود أسوداً في الحروب ضياغما
حنفية في دينها حنفية
سما بهمو نحو المعالي سميدع
اذا هو أعطى ذمة لم يخن بها
فان رمت أخباراً له ووقائعاً
وحرماً وسل عنها مطيراً وغيرهم
فزقم أيدي سبا ففرقوا
وما بين منكوب وقد خال أنه
فانال الا الخزي والعار والردى
بلطف من المولى له وإعانة

وقد هابه شوس الملوك المصاعب
ويحطمه بالمرهفات السوالب
بنيل المعالي الساميات المراتب
وضاق بحال الصافات السلاهب
به النقع يسمو كارتكام السحائب
هزبر أبى شيلين حجن الخالب
تراوحها الاشبال من كل ساغب
كأمة العدى جزرا له بالقواضب
لتحظى باشلاء العدو المشاغب
تروح بطانا من لحوم المحارب
وان لها جزراً كأمة الكتائب
تحيط بنا من كل قطر وجانب
حليف العلى نسل الكرام الاطايب
أغاظ العدى من عجمها والاعارب
بليغ بما قد شاءه في المقائب
تغير على الاعداء كأسد سواغب
وليس لهم الا العلى من مآرب
أبى وفى فاضل ذو مناقب
وما كان ذا غدر وليس بكاذب
فسل شمرأ عنها بصدق المضارب
من العجم والاعراب من كل ناكب
فا بين مقتول وما بين هارب
بقوته قد حاز كل المآرب
وآب حسيراً خاسئاً غير راغب
على كثرة الاعداء له والمحارب

وعز واسعاف على كل من بغى
ونصر له بالرعب في كل مأزق
إذا أمّ أمرا واعتلى متسامياً
وما ذاك إلا أنه لا ترده
ولا غرو من هذا ولا بدع إنما
ومن والد سامى الذرى ذى مآثر
له فتكات بالاعادى شهيرة
أديام لنا ربى بهم كل بهجة
وسنة خير العالمين محمد
عليه صلاة الله ثم سلامه
وأصحابه والآل ما حن راعد

عليه وتسديد لدى كل نائب
من الملك العلام مولى المواهب
تمزقت الاعداء من كل جانب
طوال العوالى أو طوال السبابسب
حواها من الشوس الكرام الاطايب
حسان وأخلاق يفاع المراتب
يقصر عن تعدادها كل كاتب
على السنن الحاوى لكل المطالب
نبى الهدى السامى لأعلى المناقب
بعث وميض البرق جنح الغياهب
وما أنهل وبل من خلال السحاب

فصل

قال العراقى :

عقيدة الوهابية

لما رأى ابن عبد الوهاب ان قاطنى بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة لم يزالوا على البساطة والسذاجة فى الفطرة ، قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلية عندهم مكانة ولا رواج وجد هنالك من قلوبهم ما هو صالح لأن يزرع فيه بذور الفساد مما كانت نفسه تنزع اليه وتمنيه به من قديم الزمان ، وهو الحصول على رياسة عظيمة يناها باسم الدين ، إذ كان لحاه الله يعتقد ان النبوات لم تكن إلا رياسة وصل اليها دهاة البشر حتى ساعدتهم الظروف عليها بين ظهرانى قوم جاهلين ليس لهم من العلم نصيب ، وحيث ان الله تعالى قد أرنج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ لم يجد للوصول الى أميته طريقا بين أولئك الانعام إلا أن يدعى انه مجدد فى الدين مجتهد فى أحكامه فخله هذا

الامر أن كقر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين ، بل أسوء حالا .
وأشد كفراً وضللاً ، فعمد الى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة
شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم ﷺ ويستشفعون به الى ربهم
نابذاً وراء ظهره كل ماخالف أمانيه الباطلة وسوئته له نفسه بالسوء من أحاديث
سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجاهدين حتى انه لما رأى الاجماع مصادماً
لما ابتدعه أنكره من أصله وقال لا أرى للناس بعد كتاب الله الذى جمع
فأوعى كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى : (ومن
يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

(والجواب أن يقال) : ما أعظم جراءة هذا العراقى على الكذب وتعتمد
الفجور ، وقول الزور وهذه حال كل متمرّد كفور ، وقد قدمنا من حال نشأة
الشيخ ودعوته الى الله ما يبين افك هذا العراقى وتمرده وفجوره ، وانه انما أخذ
هذه المجونات والمخرقة والأكاذيب والزندقة من كتب قوم قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، وأثربت قلوبهم عداوة هذا الدين
وأهله ومن دعا اليه وكرهته وكرهته من دان به ، فأخذوا يضعون هذه الاوضاع
ليصدوا عن سبيل الله من آمن به ويغونها عوجاً ، ومن أعظم مفتريات هؤلاء
الكفرة أعداء الله ورسوله حيث انبعث أشقاها ، وتفوه بما لفقوه أغواها ،
حيث زعم أن الشيخ يزرع في قلوب أهل نجد بذور الفساد ، مما كانت نفسه
تنزع اليه وتمنيه به من قديم الزمان وهو الحصول على رأسة عظيمة ينالها باسم
الدين ، اذ كان يعتقد ان النبوات لم تكن الا رأسة وصل اليها دهاة البشر حين
ساعدتهم الظروف عليها بين ظهرائى قوم جاهلين .

وهذا القول لا يقوله ويحكيه عن الشيخ من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم
أنه موقوف بين يدى الله تعالى وقد كان من المعلوم أن هذا الاعتقاد من عقائد
الملاحدة الذين يقوان ان الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على
النفس المستورة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في النفس بحيث
يتوهمها اصواتا تخاطبه وربما قوى ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون

خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفوس عن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص تحصل عندهم بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء . وهؤلاء عندنا وعند الشيخ رحمه الله اكفر من اليهود والنصارى وابتعد عن الاسلام من غيرهم من طوائف الكفر .

ولما توهم هذا الملقب أن الشيخ ينتحل هذا المذهب الملعون قال : « وحيث أن الله قد أرنج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ لم يجد للحصول على امنيته طريقا بين أولئك الانعام الا أن يدعى أنه مجدد في الدين مجتهد في أحكامه . »

فيقال لهذا الملقب قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وبما ورد في الكتاب والسنة أن النبي ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده فمن توهم حصولها لأحد بعده فهو كافر ولكن قد اخبر صلى الله عليه وسلم « أن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل قرن من يجدد لها أمر دينها . » وفي الحديث : « ما جعل الله من نبوة الا كانت بعدها فترة ، وهذا معلوم معروف عند أهل العلم كما قال الامام أحمد في خطبته . » الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الاذى يحيون بكتاب الله الموتى ، ويصبرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، ومن ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم . الى آخر كلامه ، وقد شهد أهل العلم والفضل من أهل عصره أنه أظهر توحيد الله وجدد دينه ، ودعا اليه كما تقدم ذكره عن الامام حسين ابن غنام ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن أحمد الحفظي وغيرهم من علماء أهل الامصار ، وقد كان من المعلوم عند كل عاقل خبير الناس وعرف أحوالهم وسمع شيئا من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لا يستريب في ذلك عاقل ، ولا يجادل فيه عارف ، كانوا من

أمر دينهم في جاهلية ، يدعون الصالحين ، ويعتقدون في الاشجار والاحجار ،
والغيران يطوفون بقبور الأولياء ، ويرتجون الخير والنصر من جهتها ، وفيهم
من كفر الاتحادية والحلولية ، وجهالة الصوفية ما يرون أنه من الشعب الايمانية
والطريقة المحمدية « وفيهم من اضاعة الصلوات ، ومنع الزكاة ، وشرب المسكرات
ما هو معروف مشهور ، فحاشا الله بدعوة الشيخ شعار الشرك ومشاهده . وهدم
بيوت الكفر والشرك ومعابده « وكبت الطواغيت والملحدين ، وألزم من ظهر
عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى .
وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجمالة والجفا ، وأمر باقامة
الصلاة وإيتاء الزكاة ، وترك المنكرات ، ونهى عن الابتداع في الدين ، وأمر
بمطابقة السلف الماضين في الاصول والفروع من مسائل الدين حتى ظهر دين الله
واستعلن واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن ، وقام قائم الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، وحدت الحدود الشرعية ، وعزرت التعازير الدينية ،
وانتصب علم الجهاد ، وقاتل لاعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد حتى سارت
دعوته ، وثبت نصحه لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ،
وجمع الله به القلوب بعد شتاتها ، وتألفت بعد عداوتها ، وصاروا بنعمه الله
اخواناً فاعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور ما لا يعرف مثله لسكان
تلك الفياض والصخور ، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر ، ومن
اليمن إلى العراق والشام ، ودانت لهم عربها فأصبحت نجد تضرب إليها أكباد
الابل في طلب الدنيا والدين . وتفتخر بما نالها من العز والنصر والاقبال .
وبالجملة فلا يقول مثل هذا في الشيخ رحمه الله الا رجل مكابر لا يتحاشى من
البهت والافتراء ، وإلى الله ترجع الأمور ، وعنده تنكشف الشرائر .

ولما كان هذا العراقي الملحد من جملة من نشأ على عقائد الملاحدة أعداء
الله ورسوله ومن نحاهم عن المتكلمين الذين يزعمون أن العقل مقدم على
النقل وأن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية ، وأن معقولاتهم التي هي
نخانة الأفكار ، وزبالة الأذهان . وريح المقاعد هي البراهين اليقينية ، واعتقد

أن من لم يكن على هذا المذهب الملعون أنه قد خرج عن عالم الحضارة ، ولم يزل على البساطة والسذاجة في الفطرة . وقد كان من المعلوم أن جفأة العرب أسلم فطرة وأصح عقولا من هؤلاء الملاحدة . ولذلك لما دخلوا في دين الله وعرفوا هذا الدين كانوا على طريقة السلف في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته ، وفي باب العمل والعبادة . وتقديم كتاب الله وسنة رسوله على قول كل أحد كائناً من كان ، وجمع الله لمن طلب العلم منهم من العلوم والمعارف ما لا يعرفه هؤلاء من سائر العلوم والفنون مع أن كثيراً من علوم هؤلاء الخارجين عن طريقة أهل الاسلام من العلوم التي لا ينفع بها في معرفة ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب ، إنما هي أوضاع اليونان والفلاسفة . والمجوس والصابئين ، ولذلك كان الغالب على من دخل في هذه العلوم الخيرة والشك نعوذ بالله من الخروج عن الصراط المستقيم .

وأما قوله فحمله هذا الامر أن كفر جميع طوائف المسلمين وجعلهم مشركين بل اسوأ حالا ، وأشد كفراً وضلالاً - يعني - أن الشيخ ادعى أنه مجدد لدين الله مجتهد في أحكامه فحمله على أن كفر جميع طوائف المسلمين .

فأقول : أما كونه مجتهداً لدين الله فهو من المعلوم بالضرورة ولا ينكره الا مكابر في الحسيات ، مباحث في الضروريات ، وأما كونه كفر جميع طوائف المسلمين فجعلهم مشركين ، فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة وفي الحديث : « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت » . وصرح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع هذه الامة من المبعث النبوي الى قيام الساعة ، وهل يتصور هذا عاقل قد عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ، بل كان من المعلوم أن هذا العراقي كان لا يعرف ما جاء به الرسول ﷺ من دين الاسلام ، ولو كان يعرف دين الاسلام لما تجاوز به هذه المجازفة ، ومخرق بهذه المخرقة المارجة ، والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الامة ، بل ولا عن أهل السنة والجماعة منهم ، وجميع أقواله في هذا الباب أعنى ما دعا اليه توحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد العمل والعبادات مجمع عليه

عند المسلمين لا يخالف فيه الا من خرج عن سبيلهم ، وعدل عن منهاجهم كالجهمية والمعتزلة ، وغلاة عباد القبور ، بل قوله مما أجمعت عليه الرسل ، واتفقت عليه الكتب كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ماجاؤوا به وتصوره ، ولا يكفر الا على هذا الاصل بعد قيام الحجة والمعتبرة فهو في ذلك على صراط مستقيم متبع لا مبتدع ، وهذا كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور مقرر في محله في حكم من عدل بالله وأشرك به ، وتقسيمهم الشرك الى أكبر وأصغر ، والحكم على المشرك الشرك الاكبر ، بالكفر مشهور عند الامة ، لا يكابر فيه الا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم وحكى الاجماع عليها وأنها من ضروريات الاسلام كما ذكره تقي الدين بن تيسية وابن قيم الجوزية وابن عقيل وصاحب الفتاوى البزازية وصنع الله الحلبي والمنقريزي الشافعي ومحمد بن حسن النعيمي الزبيدي ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهم من أهل العلم . والشيخ رحمه الله لم يكفر طوائف المسلمين وانما كفر طوائف المشركين والخارجين المارقين من دين الاسلام ، فان الاحداث لا تزال موجودة في الامة نقل وتكثرت من عهد الصحابة الى أن تقوم الساعة ، فقد كفر الصحابة رضى الله عنهم من كفروه من أهل الردة على اختلافهم ، وكفر على الغلاة . وكفر من بعدهم من العلماء القدرية ونحوهم كتكفيرهم للجهمية ، وقتلهم لجند بن درهم وجهم بن صفوان ، ومن على رأيهم وقتلهم للزنادقة ، وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفره الله وسوله وقام الدليل على كفره لا يتحاشون عن ذلك ، بل يروونه من واجبات الدين وقواعد الاسلام وفي الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لا يتم الاسلام بدونه ، وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون وأتباعهم في كل عصر ومصر . وكفروا طوائف أهل الاحداث كالقراطة والباطنية ،

وكفروا العبيدين ملوك مصر وقتلوهم وهم يبنون المساجد ، ويصلون ■
ويؤذنون ويدعون نصر أهل البيت . وصنف ابن الجوزي كتاباً سماه « النصر
على مصر » ذكر فيه وجوب قتالهم وردتهم ، وأن دارهم دار حرب ، وقد عقد
الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم باباً مستقلاً في حكم أهل
الاحداث التي توجب الردة وسماه أكثرهم باب الردة وعرفوا المرتد بأنه الذي
يكفر بعد اسلامه . وذكروا أشياء دون مانحن فيه من المكفرات حكموا فيه
بكفر فاعلها ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فما المانع تكفير من أشرك بالله
وعدل به سواء ، واتخذ معه الآلهة والانداد ، وإنما يهمل هذا من لم يؤمن بالله
ورسوله ، ولم يعظم أمره ، ومن لم يسلك صراطه ، ولم يقدر الله ورسوله حق
قدره ، بل ولا قدر علماء الأمة وأئمتها حق قدرهم .

وأما قوله فعمد إلى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة
لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى الله عليه وسلم ويستشفعون به إلى ربهم نابذاً
وراء ظهره كل ما خالف أمانيه الباطلة ، وسولت له نفسه الامارة بالسوء من
أحاديث سيد المرسلين ، وأقوال أئمة الدين والمجاهدين .

فالجواب أن يقال هذا كذب على الشيخ فإنه ما عمد إلى الآيات القرآنية
النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين ، وإنما استدل بالآيات
القرآنية النازلة في المشركين وجعلها عامة شاملة لمن أشرك بالله . وعدل به سواء
وبدل دينه ، وفعل كما فعل المشركون من صرف خالص حق الله لمن أشركوا
به واتخذوهم شفعاء من دونه ، وسيأتي الكلام على هذا في محله إن شاء الله تعالى
وقوله نابذاً وراء ظهره إلى آخره .

أقول إنما نبذ وراء ظهره كل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وخالف
أقوال أئمة الدين المجتهدين وهو - والله الحمد - متبع لا مبتدع ، وإنما أمانيه القيام
بأوامر الله وشرعه ، ودينه ، ودعوة الناس إلى ذلك ، والجهاد على ذلك ، ولم
تسول له نفسه ما يخالف الكتاب والسنة ، وإنما قام أشد القيام في اتباع
الكتاب والسنة ورد ما خالفهما ، وترك ما ألفه أعداء الله ورسوله الزنادقة من

الاحاديث المكذوبة الموضوعة ، واذا لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله شيئاً اعتمد على أقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين ، وذلك معروف في رسالته ومصنفاته ولا ينكره إلا مكابر .

وأما قوله حتى أنه لما رأى الاجماع مصادماً لما ابتدعه أنكره من أصله .

فأقول ما أنكر الشيخ إلا اجماع أهل الكفر بالله والاشراك به على عبادة غير الله وجعلهم معه آلهة وأنداداً يستغيثون بهم ويلجئون اليهم في الرغبات والرهبات والطلبات ويطلبون منهم تفريج الكربات وأغاثة اللهفات ويصرفون لهم خالص حق الله من الدعاء والحب والتعظيم والخوف والرجا والتوكل والابانة والاستغاثة والذبح والنذر والالتجاء وسائر أنواع العبادة التي صرفها المشركون لغير الله ، وخرق هذا الاجماع واجب على كل مسلم وليس هذا هو الاجماع الذي يشير اليه العلماء الذي من خالفه فقد ضل وانما هذا هو اجماع من ضل عن الصراط المستقيم وهم الأكثرون كما قال الله تعالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ، وقال تعالى : (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) . وقال تعالى : (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) ، وقال تعالى : (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين)

وأما قوله : ولا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع فأوعى كل رطب ويابس وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى : (ومن يتبع غير سبيل أولئذين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

فأقول هذا الكلام بهذا اللفظ لا يثبت عن الشيخ ولم نره في شيء من كتبه ولا في كلامه ولا في رسائله بل الذي في كتبه ومصنفاته الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة . قال رحمه الله تعالى في مصنفه (أصول الايمان) باب الوصية بكتاب الله عز وجل . وقول الله تعالى : (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله ﷺ خطب فحمد الله وأثنى ثم قال : أما بعد أيها الناس انما أنا بشر

يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب وإنى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به . فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : « وأهل بيتي ، وفى لفظ « كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة » رواه مسلم وله فى حديث جابر الطويل أنه ﷺ قال فى خطبته يوم عرفة : « وقد تركت فىكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عتى فما أتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . قال بأصبعه السبابة يرفعه الى السماء وينكبها الى الارض « اللهم اشهد » ثلاث مرات . وعن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون فتنة » فقلنا ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله هو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنه ولا تشبع منه العلواء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » رواه الترمذى وقال غريب . وعن أبى الدرداء مرفوعا قال « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن ينسى شيئا » وما كان ربك نسيا ، رواه البزار وابن أبى حاتم والطبرانى الى آخر الباب . ثم قال باب تحريضه ﷺ على لزوم السنة والترغيب فى ذلك وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك « عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة فقال رجل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً » فانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » صححه الترمذى ، ولمسلم عن جابر رضى الله

عنه قال : قال رسول الله ﷺ . أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ، وللبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه . كل أمى يدخلون إلا من أبى . قيل ومن أبى ؟ قال « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » إلى آخر الباب وله مصنفات ورسائل مملوءة بكلام الأئمة المهتدين والعلماء المجتهدين وله مختصر الشرح الكبير والانصاف على مذهب أحمد ولكن الهوى يعمى ويصم .
وأما قوله وتغافل عما جاء به كتاب الله من قوله (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى) الآية .

فالجواب أن نقول إن اتباع سبيل المؤمنين لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله والاجماع لا يخالف ما أمر الله به ورسوله فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله لم يكن من المؤمنين واتباع سبيل المؤمنين هو تقديم كتاب الله وسنة رسولة على قول كل أحد كائناً من كان ، قال الإمام الشافعى رحمه الله : « أجمع الناس على أن من استعبأت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعيها لقول أحد كائناً من كان ، وقد اتبع رحمه الله سبيل المؤمنين فكان على ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المهتدون فى باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وباب العمل والعبادة لا يخالفهم فى كل ذلك لكن من خرج عن سبيلهم وعدل عن منهاجهم كالجمجمة والمعتزلة وغلاة عباد القبور وكان فى الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله كما هو مشهور فى الرسالة التى اختصرت لأهل مكة قال : ولا تنكر على من قلد أحد الأئمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم ولا نقرهم على شئ من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الاربعة ولا نستحق بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها إلا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا يخص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الاربعة أخذنا به وتركنا المذهب كأرث الجد والاخوة فانا نقدم الجد وان خالف مذهب الختابة ولا نفتش على أحد فى مذهبه ولا نعترض إلا اذا طلعتنا على نص جلى كذلك مخالف لمذهب بعض الأئمة

وكانت المسألة مما يحصل به شعار ظاهر كإمام الصلاة فتأمر الخفي والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين فإذا قوى الدليل أمرناهم للنص وأن خالف المذهب وذلك إنما يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في المسائل مخالفين للمذهب ملتزمين تقليد صاحبه . انتهى .

وأما قوله على أنه لم يأخذ من كتاب الله إلا ما نزل في المشركين من الآيات فأولها ظلماً منه وتجاسراً على الله تأويلاً يسهل له الحصول على أمنيته وذلك بأن حملها على المسلمين فكفرهم منذ ستين عاماً وهدر دماءهم ، وأباح أموالهم ، وجعل بلادهم بلاد حرب .

(والجواب أن نقول) قد تقدم الجواب عن هذا فلا فائدة في الجواب عنه وما نعلم أن له أمانة في دعوته الخلق إلى الله يتعنى حصولها إلا أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يخلعوا الانداد التي اتخذها المشركون أولياء من دونه (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم واتبعوا أهواءهم بغير علم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، أن الله لا يهدي القوم الظالمين) والله الهادي إلى صراط مستقيم .

(وأما قوله) وقد قال النبي ﷺ في حديث جبريل كما في الصحيحين : «الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله» الحديث . وفي الصحيحين من حديث عمر : «دنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، الحديث . وقوله ﷺ لو فد عبد القيس ، أمركم بالإيمان بالله وحده ؟ أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله» الحديث كما في الصحيحين وقوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، الحديث . وقوله ﷺ «كفوا عن أهل لا إله إلا الله» انتهى .

مراده بإيراد هذه الأحاديث أن من أتى بناقض من نواقض لا إله إلا الله كدعاء الغائبين والأموات والنذر لهم والذبح أنه لا يكفر (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) وسيأتي الكلام عليها في محلها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فصل

قال العراقي الملقب ومن عجيب أمره أنه يموه على الناس بدعوى توحيد الله وتنزيهه قائلًا إن التوسل بغير الله شرك مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه ويثبت له اليد والوجه والجهة ويقول بصحة الإشارة إليه في السماء ويدعى أن نزوله إلى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) . فإين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسماً يشترك معه حتى أخس الجمادات وفي ذلك من التنقص والازراء بألوهيته سبحانه ما هو منزّه عنه . فالجواب أن يقال لهذا الجهى المشرك بالله في عبادته النافي لصفاته ونعوت جلاله قد بينا فيما تقدم أن الشيخ لا يكفر بمجرد التوسل الذى يعرفه أهل العلم من لفظ التوسل . وأما التوسل باصطلاح هؤلاء الغلاة فسيأتى الكلام عليه في محله إن شاء الله تعالى .

وأما قوله مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه (فالجواب أن نقول) قد جاء الخبر بذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ضرب الله الحق على لسانه كما رواه الامام عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل فى كتاب السنة له الرد على الجهمية قال : حدثني أبي وعبد الأعلى ابن حماد النرسى قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر قال : « اذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرجل الجديد » ، وهذا الحديث حدث به أبو اسحاق السبيعي مقررًا له كغيره من أحاديث الصفات وحدث به كذلك سفيان الثوري وحدث به أبو أحمد الزبيرى وكشد بن أبى بكر ووکیع عن إسرائيل

ورواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل أيضاً عن أبيه حدثنا وكيع
بحديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله عنه :
إذا جلس الرب على الكرسي فاقشعر رجل سماه أبي عند وكيع فغضب وكيع
وقال أدركنا الاعمش وسفيان يحدثون بهذا الحديث ولا ينكروه ، قلت وهذا
الحديث صحيح عند جماعة من المحدثين أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسى ،
وإذا كان هؤلاء الأئمة أبو إسحاق السبيعي والثوري والاعمش وإسرائيل
وعبد الرحمن بن مهدي وأبو أحمد الزيري ووكيع وأحمد بن حنبل وغيرهم ممن
يطول ذكرهم وعددهم الذين هم سرج الهدى ومصابيح الدجى قد تلقوا هذا
الحديث بالقبول وحدثوا به ولم ينكروه ولم يطعنوا فى إسناده فمن نحن حتى
ننكره وتحتلق عليهم بل تؤمن به . قال الامام أحمد : لا نزيل عن ربنا صفة
من صفاته بشناعة شنت وان نبت عنه الاسماع فانظر الى وكيع بن الجراح
الذى خلف سفيان الثوري فى علمه وفضله وكان يشبه به فى سمته وهديه كيف
أنكر على ذلك الرجل وغضب لما رآه قد تلون لهذا الحديث وقال ابن القيم
رحمه الله تعالى فى الكافية الشافية :

وأذكر كلام مجاهد فى قوله	أقم الصلاة وتلك فى سبحان
فى ذكر تفسير المقام لأحمد	ما قيل ذا بالرأى والحسان
ان كان تجسماً فان مجاهداً	هو شيخهم بل شيخه فوقانى
ولقد أتى ذكر الجلوس به وفى	أثر رواه جعفر الربانى
أعنى ابن عم نينا وبغيره	أيضاً أتى والحق ذو تبيان
والدارقطنى الامام يثبت الـ	آثار فى ذا الباب غير جبان
وله قصيدة ضمنت هذا رفيه	ها لست للبروى ذا نكران
وجرت لذلك فتنة فى وقته	من فرقة التعطيل والعدوان
والله ناصر دينه وكتابه	ذا حكمه مذ كانت الفتنان

وهذا نص الآيات التى أشار اليها ابن القيم رحمه الله تعالى من كلام
الدارقطنى رحمه الله تعالى :

حديث الشفاعة في أحد إلى أحمد المصطفى نسند
وأما حديث باقعه على العرش أيضاً فلا نجده
فلا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يقعه
أمروا الحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه ما يفسده

فاذا ثبت هذا عن أئمة أهل الاسلام فلا عبرة بمن خالفهم من الطغام
أشباه الأنعام .

وأما قوله ويثبت له اليد والوجه والجهة ويقول بصحة الإشارة إليه
في السماء .

(فالجواب أن نقول) نعم قد كان الشيخ محمد رحمه الله وأتباعه يثبتون اليد
والوجه لله تعالى ويصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وما وصفه
به السابقون الأولون لا يتجاوزون القرآن والحديث كما قال الامام أحمد رضى
الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ
لا تتجاوز القرآن والحديث ، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به
نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف
ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز
ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما
إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأنصح الخلق
في البيان والتعريف والدلالة والارشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء
لا في نفسه المذكورة بأسمائه . وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله سبحانه
له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء
لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإِنَّ
الله منزه عنه حقيقة فالله سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه
الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولا فقار المحدث
إلى محدث ولو جوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى ومذهب السلف بين التعطيل
وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه

ولا ينفون ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلون أسماء وصفاته العليا
ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته، فإذا عرفت هذا فانا
ثبت لله اليد كما أثبتنا لنفسه، كما قال تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت
أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى :
(يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى (يد الله فوق أيديهم)
وقال تعالى (والسماوات مطويات بيمينه) الى غير ذلك من الآيات وثبت أن
الله وجه كما قال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) وقوله (ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاكرام) وقوله (فأينما تولوا فثم وجه الله) الى غير ذلك من الآيات
وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه : أنت موسى الذي اصفاك الله بكلامه وخط
لك الألواح بيده، وفي لفظ : وكتب لك التوراة بيده، وقال ﷺ كما في صحيح
مسلم : وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده . وقوله ﷺ : تكون الأرض
يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفي أحدكم خبزته في سفره
نزلا لأهل الجنة ، ومثل أحاديث أخر : بيده الامر - والخير في يدك - والذي
نفس محمد بيده - وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسيء الليل ، وقوله : المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين
الرحمن - وكنا يديه يمين ، وقوله : يطوى الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن
بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرضين
بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ، وقوله : يمين الله ملائ
لا يغيبها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض
فانه لم يغض ما في يمينه ، وعرشه على الماء ويده الأخرى القسط يخفض ويرفع ،
وكل هذه الأحاديث في الصحاح

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ
بخمس كلمات فقال : ان الله لا ينام . ولا ينبغي له أن ينام . يخفض القسط
ويرفعه . يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجاب النور
لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ،

وعن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
جتان من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم
إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن . رواه البخاري ، والاحاديث في
هذا المعنى كثيرة .

وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية : لما فرغ المريسي
من انكار الالدين ونفيهما عن الله عز وجل أقبل قبل وجه الله ذي الجلال
والاكرام ينفيه عنه الى أن قال : واستمر الجحود به حتى ادعى أن وجه الله
الذي وصفه بأنه ذو الجلال والاكرام مخلوق لأنه ادعى انه أعمال مخلوقة
يتوجه بها اليه وثواب وانعام مخلوق يثيب به العامل وزعم أنه قبله الله وقبله الله
لاشك مخلوقة ثم ساق الكلام في الرد عليه وأن القول بأن لفظ الوجه مجاز
باطل . انتهى .

(وأما الجهة) فقال شيخ الاسلام في المنهاج : فان مسمى لفظ الجهة يراد
به أمر وجودي كالملك الأعلى ويراد به أمر عدي كما وراء العالم . فان أريد
الثاني أن يقال كل جسم في جهة ، واذا أريد الأول امتنع أن يكون كل جسم
في جسم آخر ، فن قال الباري في جهة وأراد بالجهة أمراً موجوداً فكل ماسواه
مخلوق له في جهة بهذا التفسير فهو مخطيء ، وان أراد بالجهة أمراً عدياً وهو
ما فوق العالم وقال ان الله فوق العالم فقد أصاب ، وليس فوق العالم موجود
غيره فلا يكون سبحانه في شيء من الموجودات ، وأما إذا فسرت الجهة بالامر
العدي فالعدم لا شيء وهذا ونحوه من الاستفسار وبيان ما يراد به اللفظ من
معنى صحيح وباطل يزيل جامه الشبه ، فاذا قال نافي الرؤية لورؤى لكان في جهة
وهذا عمتنع ، فالرؤية ممتنعة ، قيل له : ان أردت بالجهة أمراً وجودياً فالمقدمة
الأولى ممنوعة ، وان أردت بالجهة أمراً عدياً فالثانية ممنوعة ، فيلزم بطلان
أحد المقدمتين على كل تقدير ، فتكون الحجة باطلة . وذلك أنه ان أراد بالجهة
أمراً وجودياً لم يلزم أن كل مرتى في جهة وجودية ، فان سطح العالم الذي هو
أعلاه ليس في جهة وجودية ومع هذا تجاوز رؤيته فانه جسم من الاجسام

فبطل قولهم كل مرتى لا بد أن يكون في جهة ان أراد بالجهة أمراً وجودياً ،
 وان أراد بالجهة أمراً عديماً منع المقدمة الثانية ، فانه اذا قال البارى ليس في
 جهة عدمية وقد علم أن العدم ليس بشيء كان حقيقة قوله أن البارى لا يكون
 موجوداً قائماً بنفسه حيث لا موجود إلا هو وهذا باطل ، وان قال أحد
 يستلزم أن يكون جسماً أو متحيزاً عاد الكلام معه في معنى الجسم المتحيز .
 فان قال هذا يستلزم أن يكون مركباً من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة
 وغير ذلك من المعاني الممتعة على الرب لم يسلم له هذا التلازم ، وان قال يستلزم
 أن يكون الرب يشار اليه برفع الأيدي في الدعاء ، وتخرج الملائكة والروح
 اليه . ويرجع محمد ﷺ اليه ، وتنزل الملائكة من عنده . وينزل منه القرآن
 ونحو ذلك من اللوازم التي نطق بها الكتاب والسنة وما كان في معناها ، قيل
 له لا نسلم انتفاء هذه اللوازم ، فان قال : ما استلزم هذه اللوازم فهو جسم ،
 قيل ان أردت أنه يسمى جسماً في اللغة والشرع فهذا باطل ، وان أردت أن
 يكون جسماً مركباً من المادة والصورة أو من الجواهر المركبة ، فهذا أيضاً ممنوع
 في العقل فانما هو جسم باتفاق العقلاء كالأجسام لا نسلم أنه مركب بهذا الاعتبار
 كما قد بسط في موضعه وتمام ذلك بمعرفة البحث العقلي في تركيب الجسم
 الاصطلاحي من هذا وهذا . وقد بسط في غير هذا الموضع وتبين به أن قول
 هؤلاء وهؤلاء باطل مخالف للأدلة العقلية القطعية . انتهى ، وقال في كتابه
 (موافقة العقل الصحيح للنقل الصحيح) وكذلك اذا قالوا ان الله منزّه عن
 الحدود والأحياز والجهات أو هموا الناس بأن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره
 المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم أنه ليس مبائناً
 للخلق ، ولا منفصلاً عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله
 وأن محمداً لم يرجع به اليه ولم ينزل شيئاً ولا يصعد اليه شيء ولا يتقرب اليه
 بشيء ولا الأيدي اليه في الدعاء ولا غيره وغير ذلك من معاني الجهة ، واذا
 قالوا أنه ليس بجسم أو هموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان
 الخلق وهذا المعنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه

ولا تقوم به صفة ولا هو مبائن للخلق وأمثال ذلك . انتهى

فاذا تبين لك هذا وتحققته فهذه الألفاظ لم يرد بها نص عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن السلف الصالح ولا الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الحديث فاذا اتضح لك هذا فلفظ الجهة لا تثبه مطلقاً ولا تنفيه مطلقاً ، لأنه محتمل لمعنيين باطل وصحيح ، فمن أطلقه نفيًا أو إثباتًا سئل عما أراد به ، فإن قال أردت بالجهة أنه منزّه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه إحاطة الظرف بالمظروف ، قيل له نعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى ، ولكن لا يلزم من كونه على عرشه هذا المعنى ، وأن أراد بالجهة أمرًا يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه ، فنفيه بهذا المعنى باطل ، وتسميته جهة اصطلاحاً منه توصل به إلى نفي ما دل عليه العقل والنقل فسمى ما فوق العالم جهة وقال منزّه عن الجهة اه وبهذا يندفع عنا ما ألزمتنا به من لم يعرف حقيقة ما عندنا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قوله : ويقول بصحة الإشارة إليه في السماء .

(فالجواب أن نقول) نعم نقول به ونعتقد وندين الله به ونشهد الله وملائكته وجميع خلقه على اتقاد ذلك ، عليه نحي وعليه نموت وعليه نبعث إن شاء الله تعالى لأنه ليس في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأئمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لانصاً ولا ظاهراً ولم يقل أحد منهم قط أن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه بذاته في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا منفصل عنه ولا متصل ، ولا أنه لا تجوز الإشارة إليه بالأصابع ونحوها ، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول : ألا هل بلغت ؟ ، فيقولون : نعم ، فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول : اللهم اشهد ، غير مرة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في اعلام الموقعين في بيان رد الجهمية للنصوص المحكمة : الثالث عشر الاشارة اليه حسا الى العلوكا أشار اليه من هو أعلم به وما يجب له ويمتنع عليه من افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في أعظم مجمع على وجه الأرض برفعه أصبعه الى السماء ويقول « اللهم أشهد ، ليشهد الجميع ان الرب الذي أرسله ودعا اليه واستشهده هو الذي فوق سمواته على عرشه . انتهى

فبين من هذا ان هذا المذهب الملعون — أعني انكار الاشارة اليه بالأصبع الى السماء — مذهب افراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وقد استدل الملحد بكلام شيخ الإسلام وابن القيم على عدم تكفير أهل الاهواء ورأى أنهما من العلماء المجتهدين الذين يعمل بأقوالهم ، فاذا لم يكن ما قالاه هنا حقاً انتقض عليه الاستدلال بكلامهما هنالك .

وقوله : ويدعى ان نزوله الى السماء الدنيا حقيقة فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فإين تنزيه الله تعالى بعد جعله جسماً يشترك فيه معه أخس الجمادات وفي ذلك من النقص والازراء بالوهيته سبحانه ما هو منزّه عنه . فالجواب أن نقول : نعم قد ثبت ذلك بالكتاب والسنة وأجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أحاديث النزول في الصواعق المرسلّة وذكر من كلام الأئمة ومن الأجوبة العقلية والنقلية ما يكفي ، وذكر في حادى الأرواح الاحاديث الواردة في ذلك ، فمن أراد الوقوف عليها فليراجعها ونذكر هنا شيئاً يسيراً من كلام الأئمة ليتبين لهذا الجاهل أنه قد اتبع سبيل افراخ الجهمية والفلاسفة والمعتزلة وأنه قد حاد عن سبيل المؤمنين .

قال شيخ الإسلام قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدسينى الامام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذى صنّفه في أصول السنة في باب الايمان بالنزول قال : ومن قول أهل السنة ان الله ينزل إلى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحذوا فيه حداً ، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره الى أن قال : وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن الزهري ابن عباد قال : ومن أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى بن المبارك وكيع كانوا يقولون أن النزول

حق ، قال ابن وضاح : وسألت يوسف بن عدين عن النزول قال نعم أو من به
ولا احد فيه حداً ، وسألت عنه ابن معين فقال نعم أو من به ولا احد فيه حداً
اه وقال أبو عثمان الصابوني فلما صح خبر النزول عن رسول الله ﷺ أقر
به أهل السنة وقبلوا الخبر وأنبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ ولم يعتقدوا
تشبيها له بنزول خلقه وعلووا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الرب
بارك وتعالى لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله
عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ، ولعنهم الله لعناكثيراً ، وقال الامام
العارف معمر بن أحمد الاصهباني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة قال :
أُحِبُّتُ أَنْ أَوْصِيَ أَصْحَابِي بِوَصِيَّةٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَمَوْعِظَةٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَجْمَعَ
مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ بِلَا كَذِبٍ ، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّصَوُّفِ مِنَ
الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ قَالَ فِيهَا : وَإِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَشْبِيهِ
وَلَا تَأْوِيلٍ ، وَالْإِسْتِواءُ مَعْقُولٌ وَالْكَيْفُ فِيهِ مَجْهُولٌ . وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَائِنٌ عَنِ
خَلْقِهِ وَالْخَلْقُ مِنْهُ بَائِنُونَ بِلَا حُلُولٍ وَلَا مِمَّازِجَةٍ ، وَلَا اخْتِلَاطٍ وَلَا مِلَاصَقَةٍ ،
لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق وإن الله عز وجل سميع بصير
عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة
ضاحكاً وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فاستجب له ؟
هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول
الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، فمن أنكر النزول أو تأول
فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة على هذا . اهـ

وقال الشيخ الامام أبو بكر أحمد بن هارون الخلال في كتاب السنة حدثنا
أبو بكر الأثرم حدثنا إبراهيم بن الحارث يعني العبادي حدثنا الليث بن يحيى
قال سمعت إبراهيم بن الأشعث قال أبو بكر — هو صاحب الفضيل — قال :
سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو لأن الله
تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ،
ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول

والضحك ، وهذه المباحات . وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل ، وكما يشاء أن يباهى ، وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع . فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف ، فإذا قال الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه قتل ، بل أو من برب يفعل ما يشاء ونقل هذا عن الفضيل جماعة منهم البخاري في كتاب خلق أفعال العباد . انتهى .

وقال الامام أبو عبد محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد في اثبات الاسماء والصفات قال : وما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيسط يده فيقول هل من سائل . الحديث . وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الابانة في أصول الديانة . وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه . فقال فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة ، فان قال قائل قد أنكر . ثم قول المعتزلة ، والتدريية ، والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة . فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا ، وسنة نبينا ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمدون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضرائه وجهه ، ورفع درجته . وأجزل مشوبته قائلون وما خالف قوله ، مخالفون لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق . ورفع به الضلالة ، وأوضح به المنهاج ، وقع به بدعة المبتدعين ، وزينغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم ، الى أن قال : وانه مستوعلي عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) ، وان له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، وأن له يدين بلا كيف كما قال خلقت يدي ، وقال بل يدها مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء ، الى أن قال ونصدق بجميع الروايات التي أثبتتها أهل النقل من النزول الى سماء الدنيا . وأن الرب عز وجل يقول . هل من سائل ، هل من مستغفر ، وسائر

ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال : أهل الزيغ والتضليل . انتهى .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف بنقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد . قال : وادعى المعارض أيضاً أن قول النبي ﷺ « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول هل من مستغفر ، هل من تائب ، هل من داع ، قال فادعى أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش . وبكل مكان من غير زوال لأنه الحى القيوم ، والقيوم بزمعه من لا يزول ، قال : فقال لهذا المعارض ، وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ، ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي ﷺ يحذر لنزوله الليل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار ، فأمره ورحمته يدعوان العباد إلى الاستغفار ، أو بقدر الأمر والرحمة أن يتكلموا دونه فيقولوا : هل من داع فأجبه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فأعطيه ، فان قررت مذهبك لزمك أن تدعى أن الرحمة والأمر هما اللذان يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامه دون الله وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ، قد علمت ذلك ولكن تكابرون ، وما بال رحمة وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ، ثم يمكنان إلى طلوع الفجر . ثم يرفعان لأن رفاعة زاوية يقول في حديثه حتى ينفجر الفجر ، قد علمت أن شاء الله أن هذا التأويل باطل ولا يقبله إلا جاهل ، وأما دعواك أن تفسير القيوم الذى لا يزول عن مكانه ولا يتحرك ، فلا يقبل منك هذا التفسير إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه ، أو التابعين لأن الحى القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء . ويهبط ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ، ويبسط ، ويقوم ، ويجلس إذا شاء ، لأن اشارة ما بين الحى والميت والمتحرك كل حى متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة ، ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة ، إذ فسر نزوله مشروعا منصوفا ، ووقت لنزوله وقتاً

مخصوصاً لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لعباً ولا عويصاً انتهى . ولو ذهبنا ننقل أقوال العلماء أهل السنة والجماعة المتفق على امامتهم ودرأيتهم لطال الكلام ، وبما ذكرناه يندفع الخصام ، وينجلي تلبيس هؤلاء الجهلة الطغام ، فنقتصر على ما ذكر من كلام أئمة الاسلام .

وأما قوله فيجسمه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

فيقال في جوابه انك أيها الضال المضل لاتفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان ، وهذا الكلام اللازم بعينه تابع لهذا المفهوم ، وأما استواء يليق بجلال الله ، ونزول ، وهبوط ، وارتفاع يليق بجلال الله ويختص به ، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام ، وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع ، فاما أن يكون جوهرأ أو عرضاً ، وكلاهما محال إذ لا يعقل موجود إلا هذان .

وقوله اذا كان مستويًا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير ، والفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا ، فان كليهما مثل ، وكلاهما عطل حقيقة ماوصف الله به نفسه ، وامتناز الأول بتعطيل كل اسم لا استواء الحقيقة . وامتناز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين ، والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به . ونزول وارتفاع يليق به ويختص به . فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وأنه سميع بصير ونعو ذلك — ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم — فكذلك هو سبحانه فوق العرش وينزل منه كل آخر ليلة إلى سماء الدنيا ولا يثبت لفوقيته ، ونزوله وصعوده خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ، ونزوله وصعوده وملزوماتها .

وأما زعمه أنا نجسمه اذا اثبتنا ما اثبته الله لنفسه فهذا ليس بيدع من ألقاب أهل الضلال ثم اعلم أنه ليس أحد منا يقول ان الله جسم فان هذا اللفظ عندنا مبتدع محدث في الاسلام لم يقل به أحد من السلف الصالح والصديق الأول وأول ما ظهر اطلاق لفظ الجسم من متكلمة الشيعة كهشام بن الحكم كذا نقل ابن حزم

وغيره ، قال أبو الحسن الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين
 اختلف الروافض أصحاب الأمامية في التجسيم وهم ست فرق (فالفرقة الأولى)
 الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضى يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية
 وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفى بعضه
 عن بعض وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان
 كالسيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤ المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم
 ورائحة ومجسة وذكر كلاما طويلا . (والفرقة الثانية) من الرافضة يزعمون أن
 ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام وإنما يذهبون في قولهم أنه جسم الى أنه
 موجود ولا يثبتون الباري ذا اجزاء مؤتلفة وأبعض متلاصقة يزعمون أن
 الله على العرش مستو بلا عماسة ولا كيف (والفرقة الثالثة) من الروافض
 يزعمون أن ربهم على صورة الانسان ويمنعون أن يكون جسما (والفرقة الرابعة)
 من الرافضة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي يزعمون أن ربهم على صورة
 الإنسان وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون إنه نور ساطع يتلألأ يابضاً
 وإنه ذو حواس كحواس الانسان له يد ورجل وأنف وأذن وفم وعين وإنه
 يسمع بغير ما به يبصر وكذلك سائر حواسه متغيرة عندهم قال وحكى أبو عيسى
 الوراق أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة متغيرة سوداء وأن ذلك نور
 اسود (والفرقة الخامسة) يزعمون أن لرب العالمين ضياء خالصاً ونوراً بحتاً وهو
 كالمصباح الذى من حيث ما جتته يلقاك بنور وليس بذى صورة ولا أعضاء
 ولا اختلاف في الاجزاء وانكروا أن يكون على صورة الإنسان أو على صورة
 شيء من الحيوان قال (والفرقة السادسة) من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس
 بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس وقالوا في
 التوحيد بقول المعتزلة والخوارج قال أبو الحسن الأشعري وهؤلاء قوم من
 متأخريهم فأما أولئك فأنهم كانوا يقولون بما حكينا عنهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا الذى ذكره أبو الحسن الأشعري عن
 قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتفق على نقله عنهم أرباب المقالات حتى

نفس الشيعة كائن التوبختي ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة ثم ذكر من قال بالتجسيم من المتكلمين وغيرهم ممن يزعم أنه من أهل السنة إلى أن قال وأئمة النفاة يعني نفاة التجسيم هم الجهمية من المعتزلة ونحوهم يجعلون من أثبت الصفات مجسماً بناءً عندهم على أن الصفات عندهم لا تقوم إلا بجسم ويقولون إن الجسم مركب من الجواهر المنفردة ومن المادة والصور فقال لهم أهل الإثبات قولكم منقوض بآثبات الأسماء الحسنى فإن الله تعالى حي عليم قدير وإن أمكن إثبات حي عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم وإن لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن إثبات الأسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات ، انتهى المقصود منه . فإذا تبين لك أن هذا المذهب أعني القول بالتجسيم هو مذهب هؤلاء المبتدعة الضلال ومن وافقهم من أتباع الأئمة فذهب الوهاية هو مذهب أهل السنة المحضة كالآمام أحد وذويه فلا يطلقون لفظ التجسيم لانفياً ولا اثباتاً لوجهين أحدهما أنه ليس مأثوراً لافي كتاب ولا سنة ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا غيرهم من أئمة المسلمين فصار من البدع المذمومة (الثاني) أن معناه يدخل فيه حق وباطل . انتهى من المناهج للشيخ الإسلام رحمه الله وتام الكلام فيه فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه .

فصل

قال العراقي ومن عظيم سفهه أنه لما رأى العقل مخالفاً لجميع ما يدعيه خلق الحياء فطال العقل ولم يحكمه في شيء وتصدى إلى جعل الناس كالبهائم إلى آخر ما هذى به .

(والجواب أن نقول) لما رأى الشيخ رحمه الله أن هؤلاء الذين هم أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة الجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم فيما يعتقدونه أنهم في معرفة ذلك اعتمدوا على مجرد عقولهم ودفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً ولم يحكموا كتاب الله وسنة رسوله ولم يلتفتوا إلى أقوال

الصحابة ومن بعدهم من التابعين لهم باحسان ولم يسلكوا طريق الاثمة في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وفي باب العمل والعبادة وأنهم خالفوا صحيح العقل الموافق لصريح النقل بما أجمع عليه سلف الأمة وانتمها عطل عقول هؤلاء ولم يحكمها في شيء فان البهائم التي لا تعقل شيئا اهدى سبيلا من عقول هؤلاء كما قال تعالى (إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) لأنها قد تهتدى إلى بعض منافعها وقد كان من المعلوم بالضرورة أن أصح الناس عقولا وأكملهم آراء أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من السلف الصالح والصدر الاول وأئمة الدين والحديث ومن على طريقهم فمن خالفهم فمقله فاسد ورأيه كاسد . ومن المعلوم أيضاً أن الشيخ رحمه الله لم ينف معقول هؤلاء الاثمة بل حكم ما وافق المنقول من معقولهم واعتمده في رد أباطيل هؤلاء الملاحدة واشباههم وكذلك ما أصلوه من الاصول وبنوا عليه من القروع الموافق لقواعد الشريعة المطهرة يعمل به ويحكم به فمن نسب اليه غير ذلك فقد أخطأ وظلم نفسه وافترى عليه وقد غلب من افترى .

فصل

قال العراقي قد آن لنا أن نذكر هنا خلاصة ماتمذهبت به الفرقة المارقة والوهاية من الاباطيل ثم تكلم عليها في المباحث الآتية بما يردها ويدحض حجتها فنقول قد اشتملت عقيدتهم الباطلة على أمور (الاول) اثبات الوجه واليد والجهة للبارئ سبحانه وجعله جسما ينزل ويصعد (الثاني) تقديم النقل على العقل وعدم جواز الرجوع اليه في الامور الدينية (الثالث) نفي الاجماع وانكاره (الرابع) نفي القياس (الخامس) عدم جواز التقليد للجهتهدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم (السادس) تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين (السابع) النهي عن التوسل إلى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الاولياء والصالحين (الثامن) تحريم زيارة قبور الانبياء والصالحين (التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا (العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مرافد الانبياء والصالحين

(فالجواب أن نقول) نعم قد اشتملت عقيدة الوهاية على اثبات الوجه واليد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف كما هو معروف مشهور في عقائدهم وفيما صنفوه من الرد على الجهمية وغيرهم من أهل البدع وذكرنا من ذلك طرفاً فيما تقدم .

وأما لفظ الجهة وجعله سبحانه وتعالى جسماً فهذا من الكذب على الوهاية وقد تقدم الكلام على ذلك قريباً وفيه بحث وتفصيل .

وأما كونه تعالى ينزل ويصعد فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة أحاديث النزول وقد تقدم الكلام على ذلك وهو مما نعتقده وندين الله به على ما يليق بجلاله وعظمته ولو كره الكافرون .

(وأما قوله الثاني) تقديم النقل على العقل .

(فأقول) وهذا أيضاً مما ندين الله به ونعتقده ومن لم يقدم النقل على العقل فما آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومع ذلك نقول : إن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح فإن اختلفا فالعقل إما فاسد أو النقل غير صحيح ولا صريح .

وأما عدم جواز الرجوع إليه في الأمور الدينية فما ذاك إلا لمخالفة النقل الصحيح الصريح . وأما إذا وافق النقل فلا مانع من جوازه عندنا بل نعتقد بذلك ونعتمده .

(وقوله الثالث) نفي الإجماع وانكاره .

(فأقول) هذا كذب فانا نعتقد أنه الأصل الثالث وأن الأمة لا تجمع على ضلالة لكن ننكر إجماع عباد القبور وأفراخ المتفلسفة واباط الفرس والروم ومن نحائهم . وحذا حنوم . وأيضاً ننكر دعوى الإجماع على أن الاجتهاد قد انقطع ، وأن التقليد واجب .

(وقوله الرابع) نفي القياس .

(فأقول) أما نفي القياس مطلقاً فن الكذب فإن فيه ما هو صحيح وفيه ما هو باطل .

(وقوله الخامس) عدم جواز التقليد للجهتدين من أئمة الدين وتكفير من قلدهم .

(فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهاية فانهم كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ولكن ربما يوجد ذلك في كتب بعض من ينسبونه هؤلاء اليهم لاعتقاده أنهم على الحق وأنهم مخالفون لعباد القبور ولأهل الأهواء من أهل البدع كما قد يوجد ذلك في كتب صديق الهندي وغيره .

(وقوله السادس) تكفيرهم كل من خالفهم من المسلمين .

(فأقول) وهذا أيضاً كذب على الوهاية فانهم لا يكفرون المسلمين وإنما يكفرون من كفر الله ورسوله وأهل العلم من غلاة عباد القبور وغلاة الجهمية وغلاة القدرية والمجبرة وغلاة الروافض وغلاة المعتزلة وغيرهم من كفره السلف الصالح بعد قيام الحجة .

(وقوله السابع) انتهى عن التوسل الى الله تعالى بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين .

(فأقول) نعم كانوا ينهون عن التوسل بالرسول وبغيره من الأولياء والصالحين بعد مماتهم وفي حال غيبتهم اذا كان التوسل على ما يعرف في لغة الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين . وأما في حال حياتهم بهذا العرف فلا ينهون عنه ولا ينكرونه . وأما على عرف غلاة عباد القبور واصطلاحهم الحادث فهم ينهون ~~عن~~ ويكفرون من دعا أهل القبور واستغاث بهم والتجأ اليهم بعد قيام الحجة عليهم .

(وقوله الثامن) تحريم زيارة قبور الأنبياء والصالحين .

(فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهاية فانه يجوز عندهم زيارة القبور على الوجه الشرعي . وأما شد الرحال اليها فيمنعون من ذلك وينكرونه لقوله ~~عليه السلام~~ لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ، الحديث .

(وقوله التاسع) تكفير من حلف بغير الله وعده مشركا .

(فأقول) هذا كذب على الوهاية فانهم لا يكفرون بمجرد الحلف بغير الله وفيه بحث .

(وقوله العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مرآقد الأنبياء والصالحين .

(فأقول) نعم يكفرون من نذر لغير الله وذبح لغيره فان النذر والذبح من خصائص الإلهية فمن أشرك بالله أحداً من المخلوقين في خصائص الخالق فلا مانع من تكفيره بعد قيام الحجة عليه وسيأتي الكلام على كلامه عليها ان شاء الله تعالى .

فصل

قال العراقي : تجسيم الوهاية

إن الوهاية التي كفرت من زار قبر رسول الله ﷺ متوسلاً الى الله تعالى وعدت ذلك شركاً في الوهية وقالت بوجوب تنزيهه تعالى قد خبطت كل الخط في تنزيه الله تعالى حيث أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه وأثبتت له الوجه واليد وبعضته سبحانه فجعلته ماسكاً بالسموات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، وللشجر على اصبع ، والملك على اصبع ثم أثبتت له الجهة فقالت هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالأصابع الى فوق إشارة حسية وينزل الى السماء الدنيا ويصعد قال بعضهم :

لئن كان تجسماً ثبوت استوائه على عرشه إني اذاً لجسم
وان كان تشبيهاً ثبوت صفاته فعن ذلك التشبيه لا اتلعم
وان كان تنزيهاً جحود استوائه وأوصافه او كونه يتكلم
فن ذلك التنزيه نزهت ربنا بتوفيقه والله أعلى وأعظم

(والجواب أن نقول) بل الذي خبط كل الخط ، وهام في مهامه الخبط والهمط ، وكشف جلاب الحياء ، وملاك مسالك أهل النقي والردي ، هذا العراقي الملهد حيث جعل اثبات صفات الله ذي الجلال والإكرام تجسماً وتشبيهاً ومن وصفه بها فقد بعضه وصرح بعدم علوه على عرشه وارتفاعه عليه عناداً وجحوداً ، وتمرداً وتكبراً وسموداً فتعالى الله عما يقول هذا الجاحد علواً كبيراً فاما كون الوهاية أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه واستقراراً وعلواً فوقه فنعم وبذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله واجمع على ذلك سلف الأمة

وأثبتها . فالله تعالى يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ، ولا تمثيل فيثبتون لله ما أثبتته لنفسه من استوائه على عرشه وعلوه عليه وأنه بائن من خلقه ويثبتون ما أثبتته لنفسه من الاسماء والصفات وينفون عنه النقص والعيوب ومشابهة المخلوقات اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد بما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيها .

إذا تبين لك هذا وتحققته فنذكر من كلام الأئمة ما يبين غلط هذا الملحد وخروجه عن الصراط المستقيم ، وسلوكه طريق أصحاب الجحيم ، ممن نكب عن الدين القويم ، وأتبع غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين .

قال شيخ الاسلام رحمه الله ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وأبناظ من نقل مذهبهم الى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يعلم به مذهبهم . روى أبو بكر البيهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الازواعي قال : كنا والتابعون متوافرون نقول : ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من الصفات . قال الشيخ : وفي كتاب الفقه الاكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رووه بالاسناد عن أبي مطيع ابن عبد الله البلخي قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الاكبر فقال : لا تكفرن أحداً بذنب ولا تنفي أحداً به من الايمان ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . الى أن قال : قال أبو حنيفة عن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الارض فقد كفر لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سموات . قلت : فان قال انه على العرش استوى ولكنه يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الارض قال هو كافر لأنه انكر ان يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وفي لفظ : سألت أبا حنيفة عن بقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الارض قال : قد كفر

قال لأن الله يقول (الرحمن على العرش استوى) لكن لا يدري العرش في الأرض أم في السماء قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فكيف يكون الثاني الجاحد الذي يقول ليس في السماء ولا في الأرض ، واحتج على كفره بقوله (الرحمن على العرش استوى) قال وعرشه على سبع سموات وبين هذا أن قوله (الرحمن على العرش استوى) دال على أن الله نفسه فوق العرش ، ثم أنه أردى ذلك بتكفير من قال أنه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض قال لأنه أنكر أنه في السماء لأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء . واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فإن للقلوب مفطورة على الاقرار بأن الله في العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . وروى هذا اللفظ بالاسناد عنه شيخ الإسلام أبو اسماعيل الانصارى الهروى في كتاب الفاروق . وروى أيضاً ابن أبي حاتم أن هشام بن عبد الله الرازى صاحب محمد بن الحسن قاضى الرى الذى حبس رجلاً في التجهم فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال : أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه ، فقال : أشهد أنه على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه ، فقال : ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب .

وروى أيضاً عن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال : أن الله على العرش بائن من الخلق وقد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، لا يشك في هذه المقالة إلا جهى ردى ضليل وهالك مرتاب يمزج الله تعالى بخلقه ويخلط منه الذات بالاقذار واللاتان .

وروى أيضاً عن ابن المدينى لماسئل : ما قول أهل الجماعة ، قال : يؤمنون

بالرؤية والكلام ، وإن الله فوق السموات على العرش استوى ، فسئل عن قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) فقال : إقرأ ما قبلها (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) .

وروى أيضاً عن أبي عيسى الترمذى قال : هو على العرش كما وصف في كتابه وعليه وقدرته وسلطانه في كل مكان .

وروى عن أبي زرعة الرازى انه لما سئل عن تفسير قوله (الرحمن على العرش استوى) فقال تفسيره كما تقرأ هو على العرش وعليه في كل مكان ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله إلى أن قال : وروى عبد الله بن أحمد وغيره باسناد صحيح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا نعرف ربنا فقال بأنه فوق السموات على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما تقول الجهمية أنه ههنا في الارض وهكذا قال الامام احمد وغيره .

وروى باسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال : إنما يحاولون أن يقولوا : ليس في السماء شيء .

وروى ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن سعيد بن عامر الضبعي امام أهل البصرة علماً ودينياً من شيوخ الامام أحمد أنه ذكر عنده الجهمية فقال : هم شرقولا من اليهود والنصارى ، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الاديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس على شيء .

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الاثمة : من لم يقر أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب والا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لثلا يتأذى بريجه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، ذكره عنه الحاكم باسناد صحيح وذكر كلاماً طويلاً ثم قال : وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب محجة الواثقين ومدرجة الواثقين تأليفه : وأجمعوا ان الله فوق سمواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقوله الجهمية انه بكل مكان . ثم ذكر الشيخ كلاماً الى أن ذكر عن الشيخ الامام أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح

الجيلاني قال في كتاب الغنية أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد ، إلى أن قال : وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط عليه بالأشياء ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال أنه في السماء على العرش استوى كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال : وينبغي إطلاق الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش قال : وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزله على كل نبي أرسله بلا كيف وذكر كلاماً طويلاً لا يحتمله هذا الموضع . وقال أبو الحسن الأشعري في الإبانة :

باب ذكر الاستواء على العرش

فإن قال قائل ما يقولون في الاستواء ؟ قيل له نقول : إن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وذكر آيات ثم قال فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات (قال أأنتم من في السماء) لأنه مستو على العرش الذي هو فوق السموات وكل ما علا فوق فهو سماء فالعرش أعلى السموات إلى أن قال

فصل

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحروية إن معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) أنه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى أنه القدرة فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شيء والأرض ، فله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم

فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على
 الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش
 والأقذار لأنه قادر على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال إن
 الله مستو على الحشوش والأخيلة ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش
 الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص
 بالعرش دون الأشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والأحاديث والإجماع
 والعقل ، انتهى . وقال شيخ الإسلام أيضاً في الكتاب المسمى ببيان موافقة صريح
 المعقول لصحيح المنقول قال اسحق بن راهوية حدثنا بشر بن عمر سمعت غير
 واحد من المفسرين يقول الرحمن على العرش استوى أى ارتفع وقال البخارى
 في صحيحه قال أبو العالية استوى الى السماء ارتفع ؟ قال وقال مجاهد استوى على
 العرش وقال الحسين ابن مسعود البغوى في تفسيره المشهور قال ابن عباس
 وأكثر مفسرى السلف استوى الى السماء ارتفع الى السماء وكذلك قال الخليل
 ابن أحمد وروى البيهقى في كتاب الصناعات قال الفراء ثم استوى أى صعد قاله
 ابن عباس وهو كقولك للرجل كان قاعداً فاستوى قائماً وروى الشافعى في
 مسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال عن يوم الجمعة وهو اليوم الذى
 استوى فيه ربكم على العرش والتفاسير المنأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين
 مثل تفسير محمد بن جرير الطبرى وتفسير عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف
 بدحيم وتفسير عبد الرحمن بن أبى حاتم وتفسير ابن المنذر وتفسير أبى بكر
 عبد العزيز وتفسير أبى الشيخ الأصمغانى وتفسير أبى بكر بن مردويه وما قبل
 هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد ابن حنبل واسحق بن إبراهيم وبق بن مخلد
 وغيرهم ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير عبد الرزاق ووكيع
 ابن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى وكذلك
 الكتب المصنفة فى السنة التى فيها آثار النبي ﷺ والصحابة والتابعين وقال أبو محمد
 حرب بن اسمعيل الكرماني فى مسائله المعروفة التى نقلها عن أحمد واسحق
 وغيرهما وذكر معها من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة وغيرهم ما ذكر وهو

كتاب كبير صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات قال في آخره في الجامع باب القول في المذهب هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المعروفين المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وبقى بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا منهم العلم وذكر الكلام في الإيمان والتقدير والوعيد والامامة وما أخبر به الرسول من اشراط الساعة وأمر البرزخ والقيامة وغير ذلك الى أن قال وهو سبحانه بآن من خلقه لا يخلو من عليه مكان والله عرش وللعرش حملة يحملونه وله حد الله أعلم بحده والله على عرشه عن ذكره وتعالى جده ولا إله غيره والله تعالى سميع لا يشك بصير لا يرتاب عليم لا يجهل جواد لا يخل حليم لا يعجل حفيظ لا ينسى يقظان لا يسهو ورقب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ، ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ، ويغض ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب ، ويرحم ، ويغفر ، ويعفو ، ويعطي ، ويمنع . وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ولم يزل الله متكلماً عالماً قتيارك الله أحسن الخالقين ، انتهى . ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم من الأئمة لا حتمل مجلداً فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

وأما تفسير الاستواء بالاستقرار فهو من تفاسير أهل السنة والجماعة قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع أهل العلم أعني حجة الازمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن

لا عبرة بمخالف لهمو ولو كانوا عديد الشاء والبحران
ان الذى فوق السموات العلى والعرش وهو مبائن الاكوان
هو ربنا سبحانه وبحمده حقا على العرش استوا الرحمن
ثم ذكر أقوال الأئمة الى أن قال :

ولهم عبارات عليها اربع قد حصلت للفارس الطعان
وهى استقروا وقد علا وكذلك ار تفع الذى ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذى هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول فى تفسيره ادرى من الجهى بالقرآن
وأما قوله واثبت له الوجه واليدين

فأقول قد تقدم الكلام على ذلك وبه الكفاية
وأما قوله وبعضه سبحانه لجعله ماسكا بالسموات على أصبع والارضين
على أصبع والشجر على أصبع والملك على اصبع الخ

فالجواب أن يقال لمن وقف على هذا الجواب عليك أولا أن تعلم أن هذا
الكلام أعنى قوله وبعضه سبحانه ليس هو من كلام أهل السنة المحضة الذين
لم يشوبوا عقائد بدم التشبيه وعذرة التحريف ونجاسة التعطيل بل هو من
مقدرات الافكار وتنازع قياسات عقول أفرار المتفلسفة وأتباع الهند واليونان
وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائين وأشكالهم
واشباههم الذين يزعمون أنهم ينزهون الله تعالى عن الابعاض والحدود والجهات
فيسمع الغر الخدوع هذه الالفاظ يتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من
معانيها عند الاطلاق من العيوب والنقائص والحاجة فلا يشك أنهم يجدونه
ويعظمونه ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الالفاظ فيرى تحتها الالحاد
وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله .

فأما الابعاض فمرادهم تنزيهه عنها أنه ليس له وجه ولا يدان ولا يمسك
السموات على اصبع ، والارض على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على
اصبع ، فان ذلك كله ابعاض والله منزّه عن الابعاض كما ذكره ابن القيم رحمه الله

عنهم في الصواعق المرسله فاذا عرفت هذا من قلوبهم وعقائد قلوبهم وانما
 نزوه عما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه وإحاطته بجميع مخلوقاته وأنهم ما عرفوا
 الله حق معرفته ولا قدره حق قدره ولا عظمه حق عظمتهم فخرجوا عن
 المعقول ونبذوا المنقول وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فجاء هؤلاء الضلال
 الغلاة والملاحدة الجهال فتوهموا أن هذا من قول الوهاية وأنهم خرجوا بهذا
 القول عن جماعة أهل السنة المحضة وما علم هؤلاء الجهلة أن هذا صريح الكتاب
 والسنة قال الله تعالى : (وما قدرُوا الله حق قدره أو لارض جميعاً قبضته يوم
 القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) . قال العباد
 ابن كثير رحمه الله ، يقول الله تعالى : ما قدر المشركون الله حق قدره حتى
 عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل
 شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته ، قال السدي ما عظمه حق عظمتهم ، وقال
 محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه ، وقال عتي بن أبي طلحة ، عن
 ابن عباس هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدره الله عليهم فن آمن أن الله على كل
 شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن به فلم يقدر الله حق قدره ، وقد
 وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف
 وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف وذكر حديث ابن مسعود
 الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : جاء خبر من
 الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أنا نجد أن الله يجعل السموات على
 أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على
 أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت
 نواجذه تصديقا لقول الخبر . قرأ (وما قدرُوا الله حق قدره والارض جميعاً
 قبضته يوم القيامة) الآية . وفي رواية لمسلم والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن
 فيقول أنا الملك أنا الله . وفي رواية البخارى يجعل السموات على أصبع والماء
 والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع . قال ابن كثير رحمه الله ، ورواه
 البخارى في صحيحه في غير موضع ومسلم والامام أحمد والترمذى والنسائى

كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الاعمش عن ابراهيم بن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه قال جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على أصبع والسماوات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره) الآية . وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طريق عن الاعمش به ، وقال الامام أحمد حدثنا الحسين بن حسن الاشقر حدثنا أبو كدينة عن عطا عن أنى الضحا عن ابن عباس قال : مر يهودى برسول الله ﷺ وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماوات على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير بأصبعه فأنزل الله : (وما قدروا الله حق قدره) . وكذا رواه الترمذى فى التفسير بسنده عن أبى الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ثم قال : قال البخارى حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبى سلبه بن عبد الرحمن ان أبا هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقبض الله الارض ويطوى السماء يمينه فيقول أنا الملك أين ملوك الارض ، تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر . وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنى عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السماء يمينه ثم يقول أنا الملك ، تفرد به أيضاً من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه الامام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلبه حدثنا اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها ويقبل بها ويدبر

يمجد الرب تعالى نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم
فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به ، انتهى . وهذه الاحاديث
تدل على عظمته سبحانه وتعالى وتبين أن الله تعالى على عرشه ولم يقل النبي ﷺ
في شيء منها أن ظاهرها غير مراد وأنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات
خلقه ولو كان هذا حقاً لبلغه أمته فان الله أكمل به الدين وأتم به النعمة فبلغ
البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن يتبعهم الى يوم
الدين وتلقى الصحابة رضى الله عنهم عن نبيهم ﷺ ما وصف به ربه من صفات
كحاله ونعوت جلاله فأمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربه
جل وعلا وهذا الملحد الجاهل جعل ما تضمن كتاب الله وسنة رسوله ابعاضاً
وسمى اثبات علو الله على عرشه وفوقيته ونزوله وصعوده نجسياً ومن تمسك
بكتاب الله وسنة رسوله وكلام الأئمة مجسماً .

وأما قوله حتى قال بعضهم :

لئن كان تجسماً ثبوت استوائه	على عرشه أتى اذاً لمجسم
وان كان تشبيهاً ثبوت صفاته	فمن ذلك التشبه لا أنلعم
وان كان تنزيهاً جحد استوائه	وأوصافه أو كونه يتكلم
فمن ذلك التنزيه نزهت ربنا	بتوقيفه والله أعلى وأعلم

فالجواب انا نعتقد هذا وندين الله به وأزيد ذلك تقريراً له بقولى :

أقول نعم هذا هو الحق والهدى	وعن وصفه بالحق لا أنلعم
ومن حاد عن هذا وقال سفاهة	طريقة جهم والمريسي أسلم
فقد حاد عن نهج الشريعة واعتدى	وضل عن الحق الذى هو أحكم
وأشهد أن الله جل ثناؤه	على عرشه والله أعلى وأعظم
وأشهد أن الله ليس كمثله	شبيه ولا مثل ولا كفو يعلم
فمن جحد الاوصاف لله ربنا	ونزهه عن كونه يتكلم
وعن كونه فوق السموات قد علا	على عرشه فهو الكفور المذم
فليس يتجسم ثبوت استوائه	على عرشه لكننا الفوق يفهم

ويعلم من نص الكتاب وسنة
أليس على هذا صحابة أحمد
وان لم يكن ما بلغوه هو الهدى
أولئك هم أهدي سبيلا ومنهجاً
أجهم بن صفوان اللعين وحزبه
أم الحق ما قال الفلاسفة الأولى
أولئك في بحر الضلالة قد هروا
فسار على منهاجهم في ضلالهم
بتنزيهه فيما يرون وقصدهم
بالزام أهل الحق بالبغي والهوى
والزامهم ما ألزموه تغنت
وما ذاك إلا أنه ليس عندهم
وما هذه الأوصاف إلا لمن له
فان كان تجسيميا ثبوت صفاته
فسبحانه عن أفكهم وضلالهم
قلله وجه بل يدان حقيقة
ويضحك رب من قنوط عباده
وكلم فيما قد مضى من عباده
سميع بصير ذو اقتدار ورفعة
وينزل شطر الليل نحو سمائه
كما شاءه سبحانه وبحمده
يفصل بين الخلق يوم معادهم
وتؤمن ان الله جل ثناؤه
الى غير ذامن كل أوصافه التي
وصحت بها الأخبارون سيد الورى

لأفضل خلق الله من هو اعلم
وأهل الحجا لو كنت ويحك تفهم
فن ذا الذى منه الهدى يتعلم
وان لم يكونوا المهتدين فن هم
وأنبأه من هم أضل وأظلم
ومن صار فيما أصلوا يتكلم
وهم في موامى الغى والبنى هوّم
زنادقة من بعدهم حين اوهموا
هو الكفر والتعطيل والقوم قد عموا
لوازم لا ترضى ولا هى تلزم
وبغى والحاد وإفك ومائم
إله بهذا الوصف حقاً يعظم
صفات وجسم وهو عنها يفخم
لديكم فأتى اليوم عبد مجسم
وطغيانهم فالله أعلى وأعظم
ويغضب بل يرضى ويعطى ويرحم
ويفرح ان تابوا ويوبى وينعم
لمن شاء منهم قائلاً ويكلم
ويعلم ما نبدى جهاراً ونكتم
ويصعد والرحمن أعلى وأعظم
وسوف يحى يوم القيامة يحكم
يوم به تبدو عياناً جهنم
يرى ويرى يوم المزيد وينعم
بها نطق القرآن والكل محكم
نقول بها جهراً ولا تتلغم

فصل

قال العراقي نحن ننقل لك هنا بعض عباراتهم التي وردت في هذا الشأن مسطورة في كتاب الدين الخالص قال صاحبه ان أردتم بالجسم المركب من المادة والصورة أو المركب من الجواهر الفردة فهذا منفي عن الله تعالى قطعاً والصواب نفيه عن الممكنات أيضاً فليس الجسم المخلوق مركباً من هذه ولا هذه .

قال العراقي فأقول فأنظر الى ما في هذه العبارة من الخبط فانه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره سواء كان واجبا أو ممكناً والظاهر أن غرضه من هذا الانكار هو التوصل الى نفي الجسمية التي تلزم من معتقده في الله تعالى قائلاً يقال إنه شبه الخالق بمخلوقة نفي الجسمية بالمعنى المذكور عن مخلوقه أيضاً وأنت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردة .

(والجواب أن يقال) هذا الكلام ليس هو من كلام صاحب الدين الخالص بل هو كلام شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى نقله صديق من الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتضة وهو في الصواعق أبسط من هذا بأدلته العقلية والنقلية فنسبة هذا الكلام إلى الوهاية وإن كانوا يعتقدون صحته جهل عريض وعدم معرفة بالرجال ومقالاتهم فان ابن القيم رحمه الله تعالى في القرن السابع وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر فصار من المعلوم عند هؤلاء أن من تكلم بالحق وبما نطق به الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وأئمتها وإن كان ممن تقدم زمانه فهو وهاى فصار هذا الاسم علماً على أهل الحق في كل زمان ومكان (فضلاً من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم)

(وأما قوله) فانه انكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره الى آخره (فبقول) نعم ما ذكره من لفظ الجسم وما يتبع ذلك لم ينطق به في صفات الله لا كتاب ولا سنة لا نفي ولا اثباتاً ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

وقوله والظاهر أن غرضه من هذا الإنكار هو التوصل الى نفي الجسمية
التي تلزم من معتقده في الله تعالى الى آخره .

(فأقول) نعم ولا يلزم من اثبات الصفات التي أثبتها الله ورسوله هذه
اللوازم التي سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إنما هي نخاعة أفكار
وزبالة أذهان لا حقيقة لها في التحقيق ولا تثبت على قدم الحق والتصديق

فهذه اللوازم منفية عن الله قطعاً وعن الممكنات أيضاً كما يأتي بيانه وتفصيله
ثم انه من المعلوم أن أصل الكلام في المادة والصورة والهيولى والجواهر الفردة
وغيرها من التراكيب المحدثه في الاسلام ليس هو من كلام أهل السنة العامة فضلاً
عن أن يكون من كلام محققى أهل السنة المحضه وإنما أصله من كلام الفلاسفة
واليونان الخارجين عن شريعة الاسلام فالاحتجاج به والاستدلال به ممن يدعى
انه من أهل السنة على أهل السنة المحضه خروج من الدين والعقل وإنما تكلم فيه
أئمة الاسلام لما دخل فيه بعض أهل السنة العامة وبعض أهل السنة المحضه
واعتمدوا عليه في العقليات فاحتاج أئمة الاسلام الى الكلام فيه لرد معقولاتهم
الفاسدة بالنقل والعقل واذ كان أصله ومادته كذلك فبطلانه معلوم بالاضطرار
من دين الاسلام عقلاً ونقلاً .

قال شيخ الاسلام رحمه الله في تفسير سورة الاخلاص (قل هو الله أحد)
بعد كلام له سبق وكان الذين امتحنوا احمد رحمه الله وغيره من هؤلاء الجاهلين
فابتدعوا كلاماً متشابهاً نفوا به الحق فأجابهم احمد لما ناظروه في المحنة ونحو ذلك
وذكروا الجسم فأجابهم بأننى أقول كما قال الله تعالى (الله أحد ، الله الصمد)
وأما لفظ الجسم فللفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم به البتة والمعنى
الذى يراد به مجمل ولم يبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح فقال ما أدرى
ما تقولون لكن أقول (الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له
كفوراً أحد) يقول ما أدرى ما تعنون بلفظ الجسم فأنا لا أوافقكم على اثبات
لفظ ونفيه اذا لم يرد الكتاب والسنة بأثباته ولا نفيه ان لم يدر معناه المتكلم به
فان عني في النفي والاثبات ما يوافق الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافق

ولفظ الجسم والجواهر لم يأت في كتاب ولا سنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين وسائر أئمة الدين التكلم بها في حق الله تعالى لا بنى ولا باثبات . ولهذا قال احمد في رسالته الى المتوكل لا احب التكلم في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة والتابعين .

وأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود . وذكر أيضاً فيما حكاه عن الجهمية انهم يقولون ليس فيه كذا وكذا وهو كما قال فان لفظ الجسم في اللغة التي نزل بها القرآن معنى كما قال تعالى : (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم) . وقال تعالى : (وزاده بسطة في العلم والجسم) قال ابن عباس كان طالوت اعلم بنى اسرائيل بالحرب وكان يفوق الناس بمنكبه وعنقه ورأسه والبسطة السعة قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت الشيء اذا كان مجموعاً ففتحته ووسعته قال بعضهم والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة إذ العادة أن من كان أعظم جسماً كان أكثر قوة فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن . قال الجوهري . قال أبو زيد الانصاري الجسم الجسد وكذلك الجثمان والجثمان . وقال الاصمعي الجسم والجثمان والجسد والجثمان . قال وجماعة جسم الإنسان يقال له الجثمان وقد جسم الشيء أى عظم فهو جسيم وجسام والجسام بالكسر جمع جسم . قال أبو عبيدة تجسمت فلانا من بين القوم أى اخترته كأنك قصدت جسمه كما تقول نائبة أى قصدت اینه وشخصه وأنشد أبو عبيدة :

✽ تجسمته من بينهن بمرهف ✽

وتجسمت الارض اذا أخذت نحوها تريدها وتجسم من الجسم . وقال ابن السكيت تجسمت الامرأى ركبت اجسمه وجسيمه أى معظمه . قال وكذلك يجسمت الرمل والجبل أى ركبت أعظمه والأجسم الأضخم . قال عامر بن الطفيل

لقد علم الحى من عامر بأن لنا الذروة والأجساما

فهذا الجسم في لغة العرب وعلى هذا فلا يقال للهوى جسم ولا للنفس الخارج من الانسان جسم ولا لروحه المنفوخة جسم ومعلوم أن الله سبحانه

لا يماثل شيئاً من ذلك لا بدن الإنسان ولا غيره فلا يوصف الله بشيء من خصائص المخلوقين ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فلا يجوز أن يقال هو جسم ولا جسد ، انتهى .

وإذا كان هذا الجسم في لغة العرب كان متنفياً عن الله بهذا المعنى لأن الله أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد فلا يماثله شيء من مخلوقاته ولا يطلق عليه من الاسماء ما يختص بصفات المخلوقين فان من شبه الله بخلقه فقد كفر لأنه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

(وأما قوله) وانت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردة .

فالجواب أن نقول هذا على اصطلاح أهل الكلام وقد عرفت ما في كلامهم من الاختلاف والتزاع بينهم والواجب على كل مسلم أن ينظر في هذا الباب فما اثبتته الله ورسوله اثبتته وما نفاه الله ورسوله نفاه والالفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي فتثبت ما اثبتته النصوص من الالفاظ والمعاني وتنفي ما نفته النصوص من الالفاظ والمعاني . وأما هذه الالفاظ التي تنازع فيها من ابتداعها فقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وأما أهل الكلام فالجسم عندهم اعم من هذا وهم مختلفون في معناه اختلافاً كثيراً عقلياً واختلافاً لفظياً اصطلاحياً فهم يقولون كل ما يشار إليه إشارة حية فهو جسم ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر المنفردة ثم منهم من قال الجسم أقل ما يكون جوهرأ بشرط أن ينضم اليه غيره وقيل بل هو الجوهران والجواهر فصاعداً وقيل بل أربعة فصاعداً وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية وقيل بل ستة عشر وقيل بل اثنان وثلاثون وهذا قول من يقول أن الاجسام كلها مركبة من الجواهر التي لا تنقسم وقال آخرون من أهل الفلسفة كل الاجسام مركبة من الهوى والصورة لا من الجواهر المنفردة وقال كثير من أهل الكلام وغير أهل الكلام ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا وهذا قول الهشامية والكلاية والضراية وغيرهم من الطوائف الكبار

لا يقولون بالجواهر الفردية ولا بالمادة والصورة وآخرون يدعون اجماع المسلمين على اثبات الجوهر الفرد كما قال أبو المعالي وغيره اتفق المسلمون على ان الاجسام تنهاى في تجزئتها وانقسامها حتى تصير أفراداً ومع هذا فقد شك فيه وكذلك شك فيه أبو الحسين البصرى وأبو عبد الله الرازى ومعلوم أن هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين لا من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين وأول من قال ذلك فى الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة وهذا من الكلام الذى ذمه السلف وعابوه ولكن حاكى هذا الاجماع لما لم يعرف أصول الدين إلا ما فى كتب الكلام ولم يجد إلا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين والقول بالجواهر الفرد باطل والقول بالهوى والصورة باطل وقد بسط الكلام على هذه المقالات فى فى مواضع أخر . وقال آخرون الجسم هو القائم بنفسه وكل قائم بنفسه جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار اليه واختالفوا فى الاجسام هل هى متماثلة أم لا على قولين مشهورين وإذا عرف ذلك فمن قال أنه جسم وأراد أنه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثله شئ فى شئ من صفاته فمن أثبت لله مثلاً فى شئ من صفاته فهو مبطل ومن قال انه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ومن قال ليس بجسم بمعنى انه لا يرى فى الآخرة ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدى اليه فى الدعاء ولا عرج بالرسول اليه فهذا قول باطل وكذلك من نى ما أثبت الله ورسوله وقال ان هذا تجسيم فنفية باطل وتسميته ذلك تجسماً تلبس منه فان أراد ان هذا يقتضى أن يكون جسماً مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو أن هذا يقتضى أن يكون جسماً والاجسام متماثلة قيل له أكثر العقلاء يخالفونك فى تماثل الاجسام المخلوقة وفى انها مركبة فلا يقولون إن الهوى مثل الماء وأبدان الحيوان مثل الحديد والجبال فكيف يوافقونك على ان الرب تعالى يكون مماثلاً لخلقه اذا أثبتوا له ما أثبته الكتاب والسنة والله تعالى

قد نبى الممثلة في بعض المخلوقات وكلاهما جسم كقوله (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) مع أن كليهما بشر فكيف يجوز أن يقال إذا كان لب السموات علم وقدرة أنه يكون ممثلاً لخلق الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ونكتة الأمر أن الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم ممثلة بسائر الأجسام ويستلزم أن يكون مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة قلت وهذا هو نتيجة قول هذا العراقي ومراهه حيث قال وأنت تعرف أن الجسم إن لم يكن مركباً من المادة والصورة فلا محيص أن يكون مركباً من الجواهر الفردة ثم قال شيخ الإسلام وأكثر العقلاء يخالفونه فالتلازم متفق باتفاق الفريقين وهو المطلوب فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفى عن الله شرعاً وعقلاً بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحي هل هو مستلزم لهذا المحذور وهو بحث عقلى كبحث الناس في الاعراض هل تبقى أو لا تبقى وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لا نفيًا ولا اثباتاً فليس لأحد أن يبتدع اسماً مجملاً يحتمل معاني مختلفة لم ينطق بها الشرع ويعلق به دين المسلمين ولو كان قد نطق باللغة العربية فكيف إذا أحدث اللفظ معنى آخر والمعنى الذى يقصده اذا كان حقاً عبر عنه بالعبارة التى لا لبس فيها فاذا كان معتقده أن الأجسام متماثلة فإن الله ليس كمثله شيء وهو سبحانه لا سمي له ولا كقوله ولا ند له فهذه عبارة القرآن تودى هذا المعنى بلا تلبس ولا نزاع وإن كان معتقده ان الأجسام غير متماثلة وان كان يرى ما يقوم به من الصفات فهو جسم فان عليه أن يثبت ما أثبتته الله ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القسوة المتين) وقوله في حديث الاستخارة = اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك على الخلق ، ويقول كما قال رسول الله ﷺ انكم ترون ربكم يوم القيامة عياناً كما ترون الشمس والقمر لاتضامون في رؤيته فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئى كالمرئى فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى

الصحيح بلا تليس ولا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ثم بعد هذا من كان تبين له معنى من جهة العقل أنه لازم للحق لم يدفعه عن عقله فلازم الحق حق لكن ذلك المعنى لابد أن يدل الشرع عليه فيشبهه بالألفاظ الشرعية وان قدر أن الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده وحينئذ فليس لأحد أن يدعو الناس إليه وإن قدر أنه في نفسه حق ومسئلة تماثل الأجسام وتركيبها من الجواهر المنفردة قد اضطرب فيها جماهير أهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة وأكثر ذلك لأجل الألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة وقد أبسط الكلام عليه في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا انه لو قدر ان الإنسان تبين له أن الاجسام ليست متماثلة ولا مركبة لامن هذا ولا من هذا لم يكن له أن يبتدع في دين الإسلام قوله ان الله جسم وينظر على المعنى الصحيح الذى دل عليه الكتاب والسنة بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبادات الشرعية ولو قدر انه تبين له ان الاجسام متماثلة وان الجسم مركب لم يكن له أن يبتدع النفى بهذا الإسم وينظر على معناه الذى اعتقده بعقله بل ذلك المعلوم بالشرع والعقل يمكن إظهاره بعبارة لا إجماع فيها ولا تليس والذين يقولون الجسم مركب من الجواهر يدعى كثير منهم أنه كذلك في لغة العرب لأن العرب يقولون هذا أجسم من هذا يريدون به أنه أكثر أجزاء منه ويقولون هذا جسم أى كثير الاجزاء قال والتفضيل بصيغة أفعّل انما يكون لما يدل عليه الاسم فاذا قيل هذا أعلم أو أسلم كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم فلما قالوا أجسم لما كان أكثر أجزاء دل على أن لفظ الجسم عندهم المراد به المركب فمن قال جسم وليس مركب فقد خرج من لغة العرب قالوا وهذه تخطئة في اللفظ وان كنا لا نكفره إذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف وقد نازعهم بعضهم في قولهم هذا أجسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما يحكى عن ابن زيد فيقال له لا ريب أن العرب تقول هذا جسم أى عظيم الجثة وهذا أجسم من هذا أى أعظم جثة لكن كون العرب تعتقد أن ذلك لكثرة الاجزاء التى هى الجواهر

المفردة انما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون أن الجسم مركب من
 الجواهر المنفردة والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة الى أنه
 لا يتميز يمينه من يساره ومعلوم أن أكثر العقلاء من بني آدم لا يتصور
 الجوهر الفرد والذين يتصورونه أكثرهم لا يثبتونه والذين أثبتوه انما اثبتوه
 بطريقة خفية ، طويلة بعيدة ، فيمتنع أن يكون لفظ الشائع في اللغة التي ينطق
 بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا ، وقد علم بالاضطرار أن أحداً من الصحابة
 والتابعين لهم باحسان لم ينطق باثبات الجوهر الفرد ، ولا بما يدل على ثبوته
 عنده ، بل ولا العرب قبلهم ، ولا سائر الأمم الباقين على العطرة ولا اتباع
 الرسل فكيف يدعى عليهم أنهم لم يقولوا لفظ الجسم الا لما كان مركباً مؤلفاً ،
 ولو قلت لمن شئت من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء
 صغار كل منها لا يقبل التجزى ، أو الجبال ، أو الهوى ، أو الحيوان والنبات لم
 يتصور هذا المعنى الا بكلفة ، ثم اذا تصور قد يكذب بفطرته ويقول كيف
 يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين
 وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد والفقهاء قاطبة تنكره ، وكذلك أهل الحديث
 والتصوف ، ثم ذكر كلاماً في استحالة بعض الاجسام الى بعض ، ثم ذكر بعد
 ذلك ما يراد بالجسم في لغة العرب ، وأنهم انما يريدون بقولهم هذا أجسم من
 هذا ، أى اغلظ واعظم منه ونفى أن يكون ذلك لزيادة الاجزاء ، ثم قال فقد
 تبين أن من قال الجسم هو المؤلف والمركب ، واعتقد أن الاجسام مركبة من
 الجواهر المنفردة فقد ادعى معنى عقلياً ينازعه فيه أكثر العقلاء من بني آدم ولم
 ينقل عن أحد من السلف أنه وافقه عليه ، وأنه جعل لفظ الجسم في اصطلاحه
 يدل على معنى لا يدل عليه اللفظ في اللغة فقد غير معنى اللفظ في اللغة وادعى
 معنى عقلياً فيه نزاع طويل وليس معه من الشرع ما يوافق ما ادعاه من
 معنى اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلي فاللغة ما تدل على ما قال والشرع لا يدل
 على ما قال والعقل لم يدل على مسميات الالفاظ وانما يدل على المعنى المجرد وذلك
 فيه نزاع طويل ونحن نعلم بالاضطرار أن ذلك المعنى الذي وجب نفيه عن الله
 لا يحتاج نفيه إلى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلي بل

الذى جعلوه عمدتهم في تنزيه الرب على نفى مسمى الجسم لا يمكنهم أن ينزهوه عن شيء من النقائص البتة فانهم إذا قالوا هذا من صفات الأجسام فكل ما يثبتونه هو أيضاً من صفات الأجسام مثل كونه حياً علماً قادراً بل كونه موجوداً قائماً بنفسه فانهم لا يعرفون هذا في الشاهد إلا جسماً فاذا قال المنازع أنا أقول فيما نفيتموه نظير قولكم فيما أثبتموه انقطعوا، انتهى .

والمقصود أن الأجسام المحدثه المخلوقة ليست مركبة لامن المادة والصورة ولا من الجواهر المنفردة فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركباً بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد والمركب الذى يجمع المنفرد ويفرق المجتمع ويؤلف بين الاشياء فيركبها كما يشاء؟ والعقل إنما دل على اثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له لم يلد ولم يولد، ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ولا يدين ولا هو فوق خلقه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب صريح على الوحى .

فصل

قال العراقي : ثم قال - يعنى صاحب الدين الخالص - وان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات، ويرى بالابصار، ويتكلم ويكلم، ويسمع ويبصر، ويرضى ويفض، فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها فلا تنفيها عنه بتسميتكم الموصوف بها جسماً إلى آخر ما قال، قال فأقول : لم نعرف أحداً عرف الجسم بأنه المتكلم الحكيم، السميع البصير، الذى يرضى ويفض، وإنما هذه صفات تقوم بالحى العاقل، نعم أن الجسم يرى بالابصار كما قال ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذه المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافى الألوهية، فان كون الله تعالى جسماً بهذا المعنى نقص يجب تنزيهه عنه .

والجواب : أن يقال : ومن أنت يا كعب بن كعب حتى يلتفت إلى قولك وتعريفك ونفيك وإثباتك وتأصيلك وتفصيلك لأنك إنما أخذت هذه المباحث الملعونة عن

قوم قد ضلوا من قبل ، واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل فان احداً من أئمة الإسلام ومن على طريقهم ومنهجهم لا يقول إن الله جسم بل لا يطلقون هذا اللفظ نفيًا ولا إثباتاً حتى يستصلوه عما أراد به ، ومن أعظم الناس شمس الدين بن القيم الذي تصديت لرد كلامه نفيًا لهذه الأشياء ، وله بحوث في هذا المقام يطول ذكرها ، وقد ذكرها في الصواعق وفي غيرها من كتبه ، كالكافية الشافية وغيرها .

(وأما قوله) وانما هذه صفات تقوم بالحي العاقل إلى آخره .

(فأقول) قولك هذا منقوض باثبات الاسماء والصفات ، فان الله حي عليم قدير ، وان أمكن اثبات حي عليم قدير وليس بجسم أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم ، وان لم يمكن ذلك فما كان جوابكم عن اثبات الاسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات .

(ويقال أيضاً) ليس في هذا النفي ما يدل على صحة مذهب أحد من نفاة الصفات أو الاسماء ، بل ولا يدل ذلك على تنزيهه سبحانه عن شيء من النقائص فان من نفي شيئاً من الصفات لمكون اثباته تجسماً وتشبيها يقول له المثبت قولي فيما أثبتته من الاسماء والصفات كقولك فيما أثبتته من ذلك ، فان تنازعا في الصفات الخبرية أو الملو أو الرؤية ونحو ذلك ، وقال له هذا يستلزم التجسيم والتشبيه لأنه لا يعقل ما هو كذلك إلا الجسم ، قال له المثبت لا يعقل ماله حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام وإرادة إلا ما هو جسم ، فاذا جاز لك أن تثبت هذه الصفات وتقول الموصوف بها ليس بجسم جاز لي مثل ما جاز لك من اثبات تلك الصفات مع أن الموصوف بها ليس بجسم فاذن جاز ان يثبت مسمى هذه الاسماء ليس بجسم .

فان قال له هذه معان وتلك أبعاد قال له الرضا والغضب والحب والبغض معان ، واليد والوجه وان كان بعضاً فالسمع والبصر اعراض لا تقوم إلا بجسم فان جاز لك اثباتها مع أنها ليست أبعاداً ومحالها ليس بجسم جاز لي اثبات هذه مع أنها ليست أبعاداً . فان قال نافي الصفات أما لا أثبت شيئاً منها قال له انت

اهتمت الاسماء فانت تقول هو حي عليم ، ولا يعقل حي عليم قدير إلا جسماً .
 وتقول انه هو ليس بجسم فاذا جاز أن تثبت مسمى هذه الاسماء ليس بجسم
 مع أن هذا ليس معقولاً لك جازي أن أثبت موصوفاً بهذه الصفات وان
 كان هذا غير معقول لي . فان قال الملحد أنا أنفي الاسماء والصفات ، قيل له
 اما أن تقر بأن هذا العالم المشهود مفعول مصنوع له صانع فاعله ، أو تقول
 انه قديم أزلي واجب الوجود بنفسه عن الصانع ، فان قلت بالاول فصانعه
 ان قلت هو جسم وقعت فيما نفيتَه وان قلت ليس بجسم فقد أثبتت فاعلاً صانعاً
 للعالم ليس بجسم وهذا لا يعقل في الشاهد فان أثبتت خالقاً فاعلاً ليس بجسم
 وأنت لا تعرف فاعلاً إلا جسماً كان لمنازعتك أن يقول هو حي عليم ليس
 بجسم وان كان لا يعرف حياً عالمياً إلا جسماً ، بل لزمك أن تثبت له من
 الاسماء والصفات ما يناسبه . وان قال الملحد بل هذا المشهود قديم واجب
 بنفسه غنى عن الصانع فقد أثبت واجبا بنفسه قديماً أزلياً هو جسم حامل
 الاعراض ، متحيز في الجهات ، تقوم به الاكوان وتحله الحوادث والحركات ،
 وله أبعاد وأجزاء فكان مافر منه من اثبات جسم قديم قد لزمه مثله
 وما هو ابعد منه ولم يستفد بذلك الانكار إلا جحد الخالق وتكذيب رسله
 ومخالفة صريح المعقولين ، والضلال المبين ، الذي هو منتهى ضلال الضالين .
 وكفر الكافرين . فقد تبين ان قول من نفي الصفات او شيئاً منها لأن اثباتها
 تجسيم قول لا يمكن احد ان يستدل به بل ولا يستدل احد على تنزيه الرب
 عن شيء من النقائص بأن ذلك يستلزم التجسيم لأنه لا بد ان يثبت شيئاً
 يلزمه فيما اثبته نظير ما يلزمه غيره فيما نفاه . واذا كان اللازم في الموضعين
 واحداً وما اجاب هو به امكن المنازع ان يجيب مثله لم يمكن ان يثبت شيئاً ،
 وينفي شيئاً على هذا التقدير واذا انتهى الى التعطيل المحض كان ما يلزمه من تجسيم
 الواجب بنفسه القديم اعظم من كل تجسيم نفاه ، فعلم ان مثل الاستدلال على
 النفي لما يستلزم التجسيم لا يضمن ولا يغني من جوع . انتهى من كلام شيخ
 الاسلام رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) نعم إن الجسم يرى بالآبصار كما قال ، ولكن اثبات الجسم له تعالى بهذا المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما يتنافى ألوهيته .
(فيقال) قد تقدم أنا لا تثبت الجسمية بهذا المعنى لأن اثبات الصفات لا تستلزم الجسمية لأن الموصوف بها ليس بجسم ، وقد تقدم بيان ذلك وأن اثباتها ليس بنقص يجب تنزيه الله عنه بالعقل والنقل مع أنا لا نسلم أن الجسم بهذه الأوضاع الاصطلاحية الحادثة بجمع على صحته عند العقلاء ، بل قد تنازعوا في ذلك مع مخالفته لصريح اللغة فإن الجسم معناه في لغة العرب هو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهوى جسم لغة ، ولا للنار ، ولا للباء . فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا .

(وأما قوله) أما عقلاً فلأن الرؤية كما تحقق في علم البصر إنما تتم بوقوع أشعة النور على سطح المرئي وانعكاسها عنه إلى البصر فيلزم منه كون المرئي ذا سطح وذلك يستدعي تركيبه من أجزاء إلى آخره .

فالجواب أن يقال هذا العقل فاسد بالعقل والنقل ، أما فساد بالعقل فلأنه ليس في المعقول أن كل مرئي لا يكون إلا مركباً من المادة والصورة أو من الجواهر الفردة لأن أكثر العقلاء ينكرون هذا ولا يثبتونه في الممكنات ، فكيف بفاطر الأرض والسموات ؟ وإذا كان في اعتقاد هذا النافي أن الجسم يستلزم بمائلة سائر الاجسام ويستلزم أن يكون مركباً من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة ، وأكثر العقلاء يخالفونه ، فالتلازم متف باتفاق الفريقين وهو المطلوب ، فإذا اتفقوا على انتفاء النقص المنق عن الله شرعاً وعقلاً بقي بحتم في الجسم الاصطلاحى هل هو مستلزم لهذا المحذور ، وهو بحث عقلى كبحث الناس في الاعراض هل تبقى أو لا تبقى وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين ، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لانفيا ولا اثباتا فليس لأحد أن يبتدع اسماً بجملاً يحتمل معانى مختلفة لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين وقد تقدم بيان هذا .

(ويقال أيضاً) كل ما يستدعي تركيبه من أجزاء متفرقة — كما يقوله

الفلاسفة والمتكلمون - أو من الجواهر الفردة - كما يقوله كثير من أهل الكلام - ممنوع لأن جمهور العقلاء عندهم أن الأجسام المحدثّة ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا ، فلو كان فوق العرش جسم مخلوق ومحدث لم يلزم أن يكون مركباً بهذا الاعتبار فكيف ذلك في حق خالق الفرد المركب ، الذي يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويؤلف بين الأشياء فيركبها كما يشاء ؟ والعقل انما دل على اثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ، ولا شبيه له ، (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له ، ولا صفة له ، ولا وجه له ، ولا يدين ولا هو فوق خلقه ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هي كذب على الوحي . قاله ابن القيم رحمه الله فهذا ما نفاه العقل .

وأما النقل ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا الرسول الله ﷺ يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارئون في رؤية القمر ليلة البدر ، قالوا : لا يارسول الله ، قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا : لا ، قال : فانكم ترونه كذلك ، الحديث بطوله ، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للرئي بالمرئي وفي لفظ في الصحيح « إنكم ترون ربكم عياناً ، فاخبر انا نراه عياناً بأبصارنا . (وأما قوله) وأما نقلاً فلقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) .

فالجواب أن يقال : لست ممن يعرف أدلة النقل الماثورة عن السلف الصالح ولا تعرف ما ذكره المفسرون على هذه الآية كما أنك لا تعرف من الأدلة العقلية إلا ما يذكره الفلاسفة والمتكلمون الخارجون عن سبيل المؤمنين ، وأما ما يذكره أهل السنة والجماعة من المعقولات والمنقولات فلست منه في شيء . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بعد ذكره أقوال الفرق المخالفة ، قال : وأما الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالامامة في الدين كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد واحمد واسحاق وأبي حنيفة وأبي يوسف

وأمثال هؤلاء وسائر أهل السنة والحديث ، والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة ، كالكلابية ، والكرامية ، والاشعرية ، والسلمية وغيرهم ، فهؤلاء كلهم متفقون على اثبات الرؤية لله تعالى والاحاديث متواترة عن النبي ﷺ عند أهل العلم بحديثه ، وأما احتجاج النفاة بقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالآية حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والاول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال أنه أدركه كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذلك فقال : ألسنت ترى السماء قال بلى ، قال : أكلها ترى ، قال لا ، ومن رأى جواب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال انه أدركها ، وإنما يقال أدركها اذا أحاط بها رؤية . ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك ، وإنما ذكرنا هذا بياناً لسند المنع ، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية وأن كل من رأى شيئاً يقال في لغتهم انه أدركه ، وهذا لا سبيل اليه ، كيف وبين لنظ الرؤية ولنظ الإدراك عموم وخصوص ، فقد تقع رؤية بلا ادراك ، وقد يقع ادراك بلا رؤية ، أو اشتراك لفظي ، وأن الإدراك يستعمل في ادراك العلم ، وادراك القدرة ، فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد كالأعمى الذى يطلب رجلاً هارباً فأدركه ولم يره ، وقد قال تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى أنا لمدركين . قال كلا ان معى ربى سيهدين) فنفى موسى الإدراك مع اثبات الترائى . فعلم أنه قد يكون رؤية بلا ادراك ، والإدراك هنا هو ادراك القدرة أى ملحقون بمحاطبنا ، وإنا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفى احاطة البصر أيضاً .

ومما يبين ذلك أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه سبحانه وتعالى ومعلوم أن كرم الشيء لا يرى ليس صفة مدح لأن النفى المحض لا يكون مدحاً ان لم يتضمن أمراً ثبوتياً لأن المعدوم أيضاً لا يرى ، والمعدوم لا يمدح ، فلم أن مجرد نفى الرؤية لا مدح فيه وإن كان المنفى هو الإدراك فهو سبحانه لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علماً ، ولا يلزم من نفى احاطة العلم والرؤية نفى الرؤية ،

بل يكون ذلك دليلاً على أنه يرى ولا يحاط به ، فان تخصيص الإحاطة يقتضى أن مطلق الرؤية ليس بمنفى ، وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم ، وقد روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره فلا تحتاج الآية الى تخصيص ولا خروج عن ظاهر المعنى فلا نحتاج أن نقول لا نراه فى الدنيا ، أو نقول لا تدركه الأبصار ، بل المبصرون ، أو لا يدركه كلها بل بعضها . ونحو ذلك من الأقوال التى فيها تكلف .

(وأما قوله) ولا تعارض هذه الآية بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) لأن كيفية رؤيته تعالى يوم القيامة مجهولة كما هو معتقد أهل الحق .

فالجواب أن يقال : هذه الآية لا تعارض الآية المتقدمة فان كلام الله لا يتعارض ، بل يصدق بعضه بعضاً ، قال البغوى رحمه الله فى تفسيره على هذه الآية . قال ابن عباس وأكثر الناس تنظر الى ربها عياناً بلا حجاب ، وقال الحسن تنظر الى الخالق وحق لها أن تنظر وهى تنظر الى الخالق . أخبرنا أبو بكر بن أبى الهيثم الترابى أنا عبد الله بن أحمد الحموى أخبرنا إبراهيم بن خريم الشاشى أخبرنا عبد الله بن حميد حدثنا شعبة عن إسرائيل عن ثور قال سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسرره ، مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) وهذا الحديث يطل تأويل من تأول من الجهمية والمعتزلة وأشباههم ، ويطل أيضاً قول هذا الملحد فى قوله ويدل على ذلك قوله وجوه ولم يقل عيون .

(وأما قوله) كما هو معتقد أهل الحق فيمكن أن تكون الرؤية يومئذ بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للبصرة ، ولا محاذاة لها ، ويدل على ذلك قوله وجوه ، ولم يقل عيون ، وفى قوله (ناظرة) ما يفصح عن حصول السرور التام لها بذلك الانكشاف .

فالجواب أن نقول : إن أهل الحق عند هذا الملحد غلاة الجهمية كالمريسي
 وأشباهه وكالمعتزلة والرافضة وهم عند أهل السنة والجماعة من أكفر أهل
 الأرض ، بل هم أهل الباطل المحض ، وهؤلاء الملاحدة يؤولون الآيات
 والأحاديث الواردة في ذلك كقولهم هي زيادة علم وانكشاف بحيث نعلم
 ضرورة ما كان يعلم نظراً وهذا الملحد نحاً نحو هؤلاء الملاحدة بهذه التأويلات
 الباطلة الخارجة عن أقوال سلف الأمة وأئمتها . وإذا تبين ذلك فاضافة النظر
 الى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة الى الصريحة في نظر العين
 واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقة موضوعه في أن الله أراد
 بذلك نظر العين التي في الوجه الى الرب جل جلاله فان النظر له عدة استعمالات
 بحسب صلاته وتعديته بنفسه فان عدى بنفسه فعناه التوقف والانتظار كقوله
 (أنظرونا نقتبس من نوركم) وان عدى بقى فعناه التفكير والاعتبار كقوله
 (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وان عدى بالى فعناه المعاينة
 بالابصار كقوله تعالى (أنظروا الى ثمره اذا أثمر) فكيف اذا أضيف الى الوجه
 الذى هو محل البصر ؟ ويؤيد ذلك الحديث الذى فى الصحيح قوله (انكم ترون
 ربكم عياناً) فأخبر أن انراه عياناً بأبصارنا ، وقد أخبرنا الله أنه قد استوى على العرش
 فهذه النصوص يصدق بعضها بعضاً والعقل أيضاً يوافقها ويدل على أنه سبحانه
 مبين لمخلوقاته فوق سمواته . وان جود موجود لا مبين للعالم ولا مجانس له محال
 فى بديهة العقل فاذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعانى فهذا حق واذا سميتم أئتم هذا
 قولاً بالجهة وقولاً بالتجسيم لم يكن هذا القول نافياً لما علم بالشرع والعقل إذ كان
 معنى هذا القول والحال هذه ليس متفياً لا بشرع ولا عقل فان تسميتكم ماسميتموه
 جهة وتجبسها أسماء سميتموها أئتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وما أحسن
 ما قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلبة الماجشون أحد أئمة المدينة الثلاثة
 الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبى ذئب فقال رحمه الله فى كلام له
 سنذكره إن شاء الله تعالى فلم يزل يملئ له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل
 (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجدوا

أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونظرتهم إياه في مقعد صدق عند ملك مقتدر قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينظرون الى ان قال وقد عرف انه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا قبل ذلك مؤمنين به وكان له جاحداً ، انتهى .

فصل

قال العراقي ثم قال - أي صاحب الدين الخالص - وإن أردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق بالله تعالى اليه بأصبعه رافعاً لها الى السماء الى آخره - قال العراقي - فأقول ان بداهة العقل حاكمة بأن المشار اليه بالاشارة الحسية لابد أن يكون في جهة ومكان وإن يكون مرئياً وكل ذلك مستحيل على الله تعالى لأنه تعالى لو كان في مكان أو جهة لزم قدم المكان أو الجهة وقد قام البرهان على ان لا قديم سوى الله تعالى .

والجواب أن يقال (أولاً) أن بداهة العقل حاكمة بصدق رسول ﷺ فيما أخبر به وحاكمة بأن من رد على رسول الله ﷺ قوله أو اتهمه فيما فعله وأسر به فهو كافر حلال المال والدم وقام البرهان من الكتاب والسنة على أن الله يرى في الآخرة عياناً كما ترى الشمس والتمر وهذا ليس بمستحيل في العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان الرسل لا يخبرون بمحالات المقول بل بمحارات العقول ، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتقاؤه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته وقام البرهان من الكتاب والسنة على أن الله تعالى تقديس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فن قال غير هذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً .

ويقال ثانياً لهؤلاء الملاحدة ما تعنون بأن هذا اثبات للجهة والجهة فممتنعة ؟ أتعنون بالجهة أمراً وجودياً أو أمراً عدمياً ؟ فإن أردتم أمراً وجودياً وقد علم أنه ماثم موجود الا للخالق والمخلوق والله فوق سمواته بائن من مخلوقاته لم يكن

والحالة هذه في جهة موجودة فقولكم إن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة قول باطل فإن سطح العالم مرئي وليس هو في عالم آخر وإن فسرتم الجهة بأمر عدى كما تقولون أن الجسم في حيز والحيز تقدير مكان وتجعلون ما وراء العالم حيزاً - فيقال لكم الجهة والحيز إذا كان أمراً عدياً فهو لا شيء وما كان في جهة عدية أو حيز عدى فليس هو في شيء ولا فرق بين قول القائل هذا ليس في شيء وبين قوله هو في العدم أو أمر عدى فإذا كان الخالق تعالى مبيناً للمخلوقات عالياً عليها وما ثم موجود إلا الخالق أو المخلوق لم يكن معه غيره من الموجودات فضلاً عن أن يكون هو سبحانه في شيء موجود يحصره أو يحيط به فطريقة السلف والآئمة إنما يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضاً الإنفاظ الشرعية فيحتدون بها ما وجدوا إليها سبيلاً ، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضاً وقالوا أنه قابل بدعة يبدعة ورد باطلاً يباطل . انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وقد تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة أن ما ألزم به هذا الملحد من هذه اللوازم من لفظ المكان والجهة وقوله لو كان في مكان لكان محتاجاً إلى مكانه إلى آخر ما هذى به في كلامه أنها من أقوال الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين وقد تقدم الكلام عليها .

وأما لفظ المكان فقال شيخ الإسلام رحمه الله وأما القائل الذى يقول إن الله تعالى لا ينحصر في مكان أن أراد به أن الله تعالى لا ينحصر في جوف المخلوقات وأنه لا يحتاج إلى شيء منها فقد أصاب وإن أراد أن الله سبحانه وتعالى ليس فوق السموات ولا هو مستو على العرش استواء لا ثقاً بذاته وليس هناك إله يعبد وعهد ﷺ لم يعرج به إلى الله تعالى فهذا جهى فرعونى معطل ومنشأ هذا الضلال أن يظن الظان أن صفات الرب سبحانه كصفات خلقه فيظن أن الله تعالى على عرشه كملك المخلوق على سريرته فهذا تمثيل وضلال ، وذلك أن الملك مفتقر إلى سريرته ولو زال سريرته لسقط واقعه عز وجل غنى عن العرش وعن كل شيء وكل ما سواه محتاج إليه وهو

حامل العرش وحلة العرش وعلوه عليه لا يوجب افتقاره اليه فان الله تعالى قد جعل المخلوقات عالياً وسافلاً وجعل العالی غنيا عن السافل كما جعل الهواء فوق الارض وليس هو مفتقر اليها وجعل السماء فوق الهواء وليست محتاجة اليه فالعلی الاعلی رب السموات والارض وما فيهما اولى أن يكون غنيا عن العرش وسائر المخلوقات وان كان عالياً عليه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

والأصل في هذا الباب ان كل ما ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك وأما الالفاظ المبتدعة في النفي والاثبات مثل قول القائل هو في جهة أو ليس في جهة وهو متحيز أو ليس متحيزاً ونحو ذلك من الالفاظ التي تنازع فيها الناس وليس مع أحد منهم نص لا عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة رضی الله عنهم ولا عن التابعين لهم باحسان ولا أئمة المسلمين هؤلاء لم يقل أحد منهم ان الله تعالى في جهة ولا قال ليس هو في جهة ولا قال هو متحيز ولا قال ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم أو جوهر ولا قال ليس بجسم ولا بجوهر فهذه الالفاظ ليست منصوصة في الكتاب ولا السنة ولا الاجماع الى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) وأيضاً لو جاز ان يشار اليه بالاشارة الحسية لجاز ان يشار اليه من كل نقطة من سطح الارض وحيث ان الارض كرية يلزم ان يكون سبحانه محيطاً بها من جميع الجهات وإلا ما صحت الإشارة اليه ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقراً عليه كما تزعم الوهاية كان عرشه محيطاً بالسموات السبع فيلزمه من نزوله الى السماء الدنيا وصعوده منها كما تقول الوهاية ان يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال الى حال . تعالى الله عما يقول الجاهلون .

فالجواب أن نقول : قد أشار اليه بالاشارة الحسية اعرف الخلق به بأصبعه رافعاً بها الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مستشهداً له وهو سيد ولد آدم عليه الصلاة

والسلام وهو أعلم الناس بربه وأعظم تنزيها له وتقديسا وتعظيما . ولما كان هذا العراق جهما معتزليا واعتقد أن الارض اذا كانت كرية انه يلزم أن يكون الله سبحانه محيطا بها من جميع الجهات وإلا ما صحت الإشارة اليه وكلام العراقي يقتضى أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه واذا كان ذلك من كلامه مفهوما فقد قال شيخ الإسلام في بعض أجوبته : وقد يظن بعض الناس ان ما جاءت به الآثار النبوية من أن العرش سقف الجنة وان الله على عرشه مع مادلت عليه من أن الافلاك مستديرة متناقض أو مقتض أن يكون الله تعالى تحت بعض خلقه كما احتج بعض الجهمية على انكار ان يكون الله تعالى فوق العرش باستدارة الافلاك وان ذلك يستلزم كون الرب تعالى أسفل ، وهذا من غلطهم في تصور الامر ومن علم أن الاجسام المستديرة بان المحيط الذى هو السقف هو أعلا عليين وان المركز الذى هو باطن ذلك وجوفه وهو قعر الارض وهو سجين وأسفل سافلين علم بسبب مقابلة الله تعالى بين أعلا عليين وبين سجين مع أن المقابلة انما تكون في الظاهر بين العلو والسفول أو بين السعة والضيق وذلك أن العلو مستلزم للسعة والضيق مستلزم للسفول وعلم أن السماء فوق الارض مطلقا لا يتصور أن تكون تحتها قط وان كانت مستديرة محيطة وكذلك كلما علا كان ارفع واشمل وعلم أن الجهة قسمان قسم ذاتي وهو العلو والسفول فقط وقسم إضافي وهو ما ينسب الى الحيوان بحسب حركته فإمامه يقال له امام وما خلفه يقال له خلف وما عن يمينه يقال له اليمين وما عن يساره يقال له اليسار وما فوق رأسه يقال له فوق وما تحت قدميه يقال له تحت وذلك امر إضافي أرايت لو ان رجلا علق رجلاه الى السماء ورأسه الى الارض أليست السماء فوقه وان قابلها برجليه وكذلك النملة وغيرها لو مشى تحت السقف مقابلا له برجليه وظهره الى الارض لكان العلو محاذيا لرجليه وان كان فوقه فاسفل سافلين ينتهى الى جوف الارض والكواكب التى فى السماء وان كان بعضها محاذيا لرؤوسنا وبعضها فى النصف الآخر من الفلك فليس شئ منها تحت شئ بل جميعها فوقنا فى السماء . ولما كان الإنسان اذا تصور هذا يبقى الى وهمه السفلى

الإضافي كما احتج به الجهمي الذي أنكر علو الله على عرشه وخيل إلى من لا يدري أن من قال أن الله فوق العرش فقد جعله تحت نصف المخلوقات أو جعله فلما آخر تعالى الله عما يقول الجاهل أنه لازم لأهل الإسلام من الأمور التي لا تليق بالله تعالى ولا هي لازمة .

وقال أيضاً : واعلم أن العرش إن كان هذا الفلك التاسع أو جسماً محيطاً به ، أو كان فوقه من جهة وجه الأرض محيطاً به ، أو قيل فيه غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ، ثم يقول أين الملوك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ، وفي لفظ ويتميل برسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفله شيء . وفي رواية أخرى قال : قرأ على المنبر (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية . قال : « مطوية في كفه يرى بها كما يرى الغلام بالكرة » .

ففي هذه الأحاديث وغيرها المتفق على صحتها ما يعين أن السموات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى عظمته عز وجل أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة ، ثم قال في الجواب فما وصف الله تعالى من نفسه وأسمائه على لسان رسوله ﷺ سميتاه كما سماه ولم تتكلف علم ما سواه فلا نجحد ما وصف ، ولا تتكلف معرفة ما لم يصف . وإذا كان كذلك فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفي ذلك من الإحاطة بها ، ما لا يخفى وإن شاء لم يفعل ، وبكل حال فهو مبين لها ليس بمحيث لها . ومن المعلوم أن الواحد منا والله المثل الأعلى إذا كان عنده خردلة أن شاء قبضها

فأحاطت بها قبضته وإن شاء لم يقبضها ، بل جعلها تحته فهو في الحالين مبين لها
وسواء قدر أن العرش محيط بال مخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها ، أم قيل أنه
فوقها وليس محيطاً بها كوجه الأرض الذي نحن عليها بالنسبة إلى جوفها ،
أو كالقبة بالنسبة إلى ما تحته أو غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق
المخلوقات والخالق سبحانه فوقه ، والعبد في توجهه إليه عز وجل يقصد العلو دون
التحت ، ثم قال رحمه الله : وأما إذا قدر أنه ليس بكرى الشكل ، بل هو فوق
العالم من الجهة التي هي وجه الأرض وأنه فوق الأفلاك الكرية كما أن وجه
الأرض الموضوع للأنام فوق نصف الأرض الكرى أو غير ذلك من التقادير
التي يقدر فيها أن العرش فوق ما سواه ، فعلى كل تقدير لا يتوجه إلى الله تعالى
إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مبيناً لخلق ، وعلى ما ذكرنا لا يلزم شيء من
المحذور والتناقض وهذا يزيل كل شبهة نشأت من اعتقاد فاسد وهو أن يظن
أن العرش إذا كان كريا والله تعالى فوقه كما تقتضيه ذاته سبحانه عن مشابهة
المخلوقين وجب فيما عند الزاعم أن يكون سبحانه كريا ، ثم يعتقد أنه إذا كان
كريا فيصح التوجه إلى ما هو كرى كالأفلاك التاسع من جميع الجهات وهذا
خطأ ، فإن القول بأن العرش كرى لا يجوز أن يظن أنه مشابه للأفلاك في
أشكالها ، وفي أقدارها ، أو في صفاتها ، بل قد تبين أنه سبحانه أعظم وأكبر
من أن تكون المخلوقات عنده أصغر من الحصة مثلا في يد أحدنا ، فإذا كانت
الحصة مثلا في يد الإنسان أو تحته أو نحو ذلك هل يتصور عاقل إذا استشعر
على الإنسان على ذلك واحاطته به بأن يكون الإنسان كالأفلاك فأنه تعالى وله
المثل الأعلى أعظم من أن يظن به ذلك ، وإنما يظنه الذين لم يقدرُوا الله حق
قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه
وتعالى عما يشركون وإن لم يكن كريا فالأمر ظاهر بما تقدم ، انتهى .

فصل

(وأما قول العراقي) ولما كان تعالى مستويا على عرشه ومستقراً عليه كما تزعمه الوهاية كان عرشه محيطاً بالسموات السبع فيلزم من نزوله الى السماء وصعوده منها كما تقوله الوهاية أن يصغر جسمه تعالى عند النزول ويكبر عند الصعود فيكون متغيراً من حال الى حال تعالى الله عما يقول الجاهلون .

(فالجواب) أن يقال : قد كان من المعلوم أن هذا الجهى لا يعرف من صفات الخالق إلا ما يعرف من صفات المخلوقين . وأنه ما عرف الله حق معرفته ، ولا قدره حق قدره ، ولا عظمه حق عظمته ، فلذلك نزّهه عما يليق بجلاله وعظمته ، وألزم من أثبت ما وصف الله به نفسه ، وما وصفه به رسوله باللوازم التي لا تليق إلا بالمخلوق ولا تليق بالخالق . مما قد علم أهل العلم بالله أنها من أوضاع الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين الذين هم ورتهم ، وذلك أن في أصول ضلالهم ظنهم أن هذا تنزيه عن التشبيه وأنهم متى وصفوا بصفة اثبات أو نفي كان فيه تشبيه بذلك ولم يعلموا أن التشبيه المنفي عن الله أبعد مما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين أو أن يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم أو يجب له ما يجب لهم ، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقاً ، فإن هذا هو التمثيل الممتنع منه المنفى بالعقل مع الشرع فيمتنع عليه وصفه بشيء من النقائص ويمتنع بمائلة غيره له في شيء من صفات الكمال فهذان اجماع لما ينزه الرب تعالى عنه فإذا علمت ذلك فالوهاية لا يقولون بشيء من هذه الأقوال ولا يعتقدونها ، ولا يدينون الله بها ، فإن جمهور أهل السنة يقولون أنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل ذلك عن اسحاق ابن راهوية وحماد بن زيد وغيرهما ، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته ، وهم متفقون على أن الله ليس كشيء شيء وأنه لا يعلم كيف ينزل ، ولا تمثل صفته بصفات خلقه فلا يلزم الوهاية شيء من هذه اللوازم الباطلة ، وقولهم واعتقادهم في ذلك قول أهل السنة والجماعة كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله : ليس لنا

أن تتوهم في الله كيف وكيف لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهي ، وكما شاء أن يضحك ، فليس لنا أن نتوهم فيه كيف وكيف ، وإذا قال لك الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه ، قل أنت أنا أو من برب يفعل ما يشاء .

وقال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلبة بن الماجشون وهو أحد الأئمة المدنية الثلاثة الذين هم مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل عما جحدت به الجهمية ، أما بعد فقد فهمت ما سألت فيما تابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمتها الوصف والتدبير وكنت الألسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدرته وردت عظمتها العقول فلم تجد مساعدا فرجعت خاسئة وهي حسيمة وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق بالتقدير وإنما يقال لمن لم يكن مرة ثم كان ، فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لم يمت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه حدا أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لاحق أحق منه ولا شيء أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصفر خلقه لا تكاد تراه صفراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك فأظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه لعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها اذ لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تنزجر به عن شيء من معصيته فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوت الشياطين في الارض حيران فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف به الرب وسى من

نفسه بأن قال لا بد أن كان له كذا من أن يكون له كذا ، فعنى عن البين بالخفى ويجحد ما وصف الرب من نفسه بصمت الرب عما لم نسم منها فلم يزل يعلل له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) . فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحد والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه ، ونظرته اياهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لا يمتوتون فهم بالنظر اليه ينظرون الى أن قال ، وانما جحد رؤية الله يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لأنه قد عرف أنه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا قبل ذلك مؤمنين به وكان له جاحداً وقال المسلمون : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال رسول الله ﷺ : « هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ » قالوا : لا ، قال : « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا : لا ، قال : « فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك » . وقال رسول الله ﷺ : « لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتنزل ، قط قط وينزوى بعضها الى بعض » . وقال لثابت بن قيس : « لقد ضحكك الله مما فعلت بضيفك البارحة » . وقال فيما بلغنا : « ان الله تعالى ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة أجابكم » . فقال له رجل من العرب : ان ربنا ليضحك ؟ قال : « نعم » . قال لن نعدم من رب يضحك خيراً . فى أشباه لهذا مما لانهصيه وقال تعالى (وهو السميع البصير) واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (ولتضع على عيني) وقال تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فوالله ما دلم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظرها منهم عندهم ، ان ذلك الذى ألقى فى روعهم ، وخلق على معرفته قلوبهم ، فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله ﷺ سميانه ، ولم تتكلف منه صفة ما سواه ، لهذا ولهذا لا نجحد ما وصف ، ولا تتكلف معرفة ما لم يصف ، اعلم رحمتك الله أن العصمة فى الدين ان تنتهى فى الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ما حد لك ، فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار

المنكر ، فابسطت عليه المعرفة ، وسكنت اليه الأقدسة ، وذكر أصله في الكتاب والسنة ، وتوارثت عليه الأمة ، فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ، ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً ، وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ، ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك ، فلا تكلفن عليه بعقلك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه ، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كانكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جرده الجاحدون مما وصف من نفسه ، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف ويعرفتهم يُعرف ، ويشكرون المنكروا بانكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ولا يتكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن ، وما ذكر عن النبي ﷺ أنه سماه من صفة ربه ، فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه ، والرسخون في العلم الواقفون حيث انتهى عليهم ، الواصفون لربهم ما وصف من نفسه ، التاركون لما ترك من ذكرها ، لا يشكرون صفة ما سمي منها جحداً ، ولا يتكلفون وصفه مما لم يسم تعمقاً ، لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمي (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وهب الله لنا ولكم حكماً وألحقنا بالصالحين .

قال شيخ الإسلام وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقاً لغيره من الأئمة؟ وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم أن يكون جسماً أو عرضاً فيكون محدثاً ، انتهى . فتحصل لنا ما ذكره أئمة الاسلام ، وقدوة الأنام ، أن هذا الملحد جهى معتزلي وهذا يكفى العاقل من ضلاله وعتوه وخروجه عن الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين .

فصل

قال العراقي وأما ما تمسكت به الوهاية من النقول التي تثبت الإشارة إليه تعالى فهي ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية فتؤول اما اجمالا ويفوض تفصيلها الى الله كما عليه أكثر السلف واما تفصيلا كما هو رأى الأكثرين فما ورد من الإشارة إليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وان السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن أرضنا الحقيرة الأذرة بالنسبة إليها وكذلك العروج إليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب إليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات .

فالجواب أن نقول : قد كان من المعلوم أن طريقة الوهاية التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الأمة وأئمتها فيثبتون ما أثبتته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ولا يعتقدون صواب ما ذهب إليه المتكلمون من تأويل آيات الصفات وأحاديثها حيث قالوا إن نصوص الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية وما أشبه ذلك من التمويهات . وهذا الضرب من الناس هم الذين كثروا في باب الدين اضطرابهم . وغازوا عن معرفة الله حجابهم ، وإذا كان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض العقلية اليقينية فلا قال رسول الله ﷺ يوما من الدهر أو أحد من سلف الأمة إن هذه الآيات والآحاديث ظواهر ظنية فلا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه عقولكم ومقاييسكم أو أولوها بكذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا فيما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه لأن العقل مقدم على النقل اذ هو أصله . ثم كيف يجوز أن يقال في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يعلم زيد وعمر بعقله أنه باطل وأن يكون كل من اشتبه عليه شيء مما أخبر به النبي ﷺ قدم رأيه على نص الرسول ﷺ في أنباء الغيب وما أخبر به عن ربه وما وصف به من صفات كماله ونعوت جلاله ، بمجرد رأيه بدون الاستهداء بهدى الله ، والاستضاءة بنور الله الذي أرسل به رسوله ، وأنزل به كتبه ، مع علم

كل أحد بقصوره ، وتقصيره في هذا الباب ، وبما وقع فيه الاكثرون من الاضطراب ، في الجملة النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول قط ، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب ، وما علم انه حق لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يعلم انه حق ، بل نقول قولاً عاماً كلياً ان النصوص الثابتة عن رسول الله ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقداً عليها وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة ، وألفاظ مجملة ، فتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطية ، لا براهين عقلية .

ثم كيف تكون أدلة كتاب الله وسنة رسوله ظواهر ظنية وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذى وغيره عن عمار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « انها ستكون قن ، قلت فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم . وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، وهو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلبس به الآلسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، وفي رواية : ولا تختلف به الآراء . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشدا) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، وهذا الملاحد يقول ان أدلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تعارض اليقينية ، واليقينيات عنده نحاتة أفكار الفلاسفة ، وفروخ اليونان ، وورثة المجوس ، وزبالة أذهانهم .

فالحمد لله الذى أخذ بنواصى الرواية فلم يسلكوا طريقة هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ، بل سلك بهم طريقة أصحاب رسول الله ﷺ . وسلف الأمة وأئمتها ، قلله الحمد لا نحصى ثناء عليه ، بل هو كما أتى على نفسه ، وفوق ما يثنى عليه أحد من خلقه . قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان :

ومن حيله ومكايده الكلام الباطل ، والآراء المتهاففة ، والخيالات المتناقضة .
التي هي زبالة الازدهان ، ونخاعة الافكار ، والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة
المنحيرة التي تعدل الحق بالباطل ، والحق بالصواب ، قد تقاذفت بها أصواج
الشبهات ، ورانت عليها غيوم الخيالات ، فركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ،
وكثرة الجدال ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ، ولا معتقد مطابق للحق
يرجع اليه ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً فقد اتخذوا لأجله
ذلك القرآن مهجوراً ، وقالوا من عند أنفسهم فقالوا منكرأ من القول وزوراً ،
فهم في شكهم يعمهون ، وفي حيرتهم يترددون ، نبذوا كتاب الله وراء
ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تلتته الشياطين على ألسنة أسلافهم من
أهل الضلال فهم اليه محاكمون ، وبه مخاصمون ، فارقوا الدليل (واتبعوا أهواء
قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) .

ومن كيده بهم وتحيله على اخراجهم من العلم والدين أن ألقى على ألسنتهم
أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، وأوحى اليهم أن القواطع
العقلية ، والبراهين اليقينية ، في المناهج الفلسفية ، والطرق الكلامية ، خال
بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن ، وأحالمهم على منطق
يونان ، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان وقال لهم تلك
علوم قديمة صقلت العقول والاذهان ومرت عليها القرون والازمان فانظر
كيف تلتطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الايمان كما أخرج الشعرة من
العجين ، انتهى .

(وأما قوله) فتقول اما اجمالاً ويفوض تفصيلها الى الله تعالى كما عليه
أكثر السلف .

فالجواب أن نقول : قد أجاب عن هذا الكلام شيخ الاسلام قدس الله
روحه ، فقال : ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن تسطيره في
هذه الفتوى وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتبعه ، ولا يجوز أيضاً أن يكون
الخالفون أعلم من السابقين كما يقوله بعض الاغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ،

بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة
 السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، فان هؤلاء المتدعين الذين يفضلون
 طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف ، إنما أوتوا
 من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث
 من غير فقه لذلك بمنزلة الاميين الذين قال الله فيهم (ومنهم أميون لا يعلمون
 الكتاب إلا أمانى) وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة
 عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أرجب تلك
 المقالات التي مضمونها بنذ الاسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف
 وصلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب
 عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم
 أنه ليس في نفس الامر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي
 شاركوا فيها اخوانهم من الكافرين ، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس
 الامر ، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الايمان
 باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ
 الى معان بنوع التكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف ، فصار هذا الباطل
 مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع فان النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور
 عقلية ظنوها بينات وهي شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواعنه .
 فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين ، وكانت النتيجة
 استجهاال السابقين واستبلاهم ، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين بمنزلة الصالحين
 العامة لم يتجردوا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الالهي ، وان
 الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله - الى أن قال - ثم هؤلاء
 المتكلمون المخالفون للسلف اذا حقق عليهم الامر لم يوجد عندهم من حقيقة
 العلم بالله ومخالص المعرفة له خبر ، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف
 يكون هؤلاء المحجوبون المنصوصون المسبوقون ، الحيارى المتهوكون ، اعلم بالله
 وأسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، والمهاجرين

والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق ، بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟ ثم كيف يكون خير قرون الامة أنقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم ؟ أم كيف يكون أفرار المتفلسفة واتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركون ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين ، وأشكالهم وأشباههم ، اعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن . - وذكر كلاما طويلا الى أن قال :

فان كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة اما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على خير الامة ، أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا ييؤحون به قط ، ولا يدلون عليه لانصا ولا ظاهراً ، حتى يجيء أنباط فارس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو فاضل أن يعتقدوها ؟ لأن كل ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل حوما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الامة ، ولكن انظروا اتم فإ وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب ، والسنة أو لم يكن موجوداً ، وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به .

ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون : ما لم تثبت عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما نفاء قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه ، وإليه عند التنازع فارجعوا ، فإنه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا أني امتحتكم لا لتعلموا بتزييله ، ولا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا في تخرجه على شواذ اللغة ، ووحشى الألفاظ ، وغرائب الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين عليه إلى الله مع نفي دلالة على شيء من الصفات . هذا حقيقة الأمر على رأى هؤلاء المتكلمين : إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

وقال أيضاً في موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح : وهؤلاء الذين يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم بنوا أمرهم على أصل فاسد وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها هي الأقوال المحكمة التي جعلوها أصول دينهم وجعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذي لا يستفاد منه علم ولا هدى . فجعلوا التشابه من كلامهم هو المحكم والمحكم من كلام الله ورسوله هو التشابه كما جعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الأقوال التي نفوا بها صفات الله ، ونفوا بها رؤيته في الآخرة وعلوه على خلقه . وكون القرآن كلامه ونحو ذلك جعلوا تلك الأقوال محكمة ، وجعلوا قول الله ورسوله مؤولاً أو مردوداً ، أو غير ملتفت إليه ولا ملتقى للهدى منه . فتجدهم يقولون : ليس بجسم . ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا له كم ولا كيف ، ولا تحله الأعراض والحوادث ، ونحو ذلك ، وليس بمباين للعالم ، ولا خارج عنه — إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

وسياتى الكلام على مسألة التفويض وبطلان قول من زعم أن هذه طريقة السلف . وبما ذكرناه هنا من كلام أهل العلم يتبين لكل منصف بطلان تأويل هذا الملحد بقوله فما ورد من الإشارة إليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء أو أن السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن أرضنا الحقيرة إلا ذرة بالنسبة إليها ، وكذلك العروج إليه تعالى هو بمعنى العروج

الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات ، وانه بهذا التأويل قد خرج عن سبيل المؤمنين ، واتحل طريقة المتكلمين الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثم من العجب انه يدعى تعظيم رسول الله ﷺ ويرى الوهاية المعظمين له في الحقيقة بالتنقص للنبي ﷺ وهو قد تنقص رسول الله ﷺ وهضمه أعظم الهضم وأشد التنقص بزعمه أنه لم يعرج برسول الله ﷺ الى أن الله بذاته الى وصل فوق السماء السابعة ورآى من آيات ربه الكبرى ما رآى وانه ما زاغ منه البصر وما طنى لجماله عليه الصلاة والسلام ، فله الحمد على ما من به من الايمان وبما أخبر به على لسان رسوله ﷺ على ما يليق بالله وبنعوت جلاله وعظمته .

فصل

قال العراقي : الوهاية ونبذها للعقل لما كان صريح العقل وصحيح النظر مصادما لكل المصادمة لما اعتقدته الوهاية اضطروا الى نبذ العقل جانبا وأخذهم بظواهر النقل فقط وان نتج منه المحال ونجم عنه الغي والضلال فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات ان الله تعالى ثبت على عرشه وعلاه علواً حقيقياً وان له تعالى وجها ويدين وانه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقين وانه يشار اليه في السماء إشارة حسية بالأصبع الى غير ذلك مما يؤل الى التجسيم البحت (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) فالوهاية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان انما هي قد عبدت الوثن حيث انها جعلت معبودها جسماً كالحيوان جالسا على عرشه ينزل ويصعد نزولا وصعوداً حقيقين وله وجه ، ويد ، ورجل ، وأصابع حقيقة مما يتنزه عنه المعبود الحق ، واذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا في الجواب لا مجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الامور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى الثلاث فانك إذا سألتهم قائلاً كيف يكون الثلاثة

واحدًا والواحد ثلاثة قالوا ان معرفة هذا فوق طور العقل ولا يجوز إعمال الفكر في ذلك .

والجواب أن يقال : نعم لما كان صريح العقل من هؤلاء الملاحدة وصريح النظر منهم على ما زعموه مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الروايات من التمسك بصريح الكتاب وصريح السنة وصريحها والسلوك على طريقة سلف الأئمة وأئمتها نبذوا ما جاءت به عقول هؤلاء الملاحدة من نخاعة الأفكار وزبالة الأذهان وريح المقاعد وراء ظهورهم ، ولم يلتفتوا الى ما موهوا به من هذه الشبهات التي زعموا أنها عقليات و يقينيات فاعتقدوا متمسكين بنصوص الكتاب والسنة ان الله تعالى على عرشه وعلا عليه علواً حقيقياً وان الله تعالى له وجه ويدان ، وانه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولا وصعوداً حقيقيين على ما يليق بعظمته وجلاله وعظيم سلطانه كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يصعد وانه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالاصبع كما أشار اليه أعرف الخلق به بأصبعه رافعاً الى السماء بمشهد الجمع الاعظم مستشهداً له لا للقلبة الى غير ذلك مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله لأن ذلك ليس بمستحيل في العقول الصحيحة الموافقة لصريح المنقول عن الرسول ونحن نعلم بضرورة العقل ان الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل اتقاده بل يخبرون بمعجز العقل عن معرفته .

(وأما قوله) مما يؤل الى التجسيم البحت .

(فنقول) ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وأما من أثبت لله ما أثبتته لنفسه فذلك لا يؤل الى التجسيم فان القرآن قد دل على أنه ليس بجسم لانه أحد ، والاحد الذي لا ينقسم ، وهو واحد والواحد لا ينقسم ، وهو صمد والصمد الذي لا جوف له فلا يتخلله غيره ، وانما يؤل الى التجسيم ، من قال ان له وجها كوجهي ويدين كيدي مما يماثل صفات المخلوقين أو يشبهها بصفاتهم . بل نحن على مذهب السلف أهل السنة المحضة ، ونقول ان الله تعالى فوق عرشه حقيقة مع نفي اللوازم التي يلزم بها أعداء الله ورسوله أهل الحق وهي لا تلزم لا بعقل ولا بنقل . وقد تقدم الكلام على ذلك .

(وأما قوله) فأما الوهاية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان إنما هي عبدة الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسماً كالحيوان جالساً على عرشه ينزل ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقيين وله وجه ويد ورجل وأصابع حقيقة مما ينزله عنه المعبود الحق .

(فنقول) ما جعلت الوهاية زائري القبور مطلقاً عباد الأوثان ومعاذ الله من ذلك وإنما جعلت الوهاية من أشرك بالله في عبادته غيره عابداً للوثن سواء زار القبور أو قعد في بيت أمه . وذلك بأن يدعو مع الله أو يرجوه أو يخافه أو يحبه كمحبة الله أو يستغيث به أو يلتجئ إليه في رفع كربة أو كشف ملبة أو يطلب منه جلب منفعة أو يذبح له أو ينذر له إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي هي مختصة بالله ، فمن أشرك بالله فيها أحداً من خلقه نبياً أو ملكاً أو ولياً أو صالحاً أو شجراً أو حجراً فهو مشرك بالله في عبادته غيره .

(وقوله) إنما هي قد عبت الوثن حيث أنها جعلت معبودها جسماً إلى آخره .

(فأقول) قد تقدم نفي الجسمية عن الله تعالى والوهاية ما عبت إلا إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ولا تعقل إلهاً أحداً صمداً ليس على السماء فوق العرش بائناً من خلقه لا وجه له ولا يدين ولا ينزل إلى سماء الدنيا ولا يصعد ولا يشار إليه في السماء ، وإنما تعقل إلهاً موجوداً واحداً فوق سماواته بجميع أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وأنتم إنما معبودكم العدم المحض ولا تثبتون إلا إلهاً مقدرأ في الأذهان لا حقيقة له في الخارج فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(وأما كونه) جالساً على عرشه فقد جاء الخبر بذلك ، قال الامام عبد الله ابن الامام أحمد في كتاب السنة في الرد على الجهمية : قال حدثني أبي وعبد الأعلى ابن حماد النرسي . قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله عنه قال : إذا جلس ربنا تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرجل الجديد ، وقد تقدم بيان ذلك فصدق

بما قاله الله ورسوله ، وبما قاله الصحابة والتابعون لهم باحسان وما كان عليه سلف الامة وأئمتها وإذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، وأهل السنة والجماعة من أهل الحديث وغيرهم من الأئمة المقتدين والسادة المعظمين قد وصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فهم عند هذا الملحد الضال قد عبدوا وتناً بهذه اللوازم التي ابتدعها قدماء الفلاسفة وورثتهم من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين فلعنة الله على الظالمين .

(ثم قال الملحد) وإذا رد عليهم بالبراهين العقلية وأثبت لهم أن ذلك مناف للألوهية عند العقل قالوا في الجواب ، لا مجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الأمور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث الى آخره .

(والجواب أن يقال) ان هذه البراهين التي تزعمون أنها عقلية إنما هي شبه خيالية مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة ، فتى وقع الاستسفار والبيان ظهر أنها شبه سوفسطائية لابرايين يقينية عقلية ، ودعواه أن من نفاها قد شابه في ذلك النصارى . والنصارى عليهم لعنة الله ، إنما نزعوا الى ما نزعوا اليه من أمر التثليث إنما هو بمجرد عقولهم وتناجج قياساتهم وتركهم ما أنزله الله في كتبه على السنة رسله وبغلوهم في أنبيائهم كما غلوتهم أنتم في الانبياء والاولياء والصالحين فأنتم الذين أشبهتم النصارى في دعوى التثليث فانهم إنما أثبتوا ذلك بمجرد معقولاتهم وتناجج قياساتهم وقدموا حكم العقل على النقل الذي أنزله الله في كتبه وعلى السنة رسله وأنتم نفيتم ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من اثبات صفات كماله ونعوت جلاله بمجرد معقولاتكم وتناجج قياساتكم ونبذتم كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهوركم ، وزعتم أن نصوص الكتاب والسنة ظواهر لا تفيد اليقين وإنما يفيد اليقين تناجج عقول الملاحدة التي هي نخاعة الافكار وزبالة الأذهان وريح المقاعد ، فمن أشباه النصارى حينئذ إن كنتم تعلمون ؟

فصل

(ثم قال العراقي) لا ريب أنه اذا تعارض العقل والنقل أو النقل بالعقل اذ لا يمكن حينئذ الحكم بثبوت مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين ولا بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتفاع النقيضين لكن بقي أن يقدم النقل على العقل أو العقل على النقل والاول باطل لأنه ابطال للأصل بالفرع ، وايضا أنه النقل لا يمكن اثباته الا بالعقل وذلك لأن اثبات الصانع ومعرفة النبوة وسائر ما يتوقف صحة النقل عليه لا يتم الا بطريق العقل فهو أصل للنقل الذي تتوقف صحته عليه ، فاذا قدم على العقل وحكم بثبوت مقتضاه وحده فقد أبطل الأصل بالفرع ويلزم منه ابطال الفرع أيضاً اذ تكون حينئذ صحة النقل متفرعة على حكم العقل الذي يجوز فساده وبطلانه فلا يقطع بصحة النقل فلزم من تصحيح النقل بتقديمه على العقل عدم صحته واذا كان تصحيح الشيء منجزا الى افساده كان مناقضاً لنفسه فكان باطلا ، فاذا لم يمكن تقديم النقل على العقل بالدليل السابق فقد يعين تقديم العقل على النقل وهو المطلوب .

(والجواب أن نقول) اذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم النقل لأن العقل مصدق للنقل في كل ما أخبر به والنقل لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل فالواجب رد ما أثبتته الى نصوص الكتاب والسنة ولا يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة أو بقول من يقول العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل والعقل أصل النقل فاذا عارضه قدمنا العقل ، وهذا لا يكون قط ، لكن اذا جاء ما يؤم مثل ذلك ، فإن كان النقل صحيحا فذلك الذي يدعى أنه معقول انما هو مجهول ، ولو حقق النظر لظهر ذلك ، وان كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً وتعارض كلام من يقول ذلك بنظره .

فيقال اذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ورفعهما رفع للنقيضين وتقديم العقل ممتنع لأن العقل قد دل

على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل لكننا قد أبطلنا دلالة العقل ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه وهذا بين واضح ، فإن العقل هو الذى دل على صدق السمع وصحته وإن خبره مطابق لمخبره فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يلزم أن يتبع بحال فضلاً عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحاً فى العقل فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسفيه معقولا أو نحمله بشبهة أو شك أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل وهو أن العقل مع النقل كالعامى المقلد مع العالم المجتهد بل هو دون ذلك بكثير ، فإن العامى يمكنه أن يصير عالماً ولا يمكن العالم أن يصير نيباً رسولاً فإذا عرف العامى المقلد عالماً فدل عليه عاماً آخر ثم اختلف المفتى والدادل فإن المستفتى يجب عليه قبول قول المفتى دون الدال فلو قال الدال الصواب معى دون المفتى لأنى أنا الأصل فى عليك بأنه مفت فاذا قدمت قوله على قولى قدحت فى الأصل الذى به عرفت أنه مفت فلزم القدح فى فرعه فيقول له المستفتى أنت لما شهدت له بأنه مفت ودلت عليه شهدت له بوجوب تقليده دونك فوافقنى لك فى هذا العلم المعين لا يستلزم موافقتك فى كل مسألة وخطأك فيما خالفت فيه المفتى الذى هو أعلم منك لا يستلزم خطأك فى عليك لأنه مفت هذا مع علمه أن ذلك المفتى قد يخطأ والعقل يعلم أن الرسول معصوم فى خبره عن الله تعالى لا يجوز عليه الخطأ فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره وقد علمنا بالاضطرار من دين الاسلام أن الرجل لو قال للرسول هذا القرآن الذى تلقينه علينا والحكمة التى جئنا بها قد تضمنت كل منهما أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا فلو قبلنا جميع ما تقوله مع أن عقولنا تناقض ذلك لكان ذلك قدحاً فيما علمنا به صدقك فنحن نعتقد موجب الأقوال المناقضة لما ظهر من

كلامك وكلامك نعرض عنه لا نتلقى منه هديا ولا علما لم يكن مثل هذا الرجل
 مؤمنا بما جاء به الرسول ولم يرض منه الرسول بهذا بل يعلم أن هذا لو ساغ
 لا يمكن كل أحد أن لا يؤمن بشيء مما جاء به الرسول إذ العقول متفاوتة
 والشبهات كثيرة والشياطين لا تزال تلقى الوسواس في النفوس فيمكن كل أحد
 أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به وقد قال تعالى :
 (ما على الرسول إلا البلاغ) . وقال : (فهل على الرسول إلا البلاغ المبين)
 وقال تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فضل الله من يشاء
 ويهدي من يشاء قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين - حم - والكتاب المبين - تلك
 آيات الكتاب المبين - ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
 كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون - ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
 وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ونظائر ذلك كثيرة في القرآن فأمر الايمان
 بالله واليوم الآخر اما أن يكون الرسول تكلم فيه بما يدل على الحق أم لا .
 (الثاني) باطل وان كان قد تكلم على الحق بالفاظ مجملة محتملة فبلغ البلاغ المبين
 وقد شهد له خير القرون بالبلاغ وأشهد الله عليهم بالموقف الأعظم فن يدع
 أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين فقد افترى عليه ﷺ وفي المعلوم
 بالاضطرار ان عقل رسول الله ﷺ اكمل عقول أهل الارض على الاطلاق
 فلو وزن عقله بعقولهم لرجحها وقد أخبر الله أنه قبل الوحي لم يكن يدرك الايمان
 كما لم يكن يدرك الكتاب فقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا
 ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
 من عبادنا) . وقال تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك
 عائلا فأغنى) وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر سورة الشورى فاذا
 كان أعقل الخلق على الاطلاق انما حصل له الهدى بالوحي كما قال تعالى : (قل
 ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الىّ ربّي انه سميع قريب)
 فكيف يحصل لسفهاء العقول واخفاء الاحلام الاهتداء الى حقائق الايمان
 بمجرد عقولهم دون نصوص الوحي حتى اهتدوا بتلك الهداية الى المعارضة بين

العقل ونصوص الانبياء ، (لقد جتم شيئا إذا تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وقد مثل شيخ الاسلام عن مثل ما أورده هذا الملحد فقال قول السائل اذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر العقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات فاما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين واما ان يردا جميعا واما ان يقدم السمع وهو محال لأن العقل اصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو اصل النقل والقدح في أصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل ثم النقل اما ان يتأول واما ان يفوض واما اذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يتمتع ارتفاعهما قال رحمه الله تعالى وهذا الكلام قد جعله الرازي وإتباعه قانونا كلياً فيما يستدل به من كتب الله وكلام انبيائه وما لا يستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم في صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها وقد يضم بعضهم الى ذلك ان الأدلة السمعية لا تفيد اليقين الى ان قال ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لانفسهم قانونا فيما جاءت به الانبياء عن الله فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا ان عقولهم عرفته ويجعلون ما جاءت به الانبياء تبعا لما وافق قانونهم قبلوه وما مخالفه لم يتبعوه وهذا يشبه ما وضعه النصارى من أماتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم وردوا التوراة والإنجيل اليها لكن تلك الامانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الانبياء أو ما بلغهم عنهم وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين فمن يحتج بالسمعية فان غلطه اما في الاسناد واما في المتن وأما هؤلاء فقد وضعوا قوانينهم على ما رواه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل فالتصارى أقرب الى تعظيم الانبياء والرسول من هؤلاء لكن التصارى يشبههم من ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول كالخوارج والوعيدية والمرجئة والامامية وغيرهم بخلاف

بدعة الجهمية والفلاسفة فانها مبنية على ما يقرون هم بأنه مخالف للمعروف من كلام الانبياء ثم ذكر طريقة أهل التبديل وطريقة أهل التجويل وطريقة أهل التحريف والتأويل وقد تقدم منه طرفا الى أن قال وجماع الأمر ان الأدلة نوعان شرعية وعقلية فالمدعون لمعرفة الآليات بعقولهم من المنتسبين الى الحكمة والكلام والعقليات يقول من يخالف نصوص الانبياء منهم ان الانبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفناه أو يقولون عرفوه ولم يبينوه للخلق كما بيناه بل تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم والمدعون للسنة والشرعية واتباع السلف الجاهل بمعاني النصوص يقولون أن الانبياء والسلف الذين اتبعوا الانبياء لم يعرفوا معاني هذه النصوص التي قالوها والتي بلغوها عن الله أو الانبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس فهؤلاء الطوائف قد يقولون نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الانبياء على ما يوافق مدلول العقل وفائدة ازالة هذه المتشابهات المشكلات اجتهد الناس في أن يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدون في تأويل كلام الانبياء الذين لم يبينوا به مرادهم أو انا عرفنا الحق بعقولنا وهذه النصوص لم تعرف الانبياء معناها كما لم يعرفوا وقت الساعة ولكن أمرنا بتلاوتها من غير تدبر لها ولا فهم لمعانيها أو يقولون هذه الامور لا تعرف بعقل ولا نقل بل نحن منهيون عن معرفة العقليات وعن فهم السمعيات وان والانبياء واتباعهم لا يعرفون العقليات ولا يفهمون السمعيات ثم ذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع ثم قال :

والمقصود هنا الكلام على قول القائل اذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية الى آخره كما تقدم والكلام على هذه الجملة بنى على ما في مقدمتها من التلبس فانها مبنية على مقدمات أولها ثبوت تعارضهما والثانية انحصار التقسيم فيما ذكره من الاقسام الاربعة والثالثة بطلان الاقسام الثلاثة والمقدمات الثلاث باطلة وبيان ذلك بتقديم أصل وهو ان يقال اذا قيل تعارض دليلان سواء كانا سمعيين أو عقليين أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً فالواجب أن يقال لا يخلو إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظنيين وإما ان يكون أحدهما قطعياً

والآخر ظنياً فاما القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين أو سمعيتين أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً وهذا متفق عليه بين العقلاء لان الدليل القطعي هو الذى يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالة باطلة وحينئذ فلو تعارض دليلان قطعيان وأحدهما يناقض مدلول الآخر لزم الجمع بين النقيضين وهو محال بل كل ما يعتقد تعارضه من الدلائل التى يعتقد أنها قطعية فلا بد من أن يكون الدليلان أو أحدهما غير قطعى أو أن لا يكون مدلولها متناقضين فاما مع تناقض المدلولين المعلومين فيمتنع تعارض الدليلين وان كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فانه يجب تقديمه باتفاق العقلاء سواء كان هو السمعى أو العقلى فان الظن لا يدفع اليقين .

وإما إن كانا جميعاً ظنيين فانه يصار الى طلب ترجيح أحدهما فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعياً أو عقلياً . ولا جواب عن هذا إلا أن يقال الدليل السمعى لا يكون قطعياً وحينئذ يقال هذا مع كونه باطلاً فانه لا ينفع فانه على هذا التقدير يجب تقديم القطعى لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً ولا لكونه أصلاً للسمع وهؤلاء جعلوا عمدتهم فى التقديم كون العقل هو الأصل للسمع وهذا باطل كما سيأتى بيانه إن شاء الله . وإذا قدر انه لم يتعارض قطعى وظنى لم ينافى عاقل فى تقديم القطعى لكن كون السمعى لا يكون قطعياً دونه خسر القتاد .

وأيضاً فان الناس متفقون على أن كثير مما جاء به الرسول معلوم بالاضطرار من دينه كإيجاب العبادات وتحريم الفواحش والظلم وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير ذلك وحينئذ فلو قال قائل اذا قام الدليل القطعى على مناقضة هذا فلا بد من تقديم أحدهما فلو قدم هذا السمعى قدح فى أصله وإن قدم العقلى لزم تكذيب الرسول فيما علم بالاضطرار انه جاء به ، وهذا هو الكفر الصريح فلا بد لهم من جواب عن هذا والجواب عنه انه يمتنع أن يقوم عقلى قطعى يناقض هذا فتبين ان كل ما قام عليه دليل قطعى سمعى يمتنع أن يعارضه قطعى عقلى ومثل هذا اللفظ يقع فيه كثير من الناس يقدرون تقدير آ يلزم منه لوازم فيثبتون تلك اللوازم

ولا يهتدون لكون ذلك التقدير ممتنعاً والتقديم الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة كما في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ثم ذكر كلاماً الى أن قال وبه يتبين أن اثبات التعارض بين الدليل العقلي والسمعي والجزم بتقديم العقلي معلوم الفساد بالضرورة وهو خلاف ما اتفق عليه العقلاء .

وحينئذ فنقول الجواب من وجوه (أحدها) أن قوله اذا تعارض النقل والعقل اما أن يريد به القطعيين فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ واما أن يريد به الظنيين فالمقدم هو الراجح مطلقاً واما أن يريد به ما احدهما قطعي ، فالقطعي هو المقدم مطلقاً واذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً فلم أن تقديم العقلي مطلقاً خطأ كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ .

(الوجه الثاني) أن يقال لا نسلم انحصار القسمة فيما ذكرته من الأقسام الاربعة إذ من الممكن أن يقال يقدم العقلي تارة والسمعي أخرى فأما كان قطعياً قدم وإن كانا جميعاً قطعيين فيمتنع التعارض وإن كانا ظنيين فالراجح هو المقدم فدعوى المدعى أنه لا بد من تقديم العقلي مطلقاً والسمعي مطلقاً أو الجمع بين التقيضين أو رفع التقيضين دعوى باطلة . بل هنا قسم ليس من هذه الأقسام كما ذكرناه بل هو الحق الذي لا ريب فيه .

(الوجه الثالث) قوله ان قدمنا النقل كان ذلك طعننا في أصله الذي هو العقل فيكون طعنه فيه غير مسلم وذلك لأن قوله ان العقل أصل للنقل اما أن يراد به أنه أصل في ثبوته في نفس الامر أو أصل في علمنا بصحته والاول لا يقوله عاقل فأنما هو ثابت في نفس الامر بالسمع أو بغيره هو ثابت سواء علمنا بالعقل أو بغير العقل ثبوته أو لم نعلم ثبوته لا بعقل ولا بغيره إذ عدم العلم ليس علماً بالعدم وعدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في أنفسها فما أخبر به الصادق المصدوق عليه السلام هو ثابت في نفس الامر سواء علمنا صدقه أو لم نعلم ومن أرسله الله تعالى الى الناس فهو رسوله سواء علم الناس أنه رسول أو لم يعلموا وما أخبر به فهو حق وإن لم يصدق الناس وما أمر به عن الله

فأله أمر به وأن لم يطعه الناس فثبت الرسالة في نفسها وثبت صدق الرسول وثبت ما أخبر به في نفس الأمر فليس موقوفاً على عقولنا أو على الأدلة التي نعلها بعقولنا وهذا كما أن وجود الرب تعالى وما يستحقه من الاسماء والصفات ثابت في نفس الأمر سواء علمناه أو لم نعلمه فبين بذلك أن العقل ليس أصلاً لثبوت الشرع في نفسه ولا معطياً له صفة لم تكن له ولا مفيداً له صفة كمال إذ العلم مطابق للعلوم المستغنى عن العلم تابع له ليس مؤثراً فيه فإن العلم نوعان (أحدهما) العملي وهو ما كان شرطاً في حصول المعلوم كتصور أحدنا لما يريد أن يفعله فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج إليه (والثاني) الخبري النظري وهو ما كان المعلوم غير مفتقر في وجوده إلى العلم به كعلمنا بوحداية الله تعالى وأسمائه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه وغير ذلك فإن هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها فهي مستغنية عن علمنا بها والشرع مع العقل هو من هذا الباب فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه وهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به وبما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دنياه وآخرته وانتفع بعلمه به وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك ولو لم يعلمه لكان جاهلاً ناقصاً ثم ذكر كلاماً طويلاً .

ثم قال رحمه الله (فإن قيل) فبأن تقديم الشرع عليها لا يكون قدحاً في أصله لكن يكون تقديماً له على أدلة عقلية فلا بد من بيان الموجب لتقديم الشرع قبل (الجواب) من وجوه (أحدها) أن المقصود هنا بيان أن تقديم الشرع على ما عارضه من مثل هذه العقليات المحدثه في الإسلام ليس تقديماً له على أصله الذي يتوقف العلم لصحة الشرع عليه وقد حصل فانا ذكرنا في هذا المقام بيان بطلان من يزعم أنه يقدم العقل على الشرع المعارض له وذكرنا أن الواجب تقديم ما قام به الدليل على صحته مطلقاً (الجواب الثاني) أن نقول الشرع قول المعصوم الذي قام الدليل على صحته وهذه الطرق لم يبق دليل على صحتها

فلا يعارض ما علمت صحته بما لم تعلم صحته . (الجواب الثالث) : أن نقول بل هذه الطرق المعارضة للشرع كلها باطلة في العقل وصحة الشرع مبنية على ابطالها لا على صحتها فهي باطلة بالعقل وبالشرع والقائل بها مخالف للعقل والشرع من جنس أهل النار الذين قالوا : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وهكذا شأن جميع بدع المخالفين لنصوص الانبياء فانها مخالفة للسمع والعقل فكيف يبدع الجهمية المعطلة التي هي في الاصل من كلام المكذبين للرسل والكلام على ابطال هذه الوجوه على التفصيل وأن الشرع لا يتم إلا باطلها مبسوط في غير هذا الموضع ، انتهى .

والمقصود أن ما ذكره هذا العراقى الملحد في أوراقه هو كلام الرازي وكتاب موافقة العقل الصحيح للنقل الصريح من أوله الى آخره في بطلان هذه المقدمات التي ذكرها وبيان مخالفتها للشرع فالمصير اليها والاعتماد عليها اعتماد ومصير الى مذهب الجهمية فاذا تبين لك ما تقدم علمت أن هذا الملحد قد عزل كتاب الله وسنة رسوله وبذهما وراءه ظهيراً لا اعتقاده ان ما عارضهما بالعقل كان واجباً وقولاً جلياً . واذا انكشفت الحقائق علمت من هو خير مقاما وأحسن نديا ، فمن أراد الوقوف على التفصيل فكلام الشيخ في العقل والنقل في ذلك مبسوط موضح بأدلته العقلية والنقلية اذ المقام لا يحتمل ما ذكره الشيخ هنا لأننا قصدت الاختصار والاقتصار .

(وأما قوله) اما تأويلا اجمالياً ويفوض تفصيله الى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف .

فأقول : قال شيخ الاسلام الوجه السادس أن يقال غاية ما ينتهي اليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بأرائهم من المشهورين بالاسلام هو التأويل أو التفويض ، فأما الذين ينتهون الى أن يقولوا الانبياء أو هموا أو خيلوا مالا حقيقة له في نفس الامر فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالاحاد والزندقة ، والتأويل المقبول هو ما دل عليه مراد المتكلم والتأويلات التي يذكرونها لا يعلم أن الرسول أرادها ، بل يعلم بالاضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قالوه

كما يعلم مثل ذلك في تأويلات القرامطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك الى دليل خاص ، وحينئذ فالتأويل ان لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والالحاد ، لا من باب التفسير وبيان المراد .

(وأما التفويض) فمن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه ، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الاعراض عن فهمه ، ومعرفته وعقله ، وأيضاً فالخطاب الذي أريد به هدايتنا ، والبيان لنا ، وإخراجنا من الظلمات الى النور ، اذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر ، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه ، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك ، فعلى التقديرين لم يخاطب بما بين فيه الحق ، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر ، وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا أنه لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده ، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد اليه لم يبين به الحق ولا كشفه ، بل دل ظاهره على الكفر والباطل ، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً ، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه ، وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه ، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والالحاد . ثم ذكر كلاماً الى ان قال : فتبين ان قول اهل التفويض الذين يزعمون انهم متبعون للسنة والسلف من أشر أقوال اهل البدع والالحاد ، انتهى .

فاذا تبين لك هذا فاعلم ان التأويل والتفويض ليس هو مذهب السلف لا أكثرهم ولا أقلهم ، ونسبة ذلك الى السلف خطأ ، وضلال ، وتلبس ، وانما قال بذلك من يزعم أنه متبع للسنة والسلف وهم على خلاف السنة وأقول السلف في هذه المسائل ، وهذا كلام أئمة الحديث وأهل السنة المحضة ليس فيها شيء من هذا الكلام المحدث المبتدع الملعون .

(وقوله) واما تفصيلاً كما هو مذهب أكثر الخلف ...

فأقول : قد تبين لك مما تقدم أن هؤلاء هم الذين كثر في باب الدين

اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم
بما أنتهى إليه مرامهم ، وهو ابو المعالى الجوينى :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كفّ حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على انفسهم بما قالوا متمثلين به ، او منشئين له فيما صنفوه من
كتبهم كقول بعض رؤسائهم وهو ابو عبد الله محمد بن عمرو الرازى :

نهاية إقدام العقول عقال واكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسامنا وغاية دينانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة فبادروا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى غليلاً .
ولا تروى غليلاً ، ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ فى الاثبات :
(الرحمن على العرش استوى * اليه يصعد الكلم الطيب) . واقرأ فى النقي :
(ليس كمثل شئ) . (ولا يحيطون به علماً) . ومن جرب مثل تجربتى ، عرف
مثل معرفتى . ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت
اهل الاسلام وعلومهم ، وخضت فى الذى نهونى عنه ، والآن ان لم يتداركنى
برحمته فالويل لفلان وها انا اموت على عقيدة أمى . ويقول الآخر منهم :
أكثر الناس شكا عند الموت اصحاب الكلام . فاذا كان هذا حال أئمة
المتكلمين كيف يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ان يوجب على الناس
اعتقاد ما كان عليه هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون ، الحيارى
المتهوكون ، وقد علم بالاضطرار ان هؤلاء هم ورثة افراخ الفلاسفة واتباع
الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين . وضلال اليهود والنصارى
والصابئين ، وان من تأول ما تأولته الجهمية والمعتزلة ، ومن نحا نحوهم
من المتكلمين كقول هذا الملحد : فالاستواء على العرش فى قوله :

(الرحمن على العرش استوى) هو الاستيلاء ويؤيده قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

وجوابه فيما ادعى من أن معنى الاستواء انه بمعنى الاستيلاء ، وأنه ليس في لغة العرب ما يفيد ذلك (أن نقول) قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) قال الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه منها انتهاء شباب الرجل وقوته فيقال اذا صار ذلك قد استوى الرجل ، ومنها استقامة ما كان فيه أو د من الأمور والأسباب يقال منه استوى لفلان أمر اذا استقام له بعد أود . ومنه قول الطرماح بن حكيم .

طال على رسم مهده ابدہ وقد عني واستوى به بلده

أى استقام به ، ومنها الاقبال على الشيء بالفعل كما يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان اليه ، ومنها الاحتياز والاحتواء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ، ومنها العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريرہ يعنى به علوه عليه ، وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) علا عليهن وارتفع فديرهن بقدرته ، وخلقهن سبع سموات ، والعجب من أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله تعالى (ثم استوى إلى السماء) الذى هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه اذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون انما علا وارتفع بعد ان كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأوله المستكره ، ثم لم ينبج مما هرب منه ، فيقال زعمت أن تأويل قوله سبحانه استوى اقبل . أو كان مدبراً عن السماء فأقبل اليها ؟ فان زعم أن ذلك ليس باقبال فعل ولكنه اقبال تدبير قيل له فكذلك قيل علا عليها علو ملك وسلطان لاعلو اتتقال وزوال . ثم ان يقول فى شيء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله ، ولولا انا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لاثبتنا عند فساد قول كل قائل فى ذلك قولاً لأهل الحق فيه مخالفاً ، وفيما بينا منه ما يشرف بذى الفهم على ما فيه الكفاية ان شاء الله تعالى ، انتهى .

فقول الشاعر : قد استوى بشر على العراق : أى ملكها واحتوى عليها وحازها ، ولو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الأرض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش والاقذار لأنه قادر على الأشياء ، مستول عليها ، وإذا كان قادر على الأشياء كلها ولم يجوز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستو على الحشوش والاقذالية لم يجوز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها فيكون استواءه على العرش علوه عليه وارتفاعه كما هو مذهب سلف الأمة وأئمتها ، وقد تقدم بيان ذلك .

ثم قال العراقي : وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) أى جاء أمره ، وقوله إليه يصعد الكلم الطيب أى يرتضيه ، فإن الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال بنفسه . وقوله سبحانه (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) أى يأتى عذابه ، وقوله تعالى (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) أى قرب رسوله إليه بالطاعة والتقدير بقاب قوسين أو أدنى تصوير للمعقول بالمحسوس ، وقوله ﷺ : إنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فى كل ليلة فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ ، معناه تنزل رحمته ، وخص بالليل لأنه مظنة الخلوات ، وأنواع الخضوع والعبادات . إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث ، انتهى كلامه .

(وقد علمت بما تقدم) بطلان هذه التأويلات وأنها تأويلات الجهمية والمعتزلة الخارجين عن طريقة أهل السنة والجماعة ، وإنما ذكرناها هنا من كلامه ليعرف المسلم قدر نعمة الله عليه بالاسلام ، وسلوكه طريقة سلف الأمة وأئمتها ، ويشكر الله عليها ويحمده فإن من انعم الله عليه بالسلامة من سلوك طريقة هؤلاء الضلال فقد أوتى خيراً كثيراً ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، فإن الرسول قد بلغ البلاغ المبين . ونصح الأمة ، وأدى الأمانة . وقامت حجة الله على خلقه ، ود من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

فصل

قال العراقي : الوهاية ونفيها الاجماع حيث كان ما انطوت عليه العقيدة الوهاية مبيناً لما أجمع عليه الصحابة الكرام والمجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام لم يرا أصحاب تلك العقيدة بدأ من انكار الاجماع ونفي كونه حجة يعمل بها فهم كفروا كل مسلم عداهم من قال لا إله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارته لقبور الانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله .

والجواب أن نقول نسبة نفي الاجماع الى الوهاية كذب وبهتان ، بل هذا توصل منه الى القدح فيهم بغير حجة ولا برهان ، وإلا فالوهاية يعلمون أن الاجماع حجة ويعتقدون أن الامة لا تجتمع على ضلاله وهو الاصل الثالث عندهم وعقيدة الوهاية لا تخالف ما أجمع عليه الصحابة الكرام والأئمة المجتهدون العظام وكافة علماء الاسلام ومن تدبر أقوالهم ومصنفاتهم علم علماً يقيناً أنهم كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في المعتقد وسائر أحكام الاسلام وأن هذا الملحد الضال ومن نحاه عن طريقته هم المخالفون لما أجمع عليه الصحابة ومن تبعهم باحسان ومخالفون العقيدة السلف الصالح والصدر الاول وما كان عليه الأئمة الاربعة المقلدون والأئمة المجتهدون من أهل السنة المحضة ومن تمسك بهديهم وعلى طريقتهم يعرف ذلك من كلامه وضلالاته التي ذكرناها عنه فيما سبق وفيما يأتي بعد .

وقوله فهم قد كفروا كل مسلم عداهم من قال لا إله الا الله محمد رسول الله بسبب زيارتهم لقبور الانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله مع أن الامة قد أجمعت على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام الى آخره .

فأقول هذا كذب على الوهاية فانهم ما كفروا كل مسلم عداهم ولا كفروا بمجرد الزيارة لقبور الانبياء والاولياء وانما كفروا من أشرك بالله في عبادته غيره حيث نطق القرآن بتكفيره وجاءت الاخبار الصحيحة عن رسول الله بتكفير من فعل ذلك سواء زار القبور أو لم يزر .

وأما دعواه اجماع الامة على أن من نطق بالشهادتين أجريت عليه أحكام الاسلام فهذه دعوى كاذبة خاطئة فان الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على قتال من منع الزكاة وسموهم أهل الردة وقاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لكن لما أشركوا مسيلة الكذاب فى النبوة وصدقوه أنه قد أشرك فى النبوة مع النبى ﷺ كفروهم فاذا كان من أشرك مسيلة الكذاب فى النبوة يكون كافراً فكيف لا يكفر من أشرك مخلوقاً فى عبادة الخالق سبحانه وجعله نداً لله يستغث به كما يستغث بالله ويدعوه مع الله ويرجوه ويلجأ اليه فى جميع مهماته ويذبح له ويتذلل له مع الله ، فقد كفر الصحابة هؤلاء وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكفر الله تعالى ورسوله المنافقين وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما قال تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وقال تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وكذلك لا خلاف بين العلماء كلهم ان الانسان اذا صدق رسول الله ﷺ فى شىء وكذبه فى شىء لم يدخل فى الاسلام وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالصلاة وجحد الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج ولما لم يتقد أناس فى زمن النبى ﷺ الى الحج أنزل الله فى حقهم (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً) وكذلك بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمن بنى العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنفذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين - الى أمثال هذا بما لا يحصى ولا يستقصى .

وأما قوله وقال ابن القيم أجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد دخل في الإسلام إلى آخره (فأقول) هذا حق إذا صدر من الكافر الأصلي ولكن إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام كفر ولو أقر بالشهادتين وكذلك من عمل بجميع الأركان من ولد في الإسلام لكنه مع ذلك قد جحد شيئاً مما جاء به الرسول وابتدع في الإسلام بدعة تخرجه منه كفر وابن القيم الذي حكيت عنه إجماع المسلمين على أن من أقر بالشهادتين فقد دخل في الإسلام قد حكا إجماع أهل الحجة من أهل الإسلام على تكفير الجهمية كما قال في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللا لكائي الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني
وذكر في كتاب الصلاة له تكفير من أمر بالصلاة فامتنع حتى يخرج وقتها
وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

وأما قوله ولذلك انعقد الإجماع على أن المرتد إذا كانت ردة بالشرك فإن توبته بالشهادتين .

فأقول هذا غير مسلم ودعوى انعقاد الإجماع على ذلك دعوى مجردة بل من كانت ردة بالشرك بالله فتوبته الإقلاع عن هذا الشرك فإن كثير من المشركين اليوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كالأفضة فإنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهم مع ذلك يدعون الحسن والحسين مع الله وكذلك عباد القبور يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومع ذلك يدعون عبد القادر واحمد البدوي وغيرها ويستغيثون بهم في الشدائد والملمات ، ويرغبون اليهم في جميع الحاجات وكشف الكربات واغاثة اللهفات ، وقد انعقد الإجماع على أن من أشرك بالله في عبادته غيره كان مشركاً وإن تلفظ بالشهادتين كما هو مذكور في كتب الفقه في باب حكم المرتد .

(وقوله) ثم إن الوهاية عدوا الاستشفاع إلى الله تعالى بالنبي ﷺ بعد موته كفراً مع أن الإجماع منعقد على جوازه .

فأقول ان كان أراد بالاستشفاع بالنبي ﷺ ، كان يقول القائل اللهم اني أسألك بجاه محمد أو بحقه أو حرمة ، فهذا القول بدعة محدثة محرمة ولا يكفر الوهاية أحداً بهذا وان أراد بالاستشفاع بالنبي بأن يدعوهُ ويستغيث به كان يقول يا رسول الله أغثنى وإدركنى وأنا فى حبسك ، أو يسأله أو يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله ويتوكل عليه ويلجأ اليه فى جميع مهماته وطلباته ويجعله واسطة فى جلب منفعة أو دفع مضرة . فان كان أراد هذا فقد ذكر فى الاقناع من كتب الخنابلة أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم كفر اجماعاً وكذلك ذكر فيه عن شيخ الاسلام تقي الدين ، أن من دعا على ابن أبى طالب فهو كافر ، ومن شك فى كفره فهو كافر ، والوهاية على مذهب احمد رحمه الله ، وأما دعوى انعقاد الاجماع على جوازهِ فدعوى مجردة ، اللهم الا اجماع عباد القبور وأولئك ليسوا من أهل الاسلام فضلاً عن أن يجمعوا على الاحكام .

(وأما قوله) وهم لم يجوزوا لأحد أن يقلد مجتهداً من أئمة المسلمين .
 (فأقول) هذا كذب على الوهاية ، وان وجد هذا فى بعض الكتب لمن هو على مذهب الوهاية فى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله ممن ينسب هؤلاء الى الوهاية فنسبته الى الشيخ محمد وأتباعه من الكذب عليهم وكذلك قوله :
 (وجوزوا لكل أحد أن يستنبط من القرآن ما استطاع أن يستنبط) إلى آخره
 فهذه كلها من الأوضاع المكذوبة على الوهاية .

ثم ذكر الاجماع وأنه اتفاق المجتهدين وأن الاجماع ينعقد فى كل عصر لأن الحوادث تحدث فى كل يوم بالأمور التى لم يصرح بحكمها الكتاب والسنة وهذا مما يعلم كل أحد غلطه فى ذلك وتخييطه فيه فلا فائدة فى الجواب عنه .
 ثم قال العراقى الوهاية ونفيها للقياس : ان الوهاية كما أنكروا الاجماع كذلك أنكروا القياس الى آخر ما قال .

(فأقول) وهذا أيضاً من نمط ما قبله من الكذب والزور فان الوهاية لا ينكرون القياس مطلقاً وفيه تفصيل لكن ذكر صاحب الدين الخالص من ذلك ما أوجب لهؤلاء أن ينسبوا الى الوهاية ما يقوله صديق وليس ما قاله

مطلقاً يقول به الوهاية بل لهم فيه تفصيل ليس هذا موضع ذكره اذ المقصود نفي ما يدعيه من الكذب على الوهاية .

(ثم قال ومن العجب) أن الوهاية لأجل تخطئة المجتهدين في قبولهم القياس جعلت تعبت بكلام الله تعالى ، فتصرف الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة مؤولة اياها بما يوافق هواها مع أنها لا تأول من الآيات ما يلزم من ظاهره النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليدين والوجه وتقول أن المجتهدين عاملون بأرائهم ، مع أنها تجوز حتى للجهلة الرعاع من ذوى نخلتها أن يفسروا كلام الله بحسب افهامهم القاصرة .

والجواب أن نقول : هذا كذب على الوهاية فانهم من أعظم الناس تعظيماً لكتاب الله وسنة رسوله فبهتهم بالبعث بكتاب الله ظلم وعدوان والى الله المرجع واليه التحاكم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) بل الوهاية يضعون الآيات القرآنية في معانيها الصحيحة ، ويسرون على منهاج أئمة التفسير ولا يؤولونها على ما يوافق أهواءهم بل يستدلون بالآيات النازلة في المشركين على تكفير من فعل كما يفعله الكفار من الإشراك بالله والكفر به لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(وأما قوله) مع أنها لا تأول من الآيات ما يلزم من ظاهره النقص على الله تعالى والمحال كآية الاستواء واليد والوجه .

(فأقول) نعم لا يتأولون الآيات والأحاديث النبوية فيصرفونها عن ظاهرها وعما اقتضته من إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال لأجل ما يزعمه أعداء الله من أنه يلزم من ظاهرها النقص على الله والمحال ، فإن ما أثبتته الله ورسوله من الاستواء والوجه واليدين وغير ذلك من الصفات - وصف كمال ونعوت جلال لا وصف نقص ، بل من أثبت ذاتاً مجردة عن أوصاف الكمال فقد تنقصه غاية التنقص وشبهه بالجمادات ومثله بأنقص المعقولات الذهنية وجعله دون الموجودات الخارجية ، وإثبات الصفات لا يلزم منها بماثلة الله بخلقه ، ولا تشبيههم به ، لأن الله تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فمن شبه الله بخلقه فقد

كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله فقد كفر وقد تقدم بيان ذلك مراراً عديدة .

(وأما قوله) وتقول ان المجتهدين عاملون بأرائهم .
(فاقول) هذا كذب عليهم وماعلمنا أحدا قال بهذا من الوهاية كما أنا لأنعلم أن أحدا منهم أجاز للجهلة الرعاع كما تزعمونه أن يفسر كلام الله بحسب مفهومه القاصر ونعوذ بالله من ذلك .

(ثم ذكر القياس) وزعم أن الوهاية ينكرونه وقد قدمنا أن الوهاية لا ينكرون القياس مطلقاً ولا يثبتونه مطلقاً ، لأن القياس ينقسم إلى حق وباطل وممدوح ومذموم ، ولهذا لم يجز في القرآن مدحه ولا ذمه ولا الأمر به ولا النهي عنه فانه مورد تقسيم إلى صحيح وفاسد فالصحيح هو الميزان الذي أنزله مع كتابه في قوله : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والفاسد ما يضاده كقياس الذين قاسوا البيع على الربا بجامع ما يشتركان فيه من التراضي بالمعاوضة المالية . ولهذا تجدد في كلام السلف ذم القياس وأنه ليس من الدين وتجدد في كلامهم استعماله ، والاستدلال به وهذا حق والحاصل أن الناس فيه طرفان ووسط ، فأحد الطرفين من ينفي العلل والمعاني والافصاف المؤثرة ويجوز ورود الشريعة بالفرق بين المتساويين ، والجمع بين المختلفين ، ولا يثبت أن الله سبحانه شرع الاحكام لعل ومصلح ، وربطها بأوصاف مؤثرة فيها مقتضية لها طرداً وعكساً ، وأنه قد يوجب الشيء ويحرم نظيره من وجه ويأمر به لالمصلحة بل لمحض المشيئة المجردة من المصلحة والحكمة ، وبأزاء هؤلاء قوم أفرطوا فيه وتوسعوا جدا وجمعوا بين الشيتين الذين فرق الله بينهما بأدنى جامع من شبه أو طرد أو وصف يتخللونه علة يمكن أن يكون علته وأن لا يكون ، فيجعلونه هو السبب الذي علق الله ورسوله عليه الحكم بالحرص والظن ، وهذا هو الذي اجمع السلف على ذمه ، والنبي ﷺ يذكر في الاحكام العلل والافصاف المؤثرة فيها طرداً وعكساً ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتهدون في النوازل ويقيسون بعض الاحكام على بعض .

ويعتبرون النظر بنظيره . والمقصود أن من زعم أن الوهائية ينفون القياس مطلقاً فقد كذب عليهم وافترى .

(وأما قوله) فقول الوهائية أن النصوص تستوعب جميع الحوادث بدون استنباط أو قياس غير مسلم ، فإن استيعابها جميع الحوادث لا يتم إلا بطريقتيها . فالجواب أن نقول : قد ذكر ابن القيم في أعلام الموقعين أن الناس انقسموا في هذا الموضع إلى ثلاث فرق ، فرقة قالت : ان النصوص لا تحيط بأحكام الحوادث ، وغلا بعض هؤلاء حتى قال : ولا بعشر معشارها . وذكر حججهم وأبطالها بثلاثة وجوه أجاد فيها وأفاد ، ثم قال : لما ذكر أقوال الطائفتين المنحرفتين عن الوسط قول المعتزلة المكذبين بالقدر ، وقول الجهمية المنكرين للحكم ، والاسباب ، والرحمة . والتعليل . قال : والمقصود أنهم كما انقسموا إلى ثلاث فرق في هذا الأصل انقسموا في فروعه وهو القياس إلى ثلاث فرق ، فرقة أنكرت بالكلية ، وفرقة قالت به وأنكرت الحكم والتعليل والمناسبات ، والفرقتان أخلت النصوص عن تناولها لجميع أحكام المكلفين . وأنها أحالت على القياس ، ثم غلاتهم أحالت عليه أكثر الأحكام . وقال متوسطهم : بل أحالت عليه كثيراً من الأحكام لا سبيل إلى اثباتها إلا به ، والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث وهو أن النصوص محيطة بأحكام الحوادث ، ولم يلحقنا الله ورسوله على رأى ولا قياس بل قد بين الأحكام كلها والنصوص كافية وافية بها ، والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص فهما دليلان : الكتاب والميزان ، وقد تخفى دلالة النص . ولا يبلغ العالم فيعدل إلى القياس ، ثم قد يظهر موافقاً للنص فيكون قياساً صحيحاً ، وقد يظهر مخالفاً له فيكون فاسداً ، وفي نفس الأمر لا بد من موافقته أو مخالفته ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته إلى آخر كلامه رحمه الله .

وقال شيخ الإسلام بعد أن ذكر هذه المسألة وقررها أحسن تقرير ، وبالجملة الأمر نوعان ، كلية عامة ، وجزئية خاصة ، فأما الجزئيات الخاصة كالجزء الذى يمنع تصويره من وقوع الشركة فيه من ميراث هذا الميت وعدل هذا

الشاهد ونفقة هذه الزوجة ووقوع الطلاق بهذا الزوج ، وإقامة الحد على هذا المفسد وأمثال ذلك ، فهذا مما لا يمكنه لا نبياً ولا إمام ولا أحد من الخلق أن ينص على كل فرد منه لأن أفعال بني آدم وأعيانهم يعجز عن معرفة أعيانها الجزئية واحد من البشر وعبارته : لا يمكن بشر أن يعلم ذلك كله بخطاب الله له ، وإنما الغاية الممكنة ذكر الأمور الكلية العامة كما قال ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » .

فصل

(قال العراقي) الوهاية وتكفيرها من قلد المجتهدين .

لما كانت أقوال المجتهدين السالفين رحمهم الله تعالى وما وصلوا اليه باجتهدهم من الأحكام المقررة الدينية تصادم ما ابتدعه الفتن المارقة الوهاية لم تر هذه الفتنة بدأ من انكارها صحة اجتهدهم ، وتخطئة آرائهم ، وتكفير من قلدهم ، حتى يخلو لها الجوف فتبيض ، وتصفر ، وتلعب بالدين كما شاء هواها ، ويتمهد لها الطريق الا تأسيس قواعد ضلالها المبين ، اذ هي لو لم تنف اجتهدهم لما تم لها أن تصرف بحسب هواها الآيات النازلة في المشركين الى المسلمين الذين يتوسلون الى الله تعالى بجاه رسوله وكرامة أوليائه لأن هذا الصرف مما لم يقل به مجتهد ، ولم يرض به أحد من أئمة الدين .

والجواب أن نقول : أما دعوى تكفير المجتهدين فمن الكذب الواضح ، والافك الفاضح ، وأما ماخرق به من انا مصادمون لما اجتهد الأئمة فيه من الأحكام الدينية ، وانا انكرنا اجتهدهم ليخلو لنا الجو ، كما زعمه هذا البو ، فما ذاك إلا من فيض كلب العداوة في الدين لأنه جهى معتزلى مشرك ونحن والله الحمد على طريقة السلف وأئمة الدين في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته . وفي باب العمل والعبادة فلا نشرك ربنا أحداً ، ولا نتخذ من دونه أولياء ، ومن تأمل كلامه علم انه هو المارق المبتدع ، وانه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ، بل هو برىء من الأئمة المجتهدين وهم براء منه ،

فان عقيدته مخالفة لعقائدهم فهو إلى طريقة الفلاسفة والملاحدة ومن نحا نحوهم من المتكلمين ، أقرب منهم إلى الآئمة المجتهدين . وهذا العراق متبع لهواه ، عابد لما يهواه . قد اتخذ الكذب ديدانه ، والزور والفجور ميزانه ، ودخل من الكذب في ظلمات بعضها فوق بعض . حتى آل به زوره وفجوره الى أن زعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان كثير الميل الى الاطلاع على أخبار من ادعى النبوة كسيلة الكذاب ، والاسود العنسى ، وانه كان يضرر في نفسه أن يؤسس ديناً يحذو به حذو أولئك الكذابين . الى غير ذلك من مفترياته ، ورعونات جهالاته وخزعبلاته ، فالموعد الرحمن واليه التحاكم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ثم لو استهواه الشيطان ، وحكى ما يقول أهل البغى والعدوان ، كيف ساغ له أن يحكى عما في ضميره لو كان ، وحاشا لله أن يكون ذلك في الامكان .

(وأما زعمه) أن الشيخ يدعى الاجتهاد المطلق ، فمن نط ما قبله من المفتريات فانه لا يدعى ذلك ، وقد نفاه في بعض رسائله ومن طالع كتب الشيخ وتصانيفه ورسائله علم محله من العلم والفقه والمتانة في الدين ورسوخه فيه ، وقد شهد له علماء وقته بذلك كما مضى بيانه .

(وأما قوله) وقال ابن القيم في أعلام الموقعين لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم .

فأقول : هذا لسان جاهل ، وتركيب نبطى لا يدري شيئاً من صناعة العلم ، وابن القيم ينزه عن هذا اللفظ وهذا التركيب ، ولا يقول ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، فان البحث ما هكذا ايراده ولا تقريره ، والعلوم فيها ما لا دخل له هنا ولا اعتبار كعلم الطب ، والهندسة ، والإنشاء ، وقريض الشعر وميزانه ، والعلم بالرسم واتقانه ، ومعرفة التاريخ ، وأما بالنظر للمعنى فابن القيم رحمه الله قد شن الغارة على من لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد ، وشنع على قائله تحميلاً وتخطئة وقال : هذا سد لباب اخذ العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله ، وذكر في هذا المبحث من النصوص والآثار والمناظرة بين المجتهد والمقلد ما لا تقسع له هذه الرسالة ، وذكر

هذه العبارة راداً لها بجهلا لقائلها ، بل ذكر فيه عن الامام احمد انه لا يجوز
 الافاء إلا لرجل عالم بالكتاب والسنة ، ثم ذكر بعد ذلك فصولاً في تحريم
 الافاء في دين الله بالرأى المتضمن لمخالفة النصوص ، والرأى الذى لم تشهد له
 النصوص بالقبول . وقال أيضاً فى الاعلام لما ذكر القياس قال : ونحن نقول
 قولاً ندين الله به ، ونحمد الله على توفيقنا له . ونسأله الثبات عليه ، ان الشريعة
 لم تحوجنا الى قياس قط ، فان فيها غنية وكفاية عن كل رأى وقياس وسياسة
 واستحسان ولكن ذلك مشروط بفهم يؤتيه الله عبده فيها ، وقد قال تعالى :
 (ففهمناها سليمان) ، وقال على رضى الله عنه : الا فهماً يؤتيه الله عبده فى كتابه .
 وقال النبی ﷺ لعبد الله بن عباس : اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل ، .
 وقال ابو سعيد كان ابو بكر أعلمنا برسول الله ﷺ . وقال عمر لأبى موسى
 الفهم الفهم ، انتهى . والذى غر هؤلاء الجبهة أنهم ظنوا ان الاخذ بكتاب الله
 وسنة رسوله هو مرتبة الاجتهاد ، او من تجوز له الفتيا فى الحلال والحرام ،
 وما علموا ان الاجتهاد هو النظر فى الادلة اذا تعارضت ، وفيما يخفى دليله ،
 وهذا لا يتيأ إلا لمن كملت فيه شروط الاجتهاد ، او اجتمعت فيه أدوات الفتيا ،
 واما اتباع كلام الله ورسوله والاخذ بما فيهما فهو فرض واجب على المجتهد
 والمقلد والعالم والمتعلم ، والآيات والاحاديث فى ذلك معروفة مشهورة مبسطة
 ذكرها ابن القيم فى الاعلام ، وقال ابن عباس رضى الله عنه لمن ناظره فى متعة
 الحج : يوشك ان تنزل عليكم حملاً من السماء ، اقول قال رسول الله ﷺ :
 وتقولون قال ابو بكر وعمر ، وقال الامام احمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد
 وصحته يذهبون الى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : (فليحذر الذين يخالفون
 عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) اتردى ما الفتنة ، الفتنة الشرك
 لعله اذا رد بعض قوله ان يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك ، وقال ابن القيم
 رحمه الله فى الاعلام قال ابو بكر بن ابي شيبة : حدثنا صالح بن عبد الله حدثنا
 سفيان بن عامر عن عتاب بن منصور قال : قال عمر بن عبد العزيز : لا أرى
 لأحد مع سنة سنّها رسول الله ﷺ ، وقال الشافعى : أجمع الناس على ان من

استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها . وقال : لا أقول لأحد مع سنة رسول الله ﷺ . وقال شداد بن حكيم عن زفر بن الهذيل إنما نأخذ بالرأى ما لم يحجى ، الأثر ، فإذا جاء الأثر تركنا الرأى وأخذنا بالأثر .

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة الملقب بامام الاثمة لا قول لأحد مع رسول الله ﷺ ، إذا صح الخبر عنه وقال الأصم ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت ، وقال أحمد بن علي بن عيسى بن ما هان الرازي ، سمعت الربيع يقول ، سمعت الشافعي يقول كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن رسول الله عند أهل النقل بخلاف ما قلت فاني راجع عنها في حياتي وبعد موتي ، وقال الربيع قال الشافعي ، لم أسمع أحداً نسب عامة أو نسب نفسه الى علم يخالف في أن فرض الله اتباع أمر رسوله ﷺ والتسليم لحكمه ، فان الله لم يجعل لأحد بعده إلا أتباعه ، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله وسنة رسوله وان ما سواهما تبع لهما ، وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف فيه الغرض ، وواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ ، الا فرقة سأصف قولها ان شاء الله وذكر كلاماً طويلاً عن الشافعي رحمه الله وغيره تركناه طلباً للاختصار .

والمقصود أنه كذب على ابن القيم في دعواه أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم ، ولا عجب من هذا فقد كذب على السلف رحمهم الله في أن مذهبهم في آيات الصفات وأحاديثها أنها تؤول اما تفصيلاً واما اجمالاً أو يفرض تفصيلها الى الله .

ثم ذكر العراقي كلاماً زعم فيه أن الوهاية اتخذته ذرائع لتأسيس بدعتها ، وقد تقدم الكلام عليه ، ولكن أعاده ليكبر حجم كتابه ، ولizard ان شاء الله بذكره مقتاً من الله وغضباً وزيادة في عقابه .

(ثم ذكر) أن تكفير المسلم أمر غير هين وأنه قد أجمع العلماء منهم الشيخ

ابن تيمية وابن القيم على أن الجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل ما يجعل صاحبه مشركاً أو كافراً يعذر بالجهل والخطأ ، حتى تبين له الحجة بآنا واضحا لا يلتبس على مثله .

(فيقال) في جوابه اما تكفير المسلم فقد قدمنا أن الوهاية لا يكفرون المسلمين والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أعظم الناس توقفاً واحكاماً عن اطلاق الكفل حتى إنه لم يحزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم اذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها قال في بعض رسائله وان كنا لا نكفر من عبد قبة الكواز لجهلهم وعدم من ينههم فكيف من لم يهاجر إلينا ، وقال وقد سئل عن مثل هؤلاء الجهال فقرر أن من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفة يكفر بعبادة القبور ، وأما من أخذ الى الأرض واتبع هواه فلا أدري ما حاله .

(وأما نقله) عن شيخ الاسلام وابن القيم على أن الجاهل والمخطئ الى آخره فالجواب : أن يقال كلام الشيخين إنما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى الدليل فيها واما عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لأن فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الانبياء والصالحين وعبادتهم ، وأيضاً فإن هذا النقل فيه تكفير من قامت عليه الحجة ولو في المسائل الخفية ، فبطلت الشبهة العراقية ، ومسألة توحيد الله وإخلاص العبادة له لم ينازع في وجوبها أحد من أهل الاسلام لا أهل الاهواء ولا غيرهم ، وهى معلومة من الدين بالضرورة ، كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هى عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها وسائر الاحكام تدور عليه ، وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الاسلام كثيراً ، قال وهذا ان كان في المقالات الخفية ، فقد يقال فيها إنه مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم في أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها ، مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونفيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم ، فان هذه

أظهر شعائر الاسلام ومثل ايجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ، ثم تجدد كثيراً من رموسهم وقنعوا فيها فكانوا مرتدين . وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي ، قال وهذه ردة صريحة ، انتهى .

فاذا علمت هذا فمن بلغته رسالة محمد ﷺ وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة فلا يعذر في عدم الايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر فلا عذره بعد ذلك بالجهل ، وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم ، ونقطع أن اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم ، وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين كالذي لا يجزم بصدق الرسول ولا كذبه ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ، ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا كفر باجماع العلماء ، ولا عذر لمن حاله هكذا بكونه لم يفهم حجج الله وبياناته لأنه لا عذر له بعد بلوغها . وان لم يفهمها ، وقد أخبر الله عن الكفار أنهم لم يفهموا فقال : (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) والآيات في هذا المعنى كثيرة والله أعلم .

(وأما قول هذا العراقي) حتى تتبين له الحجة بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله .

(فأقول) هذا تحريف لكلام الشيخ فان الشيخ لم يقل حتى تتبين له الحجة إلى آخره وإنما هي زيادة عراقية ، وإنما قال الشيخ ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ، فقوله حتى تتبين له الحجة بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله إنما هو فهم الحجة . وفرق بعيد بين قيام الحجة وفهم الحجة فان من بلغته دعوة الرسل فقد قامت عليه الحجة اذا كان على وجه يمكن معه العلم . ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول قال تعالى

(أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وقال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى .
ويقال أيضاً فرض كلام شيخ الاسلام وتقديره في الأمور التي قد يخفى دليلها مما ليس هو من ضروريات الدين ، ولا هو من الأمور الجليلة بل هو في الأمور النظرية والاجتهادية والله أعلم .

(وأما قوله) والمسلم قد يجتمع فيه الكفر والاسلام والشرك والايمن ولا يكفر كفراً ينقله عن الملة .

(فأقول) نعم هذا فيما دون الشرك والكفر الذي يخرج من الملة فاما مالا يخرج عن الملة كالشرك الأصغر ، كسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل ماشاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وما أشبه ذلك ، والكفر كقوله ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ، وقوله ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » ، وفي لفظ « فقد كفر » ، وغير ذلك مما جاء في الحديث بلفظ الكفر عما لا ينقل عن الملة من الكفر الأصغر .

(وأما ما ذكره) في الخوارج فانما هو لأجل ما قام بهم من الشبهة المانعة من تكفيرهم والشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يكفر الخوارج كما أن أكثر أهل العلم لا يكفرونهم وقد سئل علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن الخوارج أ كفارهم ؟ فقال من الكفر فروا ، فقالوا منافقون ؟ فقال المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا وهو لا يذكرون الله كثيرا أو كلاما نحو هذا ، فقول العراقي : ومع كفرهم لم يكفرهم الصحابة ولا التابعون ، جهل عريض وتناقض بين ، وعدم معرفة بمقادير الصحابة وأهل العلم فانهم لو كانوا عند الصحابة كفارا كفرا يخرج من الملة لكفرهم الصحابة والتابعون فلما قام المانع من تكفيرهم أمسكوا عنه وهم أعلم الأمة وأعرفهم بالله وبدينه وأحشاهم له فهذا الكلام وتحويه .
انما هو في أهل الأهواء والبدع كالخوارج وأشباههم من أهل البدع التي لم تخرجهم بدعتهم من الاسلام .

وأما مسألة عبادة القبور ودعائها مع الله فهي مسألة وفاقية التحريم ، اجماعية المنع والتأنيب ، فلم يدخل عباد القبور في كلام الشيخين لظهور برهانها ووضوح أدلتها وعدم اعتبار الشبهة فيها هذا وجه الإخراج والاستدراج ومراد هذا الملمح أن عباد القبور لا يكفرون لأن الصحابة والتابعين لم يكفروا الخوارج فبعداً للقوم الظالمين .

وأما ما ذكره من قتال أهل الردة فليس الأمر كما زعم من التفريق وإن كان قد قال به بعض العلماء فالحق والصواب ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم فانهم لم يفرقوا بين من ارتد وصدق مسيلة الكذاب والأسود العنسي وطلحة الاسدي وسجاح وبين من منع الزكاة ، بل قاتلهم كلهم واستحلوا دماهم وأموالهم وسبيهم وسموهم كلهم أهل الردة ولم يقولوا المانع الزكاة أنت مقرر بوجوبها أو جاحد لها ؟ هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه فجعل الميخ للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد روى أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوها بها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعاً سيرة واحدة وهي قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمتهم أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصديق رضي الله عنه أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإذا علمت ذلك فمن المحال أن يكون الحق والصواب مع من قال بخلاف ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم أفضل الأمة وأن يكون الحق والصواب مع من بعدهم ممن لا يساويهم ولا يقاربهم في العلم والفضل والمعرفة وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين نحواً من خمسة وأربعين وجهاً تدل على أن ما قاله الصحابة رضي الله عنهم هو الحق والصواب الذي لا شك فيه .

فصل

ثم ذكر العراقي فرق أهل الضلال من أهل الاهواء والبدع الذين فارقوا الجماعة كالقدرية والمعتزلة والمرجئة والجهمية والرافضة ولم يذكر من فرق أهل الاهواء إلا هؤلاء ، ثم قال ومذهب السلف الذى تستر به الوهاية هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين الذين ذكرناهم ، والعجب كل العجب أن هذا العراقي يقرّ أن هؤلاء الطوائف هم المارقون المفارقون للجماعة وهو يقول بأقوالهم في نفي الصفات .

﴿ والجواب ﴾ أن نقول : هذا كذب على السلف رضوان الله عليهم فانهم كفروا غلاة الرافضة كالذين حرقهم عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه وكذلك كفروا غلاة القدرية وغلاة المرجئة والمعتزلة وغلاة الجهمية ، وقد حكى شيخ الاسلام تكفير من قام به الكفر من أهل الاهواء ، قال واضطرب الناس في ذلك فمنهم من يحكى عن مالك فيه قولين ، وعن الشافعى كذلك ، وعن احمد روايتين ، وأبو الحسن الاشعري وأصحابه لهم فيه قولان ، قال وحقيقة الامر أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير قائله ، ويقال لمن قال هذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذى قال لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركها ، انتهى . وحيث كان الحال هكذا في الخوارج قد اختلف الناس في تكفيرهم والغلاة في عليّ لم يختلف أحد في تكفيرهم وكذلك من سجد لغير الله أو ذبح لغير الله أو دعاه مع الله رغباً أو رهباً كل هؤلاء اتفق السلف والخلف على كفرهم كما ذكره أهل المذاهب الاربعة ولا يمكن أحد أن ينقل عنهم قولاً ثانياً ، وبهذا تعلم أن النزاع وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله في غير عباد القبور والمشركين فرضه وموضوعه في أهل البدع المخالفين للسنة والجماعة ، وهذا يعرف من كلام الشيخ فاذا عرفت ان كلام الشيخ ابن تيمية في أهل الاهواء كالتقدرية والخوارج والمرجئة ونحوهم ما خلا غلاتهم تبين لك أن عباد القبور والجهمية خارجون من هذه الاصناف ، وأما كلامه في عدم

تكفير المعين فالمقصود به في مسائل مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس كما في مسائل القدر والأرجاء . ونحو ذلك مما قاله أهل الأهواء فإن بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفراً ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته ، فإن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها ولذلك ذكر هذا في الكلام على بدع أهل الأهواء . وقد نص على هذا فقال في تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة ، قال : « وهذا إذا كان في المسائل الخفية فقد يقال بعدم التكفير ، وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية أو ما يعلم من الدين بالضرورة فهذا لا يتوقف في تكفير قائله ، وبهذا تعلم غلط هذا العراقي وكذبه على شيخ الاسلام ، وعلى الصحابة والتابعين في عدم تكفير غلاة القدرية وغلاة المعتزلة وغلاة المرجئة وغلاة الجهمية والرافضة » . فإن الصادر من هؤلاء كان في مسائل ظاهرة جلية ، وفيما يعلم بالضرورة من الدين ، وأما من دخل عليه من أهل السنة بعض أقوال هؤلاء وخاض فيما خاضوا فيه من المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس أو من كان من أهل الأهواء من غير غلاتهم بل من قلدن وحسن الظن بأقوالهم من غير نظر ولا بحث فهؤلاء هم الذين توقف السلف والأئمة في تكفيرهم لاحتمال وجود مانع بالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته قبل قيام الحجة عليهم ، وأما إذا قامت الحجة عليهم ، فهذا لا يتوقف في كفر قائله .

(وأما قوله) قال شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية لم يكفر الامام احمد الخوارج ولا المرجئة ولا أعيان الجهمية بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا الناس إلى قولهم وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الشديدة .

فالجواب أن يقال قد تقدم عدم تكفير الخوارج والمرجئة غير الغالية منهم وأما الجهمية فيقال لو سلم هذا لجوابه من أوضح الواضحات عند أهل العلم والأثر وذلك أن الامام احمد وأمثاله من أهل العلم والحديث لا يختلفون في تكفير

الجهمية وأنهم ضلال زنادقة ، وقد ذكر من صنف في السنة تكفيرهم عن عامة أهل العلم والأثر وعد اللالكائي الامام رحمه الله تعالى منهم عدداً يتعذر ذكرهم في هذا الجواب ، وكذلك ابن الامام احمد في كتاب السنة والحلال في كتاب السنة وابن أبي مليكة في كتاب السنة وامام الأئمة ابن خزيمة قرر كفرهم ونقله عن أساطين الأئمة . وقد حكى كفرهم شمس الدين بن القيم في كافيته عن خمسمائة من أئمة المسلمين وعلمائهم والصلاة خلفهم لا تنافي القول بتكفيرهم لكن يجب الاعادة حيث لا تمكن الصلاة خلف غيرهم ، والرواية المشهورة عن الامام احمد هي المنع من الصلاة خلفهم ، وقد يفرق بين من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها وبين من لا شعور له بذلك وهذا القول يميل اليه شيخ الاسلام في المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس ، كما تقدم ذكره . وعلى هذا القول فالجهمية في هذه الازمنة قد بلغت الحجة وظهر الدليل وعرفوا ما عليه أهل السنة واشتهرت الاحاديث النبوية وظهرت ظهوراً ليس بعده إلا المكابرة والعناد ، وهذا حقيقة الكفر والاحاد ، كيف لا وقولهم يقتضي من تعطل الذات والصفات والكفر بما اتفقت عليه الرسالة والنبوات وشهدت به الفطر السليمة ما لا يبقى معه من حقيقة الربوبية والالهية ولا وجود للذات المقدسة المتصفة بجميل الصفات ، وهم إنما يعبدون عدما لا حقيقة لوجوده ويعتمدون من الخيالات والشبه ما يعلم فساد بضرورة العقل وبالضرورة من دين الاسلام عند من عرفه وعرف ما جاءت به الرسل من الاثبات . ولبشر المريسي وأمثاله من الشبه والكلام في نفي الصفات ما هو من جنس هذا المذكور عند الجهمية المتأخرين بل كلامه أخف إلحاداً من بعض هؤلاء الضلال ، ومع ذلك فأهل العلم متفقون على تكفيره . وعلى أن الصلاة لا تصح خلف كافر جهمي أو غيره وقد صرح الامام احمد فيما نقل عنه ابنه عبد الله وغيره أنه كان يعيد صلاة الجمعة وغيرها وقد يفعلها المؤمن مع غيرهم من المرتدين اذا كانت لهم شوكة ودولة والنصوص في ذلك معروفة مشهورة من طلبها وجدها ، انتهى . وقد تقدم كلام أبي حنيفة وتصريحه بكفر من قال لا أدري العرش في السماء أم في الارض

قال لأنه أنكر أنه في السماء لأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلا لا من أسفل ، وقال الامام الشافعي رحمه الله : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل وثبت هذه الصفات وتنفي عنه التشبيه كما نفي عن نفسه فقال : (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) انتهى .

وقال شيخ الاسلام رحمه الله بعد كلام سبق : والبدعة التي يُعد بها الرجل من أهل الاهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة ، فان عبد الله بن المبارك ويوسف ابن أسباط وغيرهما ، قالوا أصول الاثنتين وسبعين فرقة هي أربع : الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية ، قيل لابن المبارك فالجهمية ، قال ليست من أمة محمد ﷺ والجهمية نفاة الصفات الذين يقولون القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة ، وان محمداً لم يعرج به الى الله ، وان الله لا علم له ولا قدرة ولا حياة ونحو ذلك كما يقوله المعتزلة والمتفلسفة ومن اتبعهم . وقد قال عبد الرحمن ابن مهدي هما صنفان فأحدهما الجهمية والرافضة فهذان الصنفان شرار أهل البدع ومنهم دخلت القرامطة الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية ومنهم اتصلت الاتحادية فانهم من جنس الطائفة الفرعونية والرافضة في هذه الازمان مع الرافض جهمية قدرية فانهم ضموها الى الرافض مذهب المعتزلة ثم يخرجون الى مذهب الاسماعيلية ونحوهم من أهل الزندقة والاتحاد ، انتهى كلامه رحمه الله . وهذا العراق الملحد ضم الى معتقده في عبادة القبور مذهب الجهمية والمعتزلة ، وقول الرافضة في الرؤية والقدرية .

(وأما قوله) عن شيخ الاسلام وقال أيضاً ما محصله ان من البدع المنكرة تكفير طائفة من المسلمين واستحلال دماهم وأموالهم اذ لعل تلك الطائفة ليس فيها من البدعة ما في الطائفة المنكرة لها ولو فرض أن تلك الطائفة قد ابتدعت لم يحز للطائفة التي على السنة أن تكفرها لما عسى أن تكون بدعتها ناشئة عن خطأ الى آخره .

(فالجواب) أن نقول ليس هذا بما نحن فيه في شيء ، فإن من أهل البدع من لم تخرجه بدعته من الاسلام وليس الكلام في هؤلاء وفرض كلام الشيخ فيمن لم تكن بدعته تخرجه من الاسلام وانما الكلام في غلاة هؤلاء الطوائف وبهذا يعلم كل من له أدنى مسكة من عقل وأقل معرفة من علم أن عباد القبور والجهمية لا يدخلون في أهل البدع والاهواء الذين تقدم كلام الشيخ فيهم ، والشيخ محمد رحمه الله لا يكفر أحداً من هذا الجنس ولا من هؤلاء النوع وانما يكفر من نطق بتكفيره الكتاب العزيز وجاءت به السنة الصحيحة واجتمعت على تكفيره الامة كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والانباء والصالحين ويدعونهم مع الله فان الله كفرهم وأباح دماءهم وأموالهم كما دل عليه الكتاب العزيز والسنة المستفيضة .

فصل

إذا تبين لك هذا فمن عجيب أمر هذا العراقي وشدة غباوته ، وأنه انما دهم من عجمته ، وعدم معرفته وتلقى العلوم الشرعية من مظانها تناقضه كما قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) . فمن ذلك أنه ذكر فيما تقدم في غير موضع أن الوهاية قد خبطت كل الخط في تنزيهه تعالى حيث أبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته ماسكاً بالسموات على أصبع والارض على أصبع ، والشجر على أصبع ، والملك على أصبع ، ثم أثبتت له تعالى الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع الى فوق اشارة حسية ، وينزل الى السماء ويصعد ، ثم نبى الرؤية في مواضع أخر وأولها بنوع من الانكشاف والتجلي من غير حاجة للباصرة ، ولا محاذاة لها . وفي موضع آخر قال : فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات أن الله تعالى على عرشه وعلاه علواً حقيقياً ، وأن له تعالى وجهاً ويدين ، وأنه ينزل الى السماء الدنيا ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقين ، وأنه يشار اليه في السماء بالاصبع ،

ثم نكس على رأسه ، فقال : لما أتى على فرق أهل الاهواء قال :

ثم فارقت الجهمية الجماعة فقالوا : ليس على العرش إله يعبد ، ولا لله في الارض من كلام ، وأنكروا صفات الله التي أثبتنا لنفسه في كتابه المبين ، وأثبتنا رسوله الصادق الأمين ، وأجمع على القول بها الصحابة ، وكذلك أنكروا رؤية الله تعالى في الدار الآخرة الى غير ذلك من أقوالهم ومعتقداتهم الكفرية .

هذا لفظه بحروفه فنقض ما تقدم من قوله في الوهاية بما قاله هاهنا من أن الجهمية فارقوا الجماعة ، وقالوا : انه ليس على العرش إله يعبد ، وأنهم أنكروا الصفات التي أثبتنا لنفسه ، وأثبتنا له رسوله ، وأجمع على القول بها الصحابة ، وكذلك قال في رؤية الله تعالى وصرح أن هذا وغيره من معتقداتهم الكفرية ، وكذلك قال في سائر الفرق أنهم فارقوا الجماعة ، وأن أهل السنة لم يكفروهم بهذه الكفریات وهكذا يكون كلام من اتبع هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله وإلا فكيف يعتقد أن الله ينزه عن اثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، ثم يحكم على أن القائل بها مفارق للجماعة مخالف لما أجمع عليه الصحابة ، وأن اعتقاد هذا من العقائد الكفرية ثم يقول ، ومع تماديهم في ضلالهم واستمرارهم على عنادهم ، بعد أن بين أهل الحق لهم خطأ مذهبهم لم يكفروهم ، بل جعلوا الاخوة الايمانية ثابتة لهم ولمن قبلهم من أهل البدع ، هذا قوله في المرجئة والمعتزلة والقدرية ، وأما الجهمية فقال ومع ذلك فقد رد عليهم الأئمة وبينوا ضلالهم حتى أنهم قتلوا بعض دعاةهم كجهم بن صفوان والجعد بن درهم . وبعد أن قتلوا غلوم وصلوا عليهم ودفنوا في مقابر المسلمين ، ولم يجرؤوا عليهم أحكام أهل الردة ، وقال في الرافضة ومع ذلك فلم يكفرهم أحد من العلماء ولا منعوم عن التوارث ولا التناكح وأجرؤوا عليهم أحكام المسلمين ، ويكفي مجرد حكاية ضلاله عن التكلف في رده ، اذ من المعلوم بالضرورة أن هذا الكلام بكلام المجاذيب الذين ينطقون بما لا يعقلون أشبه به من نسبته الى أحد من أهل العلم والله المستعان .

(ثم ذكر) انعقاد الاجماع على أن من أقر بما جاء به الرسول وإن كانت فيه خصلة من الكفر أو الشرك لا يكفر حتى تقام عليه الحجة إلى آخر ما ذكره بما قد بيناه فيما تقدم جوابه وكلام العلماء فيه .

(ثم قال) : في آخر فقد تبين ما للوهابية في تكفيرها المسلمين من البدعة والمخالفة لما جاء كتاب الله وسنة رسوله ولأقوال أئمة الدين والعلماء المجتهدين .

والجواب : أن يقال قد بينا فيما تقدم أن الوهابية لا يكفرون المسلمين ولا يكفرون أيضاً أهل الاهواء مطلقاً إلا بعد بلوغ الحجة على من قام به مكفر من المكفرات وناقض من النواقض ، ولم نكفر إلا من نطق كتاب الله وسنة رسوله بتكفيره وخالف أئمة الدين والعلماء المجتهدين وأجمعت الامة على تكفيره كمن بدل دينه وفعل فعل الجاهلية الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصالحين ويدعونهم مع الله فإن الله كفرهم وأباح دمائهم وأموالهم فلا يهولنك سفسطة هذا العراقي وتمويه هذه العبارة ، فانه أول من خالفها كيف وقد قال فيما مضى من كلامه أن أدلة نصوص الكتاب والسنة ظواهرظنية لا تعارض اليقينية يعنى باليقينيات معقولات الفلاسفة واليونان وانباط فارس وفروخ الجهمية وورثة المجوس والصابئين من المتكلمين الخارجين عن سبيل المؤمنين .

فصل

قال العراقي : الوهابية ونفيها التوسل ذكرنا فيما سبق تكفير الوهابية لمن خالف بدعتها من جميع المسلمين ونسبتها اياهم الى الشرك الاكبر ، وقد آن لنا أن نذكرها هنا ما اتخذته ذريعة لتكفيرهم من الأمور فمنها الاستغاثة بالانبياء والاولياء والتوسل بهم الى الله تعالى وزيارتهم قبورهم فهي قد نفت ذلك وحرمته وشددت التكبير على المستغيثين والمتوسلين والزائرين فكفرتهم وعدتهم مشركين كعباد الأوثان بل جعلتهم أسوأ حالا منهم حيث قالت إن

المشركين السابقين كانوا مشركين في الألوهية فقط ، وأما مشركوا المسلمين
تعنى بهم من خالفها منهم فقد أشركوا في الألوهية والربوبية ، وقالت أيضاً ان
الكفار في زمن رسول الله ﷺ لا يشركون دائماً بل تارة يشركون وتارة
يوحيدون الله ويتركون دعاء الانبياء والصالحين ، وذلك أنهم اذا كانوا في السراء
دعواهم واعتقدوا بهم واذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا لله الدين
وعرفوا أن الانبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعاً .

والجواب على سبيل النقض - وسيأتى الجواب على ما يجيب به عما قالت
الوهابية - أن نقول : أما الاستغاثة بالانبياء والاولياء فهي من الشرك الاكبر
لأن الاستغاثة طلب الغوث ، ومن طلب من ميت أو غائب ما لا يقدر عليه
الا الله كان مشركاً لأن الاستغاثة من أنواع العبادة فصرفها لغيره شرك ، قال
شيخ الاسلام ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب كما ذكره
السائل ويستغيث به عند المصائب ياسيدى فلان كأنه يطلب منه ازالة ضره
أو جلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم ،
ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد ﷺ ، وأعلم الناس بقدره
وحقه أصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك في مغيبه ولا بعد مماته الى آخر
كلامه رحمه الله تعالى ، وأما التوسل بهم الى الله كأن يسأل الله تعالى بجاههم
أو بجرمتهم ، فهذا ليس بشرك بل هو من البدع المحرمة والذرائع المفضية الى
ما هو أكبر من ذلك ، وأما زيارة قبورهم على الوجه الشرعى فلا مانع منه
ونسبته الى الوهابية كذب عليهم ، وأما مع شد الرحل فبدعة محرمة ، فان
تضمنت زيارتهم دعاءهم والاستغاثة بهم والاتجاه اليهم فهو الشرك الاكبر
المخرج عن الملة ، وأدلة ذلك الآيات التي ذكرها فيما يأتى :

وأما كون مشركي أهل هذه الازمان أسوأ حالا من مشركي الجاهلية فنعم
لأن الكفار الاولين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية فيقرون أن الله هو الخالق
الرازق المحي المميت المدبر النافع الضار الى غير ذلك مما ذكره الله عنهم ولم
يدخلهم ذلك في الاسلام ، وانما كان شركهم في الألوهية ، فان الاله هو الذي

تأله القلوب حجة واجلالاً وتعظيماً ، ومن أنواع ذلك الدعاء والخوف والرجاء
والحب والتعظيم والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والتوكل والالتجاء
والرغبة والرغبة والخضوع والخشوع والابانة الى غير ذلك من أنواع العبادة
وهذه حال عباد القبور في هذه الازمان .

وأما كون الكفار في زمن رسول الله ﷺ لا يشركون دائماً بل تارة
يشركون وتارة يوحدون ويتركون دعاء الانبياء والصالحين وذلك أنهم اذا
كانوا في السراء دعوهم واعتقدوا بهم واذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم
وأخلصوا لله الدين وعرفوا أن الانبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعاً -
فهذا ليس هو قول الوهاية بل هو نص كتاب الله تعالى ، قال تعالى : (فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون »
ليكفروا بما آتيناهم وليستعوا فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الآيات ،
وأما مشركوا أهل هذه الأزمان فانه لا يشتد شركهم إلا اذا وقعت بهم الشدائد
فانهم ينسبون الله ولا يدعون إلا معبودهم ، فشركهم دائم في الرخاء والشدّة ،
وهذا أمر معلوم مشاهد لا ينكره الا مكابر في الحسيات مباحث في الضروريات .
(قال العرقى) حلت الوهاية جميع الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين
على الموحدين من أمة محمد ﷺ وتمسكت بها في تكفيرهم منها قوله تعالى :
(فلا تدعوا مع الله أحدا) ، وقوله تعالى : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون » واذا حشر الناس
كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) ، وقوله تعالى : (ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين) ، وقوله تعالى :
(والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير » ان تدعوهم لا يسمعوا
دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك
مثل خبير) ، وقوله : (ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذنين) ،
وقوله تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء
إلا كباطط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين

إلا في ضلال) ، وقوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ■ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) إلى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين ، فزعم ابن عبد الوهاب أن كل من استغاث بالنبي ﷺ ، وتوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداهم أو سأله الشفاعة أو زار قبره يكون في عداد هؤلاء المشركين داخلا في عموم هذه الآيات وشبهته في ذلك أن هذه الآيات وإن كانت نازلة في المشركين إلا أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، انتهى .

فكل ما ذكره عن الوهاية حق وبه نقول إلا ما كان من لفظ التوسل أو زيارة القبور فقد تقدم في الفصل الأول الجواب عن ذلك وأما لا نكفر بهما ، ثم انظر ماذا يجيب به من المخركة الساجدة المارجة الساذجة . قال والجواب أنا لا نسكر أن العبرة هي لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، ولكن نقول إن هذه الآيات لا تشمل من زعمت الوهاية أنها شاملة لهم لما أنه ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شيء عند المتوسلين والمستغِيثين ، فإن الدعاء يأتي لمعان شتى كما سنذكره قريبا وهو في هذه الآيات كلها بمعنى العبادة ، والمسلمون لا يعبدون إلا الله تعالى وليس فيهم من اتخذ الأنبياء والأولياء آلهة وجعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الآيات ، ولا اعتقدوا أنهم يستحقون العبادة ، ولا أنهم يخلقون شيئا ، ولا أنهم يملكون ضرا ولا نفعا ، بل إنما اعتقدوا أنهم عبيد الله مخلوقون له ، ما قصدوا بزيارة قبورهم والتوسل بهم إلى الله تعالى إلا التبرك بهم لكونهم أحياء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم فببركتهم يرحم عباده .

قالت الوهاية : إن اعتذاركم هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الاصنام فقد قال تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فالمشركون ما اعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيئا ، بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن

الله (وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)
فإنما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم (ليقربونا إلى الله زلفى) قالت :
وهكذا المتوسلون بالأنبياء والصالحين يقولون ما هو بمعنى قول المشركين
ليقربونا إلى الله زلفى .

قال العراقي : والجواب من وجوه : الاول أن المشركين جعلوا الاصنام
آلهة والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً واحداً فعندهم أن الانبياء أنبياء والاولياء
أولياء ليس إلا فلم يتخننهم آلهة مثل المشركين .

(والجواب عن أجوبة هذا الملحد) أن نقول ما ذكره العراقي ليس هو
حاصل ما تجيب به الوهاية من أشرك بالله غيره واتخذ معه آلهة من دونه ، فإن
عندهم من الأدلة والاجوبة ما لم تحط به علماً ، ولا تقدر على نقضه وإبطاله ،
كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) فأنهم هم
أتباع رسول الله على الحقيقة لا على الدعوى والانتساب ، ولكننا في هذا
المقام إنما نجيب على أجوبته بما يبين بطلانها ، ويهدم أركانها ، ويهدى بنيانها ،
وإن كان ما أجابهم به أو هن من خيط العنكبوت فنقول : قد كان من المعلوم
عند من له معرفة بالعلوم الشرعية أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ
منهم من يعبد الاصنام المصورة على صور الصالحين وذو سواع ويعوث
ويعوق ونسر ، ومنهم من يعبد الملائكة والانبيا والصالحين ويجعلونهم وسائط
بينهم وبين الله ، ويقولون نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم ، ومنهم من
يعتقد في الاشجار والاحجار رجون بركتها وغير ذلك ومع ذلك كانوا يعلمون
أن الانبياء أنبياء ، وأن الاولياء اولياء ، وأن الاشجار كالعزى شجرة ، وأن مناة
أكمة يذبحون لآلهتهم عندها رجون بركتها ، وكذلك اللات يعلمون انها صخرة
كان يلت عليها السوق للحاج فبعث محمد ﷺ يحدد لهم دين أبيهم ابراهيم ويخبرهم
أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ، ولا
نبي مرسل فضلاً عن غيرهما ، وهؤلاء المشركون لم يعتقدوا في آلهتهم التي يدعونها

من دون الله من الأصنام ، والملائكة ، والانبياء والاولياء والصالحين ، انهم
يستحقون العبادة ولا أنهم يخلقون شيئاً ، ولا انهم يملكون ضراً ولا نفعاً ،
ويعلمون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ،
ولكن لم يدخلهم ذلك في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ من اخلاص
العبادة لله وحده لا شريك له ، وأن يكون الدين كله لله ، والتذركه لله ، والذبح
كله لله والاستغاثة كلها بالله ، والاتجاه اليه وحده ، والتوكل عليه ، والخوف
والرجاء منه ، والدعاء كله لله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله . فاذا عرفت أن
اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة والانبياء
والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بهم ، ويتبركون بهم لكونهم أحياء
الله المقربين الذين اصطفاهم الله واجتباهم ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .
عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل . وأبى عن الاقرار به المشركون ،
وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ؛ فان الإله هو الذي تأله القلوب ،
ويقصد لأجل هذه الامور سواء ، كان ملكاً ، أو نبياً ، أو ولياً ، أو شجرة ،
أو قبراً ، أو جنياً . لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فمن صرف
من هذه العبادة المتقدم ذكرها شيئاً لغير الله فقد اتخذها إلهاً لأنه صرف خالص
حق الله لغيره ، وأشركه معه في عبادته ، ومن أشرك بالله أحداً في عبادته كان
مشركاً سواء كان المدعو المستغاث به ملكاً أو نبياً ، أو ولياً ، أو صنماً ، فقول
هذا العراقي إن المشركين جعلوا الاصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً
واحداً ، جهل عظيم وغباوة مفرطة ، فان المشركين عبدوا الملائكة ، وعيسى ،
واللات ، وهو قبر رجل صالح مع الاصنام المصورة وصرفوا لهم خالص حق
الله كما تقدم ذكره . وأيضاً فان رسول الله ﷺ لما قال لهم « قولوا لا إله الا الله ،
قالوا : — اجعل الآلهة إله واحد ان هذا شيء عجاب — فالكفار الجاهل
يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعلق والكفر
بما يعبد من دونه الله والبراءة منه ، وأن يكون الدين كله لله ، فاذا صرف
المشركون لمن يعتقدون فيه شيئاً من هذه العبادة كانوا بذلك مشركين ، فكذلك

من يزعم انه مسلم ويتلفظ بالشهادتين ويقر بسائر الأركان إذا صرف من هذه العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً ، ولا ينفعه اعتقاده أن الله إله واحد وهو يعبد معه غيره ، ولا تنفعه معرفته أن الأنبياء أنبياء ، والأولياء أولياء وهو يشركهم في عبادة الله .

فصل

قال العراقي : الثاني أن المشركين اعتقدوا أن تلك الآلهة تستحق العبادة بخلاف المسلمين فانهم لم يعتقدوا أن أحداً من المتوسلين بهم مستحق لأقل عبادة وليس عندهم المستحق للعبادة إلا الله وحده .

والجواب أن نقول : هذه العبادة التي صرفها المشركون الأولون لآلهتهم هي ما يفعله المشركون من عباد القبور في هذه الأزمان سواء بسواء وأن زعموا أن هذا توسل ، فالعبرة بالحقائق لا بالاسماء ، فإن المشركين الأولين ما زعموا أن آلهتهم التي عبدوها من دون الله من الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والأرض ، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والإيجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ، ولا أنهم مستحقون للعبادة ، وإنما كانوا يدعونهم ويلتجئون إليهم ، ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفى .

ويقال لهذا الملحد أيضاً لا يخلو معتقد هذه الأفعال عن أحد ثلاثة أمور ، أما أن يعتقد أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله ، وأما أن لا يعتقد ذلك لكن ليقربوهم إلى الله زلفى ، وأما أن لا تكون هذه الأفعال عبادة ، فإن كان أراد أن هذه ليست بعبادة فقد كابر العقل والشرع وباهت في الضروريات وإن كان أراد بها ليقربوهم إلى الله زلفى مع اعتقادهم أن الله هو النافع الضار المدبر لجميع الأمور ، وأنه لا خالق إلا الله فهذا هو شرك الجاهلية ، وإن أراد

أنهم مستحقون للعبادة من دون الله أو مع الله كان هذا أعظم من شرك الجاهلية فان هذا شرك في الربوبية والالوهية معاً .

فاذا عرفت ان هذا الشرك الذى يسميه هؤلاء توسلاً وتشفعاً بجاه النبی أو بحقه وغير ذلك من الالفاظ ، أو بجاه غیر النبی كالملائكة والأولياء والصالحين وهو ان يعتقد أحدهم في غیر الله انه بذاته يقدر على جلب منفعة لمن دعاه أو استغاث به ، أو دفع مضرة ، أو أن يحصل بركته وشفاعته كان هذا هو العبادة التى لا يستحقها الا الله فان العبادة التى لا يستحقها إلا الله مع الإقرار بتوحيد الربوبية هى أفعال العبد الصادرة منه كاللجوء ، والحب ، والخوف ، والرجاء ، والخضوع ، والخشوع ، والابانة والتوكل والمحبة والتعظيم ، والاستغاثة والدعاء والالتجاء ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والذبح والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة التى اختص بها دون من سواه وهو المستحق لها دون من عداه ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير فيما يدعوه ويستغيث به ، أو أنه مستحق لذلك أو غير مستحق ، أو لم يعتقد ذلك وان فر من تسمية فعله شركاً وتألهاً وعبادة . فانه من المعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير اسمائها فلا تزول هذه المفاصد بتغير اسمائها كتسمية عبادة غير الله توسلاً وتشفعاً ، أو تبركاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً ، فان الاعتبار بحقائق الأمور لا بالأسماء والاصطلاحات ، والحق كم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدماً لا مع الأسماء . فقولہ عن مشرکی هذا الزمان أنهم لا يعتقدون أن أحداً منهم بتوسله يزعم أنهم مستحقون لأقل عبادة تمويه وسفسطة من هذا العراقى لأن المستحق للعبادة هو الذى تأله القلوب محبة واجلالاً وتعظيماً فمن تأله غير الله فقد اعتقد أنه مستحق للعبادة بتأله إياه بأنواع هذه العبادة شاء أم أبى ، ولا ينفعه اقراره أن المستحق للعبادة هو الله وحده وهو يشرك به غيره .

(وأما قوله) الثالث أن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والمسلمون ما عبدوا الانبياء والصالحين فى توسلهم إلى الله تعالى .

(فالجواب) أن يقال : إن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل الصادر منهم كاللجوء والحب والخوف والتعظيم والرجاء والاستغاثة والاستعاذة والذبح لهم والنذر والاتجاه إليهم فصرفوا لهم هذه العبادة ليشفعوا لهم عند الله وليقربوهم إلى الله زلفى وهكذا حال مشركى هذه الازمان انما عبدوهم بالفعل والاعتقاد فيهم وتوسلوا بهم وقصدوهم لأجل التبرك بهم والاستشفاع بجاههم لا لأجل أنهم مستحقون للعبادة ولا أنهم مستقلون بالخلق والايجاد والنفع والضرر وأيضاً فإن مجرد ارتكاب فعل أو قول أو اعتقاد لغير الله بما يعد من العبادة من الدعاء والذبح وما تقدم ذكره موقع فى الاشراك سواء وجد معه اعتقاد ألوهية غير الله أم لا .

(وأما قوله) الرابع أن المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب الى الله تعالى كما حكى الله وأما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالانبياء وغيرهم التقرب الى الله تعالى لما أن التقرب اليه لا يكون الا بالعبادة ولذلك قال الله حكاية عن المشركين (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) بل المسلمون قصدوا التبرك والاستشفاع بهم والتبرك بالشئ غير التقرب به كما لا يخفى .

(فالجواب) أن نقول : وهكذا حال مشركى العرب مع أوثانهم انما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستغاثة بها والاعتماد عليها فى حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك فالتبرك بالصالحين أو بقبورهم كالتبرك باللات وبالشجار والاحجار كالعزى ومناة من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد فى قبر أو صاحبه أو حجر أو شجر فقد ضاع عبادة هذه الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك على أن الواقع من هؤلاء المشركين فى هذه الازمان مع معبودهم أعظم مما وقع من أولئك فمن دعا غير الله واستغاث به ولجأ اليه وصرف له شيئاً من خالص حق الله كان هذا الفعل منه بهذا القصد شركاً بدليل ما رواه الترمذى وصححه عن أبى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون

بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فررنا بسدرة قتلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ (الله أكبر انها السنن ، قلم والذى نفسى يده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون) لتبعن سنن من كان قبلكم ، فقولوه وينوطون بها أسلحتهم أى يعقلونها للبركة فى هذا بيان ان عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وهذه الأمور الثلاثة عبت الاشجار ونحوها فظنوا أن هذا الامر محبوب عند الله فقصدوا التقرب به فأقسم ﷺ ان طلبتهم كطلبة بنى اسرائيل بجامع ان كلا طلبه ان يجعل له ما يأله ويعبده من دون الله وان اختلف اللفظان فالمعنى واحد فغير الاسم لا يغير الحقيقة فى هذا الحديث دلالة واضحة على أن طلبتهم من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط يتبركون بها كطلبة بنى اسرائيل من موسى أن يجعل لهم الها فأقسم ﷺ ان مقالة هؤلاء كقالة أولئك سواء بسواء واذا كان القصد من الشرك بالشئ كالشرك مثلاً هو القصد من التأله به كان الكل عبادة يتقرب بها الى الله فالفرق بين العبادتين لاختلاف اللفظين تحكم بغير دليل فقد انضح عدم الفرق فى هذه القضية فانجلت الشبهة العراقية .

(وأما قوله) الخامس أن المشركين لما كانوا يقصدون أن الله تعالى جسم فى السماء أرادوا بقولهم ليقربونا الى الله زلفى التقرب الحقيقى ويدل عليه تأكيدهم بقولهم زلفى اذ تأكيد الشئ بما ظاهره معناه يدل فى الاكثر على أن المقصود به هو المعنى الحقيقى دون المجازى فاذا قلنا قتله قتلاً تبادر القتل الحقيقى الى الفهم لا الضرب الشديد بخلاف ما لو قلنا قتله فقط فانه قد يراد به الضرب الشديد ، وأما المسلمون فحيث لم يقصدوا أن الله جسم فى السماء بعد منهم أن يطلبوا التقرب الحقيقى اليه بالتوسل فلا ينطبق عليهم حكم الآية .

نعم ان الوهاية لما اعتقدت أن الله تعالى جسم امستوى على عرشه فى السماء لم تجد للتبرك الذى قصده المسلمون بتوسلهم معنى غير التقرب الذى يكون الى الاجسام ولذلك جعلت هذه الآية منطبقة عليهم .

(فالجواب) أن يقال : قد كان من المعلوم أن مشركى الجاهلية لا يعرفون من لفظ الجسم ما أحدثه هؤلاء المتأخرون من أنه مركب اما من المادة والصورة أو من الجواهر المنفردة أو ما تركب من أجزاء متفرقة ولا كانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الاعراض والاعراض والابعاض والحيز والجهة وإنما يعرف هذا عن ورثة المجوس والمشركون وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان ، وأما العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فإن الجسم معناه فى لغتهم البدن الكثيف الذى لا يسمى فى اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا للماء ، وإذا كان ذلك كذلك كان هذا المعنى منفياً عن الله تعالى عقلاً وسمعاً ، وكذلك ما يعنى هؤلاء الملاحدة بالجسم أنه مركب من المادة والصورة والهيولى أو من الجواهر الفردة أو من الأجزاء المتفرقة - منى عن الله تعالى باتفاق من أثبتته ومن نفاه من العقلاء حتى فى الممكنات . فإذا تمهد هذا فالكفار الجهال كانوا أصح عقولاً وأسلم فطراً من ورثة المتفلسفة والصابئين وأنباط فارس والروم فإنهم كانوا يعلمون بفطرتهم التى فطروا عليها أن الله الذى خلقهم وأوجدهم فوق السماء كما قال ﷻ لحصين الخزاعى : « كم كنت تعبد ؟ » قال : سبعة . ستة فى الأرض وواحد فى السماء . قال : « من كنت تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » ، قال : الذى فى السماء . وكانوا إذا لجئوا الى الله ودعوه رفعوا أبصارهم وأيديهم الى السماء . ومن أشعارهم قول أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى أنشد للنبي ﷺ فاستحسنه ، وقال « آمن شعره وكفن قلبه » ، قال :

مجدوا الله فهو للمجد أهل	ربنا فى السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذى سبق لنا	سوسوى فوق السماء سريراً
شرجعاً ما يناله بصر الع	ين ترى دونه الملائك صوراً

وقول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حين قال :

شهدت بأن وعد الله حق	وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا

واذا كان العرب يعرفون بفطرتهم ان الله فوق السماء ولا كانوا يعرفون ما أحدثه هؤلاء من لفظ الجسم على اصطلاحهم الحادث الملعون واختلافهم في ذلك كان تفرعاً باطلاً على تأصيل باطل مخترع ، وكان من المعلوم ان المشركين انما اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم انما هو بطلب القرية والمنزلة عند الله بشفاعته من يعبدونه والقربى هي المنزلة ، فكان من المعلوم انهم ما طلبوا منزلة مجازية لا حقيقة لها في الخارج .

قال البغوي رحمه الله في تفسير هذه الآية (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعنى الاصنام (ما نعبدهم) اى قالوا ما نعبدكم (إلا ليقربونا الى الله زلنى) وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس . قال قتادة : وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم : من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والأرض ؟ قالوا : الله ، فيقال لهم : فما معنى عبادتكم الأوثان ؟ قالوا : ليقربونا الى الله زلنى . اى قربى وهو اسم أقيم مقام المصدر كأنه قال : إلا ليقربونا الى الله تقرباً ويشفعوا لنا عند الله ، وبهذا يندفع توهم هذا العراقي ان التقرب بالمعنى المجازى لا على المعنى الحقيقى لأنه لا يعتقد ان الله على عرشه بائن من خلقه ، فلذلك ظن المشركين كانوا يعتقدون ان الله فى السماء على عرشه فوق خلقه ، واذا كان على عرشه فوق خلقه كان جسماً ، وقد بينا فيما تقدم بطلان ما توهمه من اللوازم التى أحدثوها ما أنزل الله بها من سلطان (ان هى إلا اسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) .

واذا تبين لك ما قدمناه كان حكم الآية منطبقاً على هؤلاء المشركين الذى يزعم هذا الملاحد انهم مسلمون ، وايضاً فان هذا الملاحد ومن نحائمه من المشركين حيث أنكروا التقرب الحقيقى ، فزعموا انه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ولا يشار اليه بالاصابع الى فوق إشارة حسية كما اشار اليه أعلم الخلق به ولا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ولا تعرج الملائكة والروح اليه ولا رفع المسيح اليه ولا عرج برَسُولِ اللَّهِ ﷺ اليه حقيقة ولا يتقرب اليه شيء ولا يقرب منه أحد لأنه يلزم على هذا عندهم أن يكون جسماً ، وقد علم

بالاضطرار أن الله لا سمي له ولا كفو له ولا مثل له ، فانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فلا ننفي عن الله ما أثبتته لنفسه لتسمية الملاحدة اعداء الله ورسوله للبوصوف بها جسماً وهؤلاء الضلال قد جمعوا بين الشرك في الآلهية وبين تعطيل الرب عن صفات كماله ونعوت جلاله فكان المشركون الأولون أخف شركاً منهم لأنهم ما أنكروا علو الله على عرشه ولا عطلوه من صفات كماله .

فصل

(قال الملحد) ويجدر بنا ان نبين هنا انواع الشرك فنقول منها ما يقال له شرك الاستقلال وهو اثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعض وهو تركيب الإله من عدة آلهة كشرك النصارى ، ومنها شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب الى الله زلفى كشرك الجاهلية والشرك الذى جعلته الوهاية أصلاً لشرك المستغيث والمتوسل وبنت عليه قاعدتها هو شرك التقريب الذى دانت به الجاهلية .

(والجواب) أن نقول هذا التقسيم بهذا اللفظ لم أجده فى شيء من كتب أهل الإسلام الذين هم الأسوة وبهم القدوة ولم ينسبه الى عالم من علماء الإسلام وانما هو تنويع عراقى وفيه من التقصير والقصور ما لا يخفى واذا كان هذا مبلغ علمه ومحصول ما لديه تعين ان نذكر من أقوال أهل العلم ما يبين تخليط هذا العراقى وتخييطه حيث اعتقد ان ما يفعله المشركون فى هذه الأزمان ليس من الشرك فنقول اعلم ان ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة انواع شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفى ، والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً) وقال المسيح (يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد سحرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) . وهو أربعة أنواع شرك الدعوة والدليل على ذلك قوله تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله

مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) . النوع الثاني : شرك النية والارادة والقصد والدليل ، قوله تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) . النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : (اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وتفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية لادعائهم اياهم كما فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما سأله قال لسنا نعبدكم فذكر أن عبادتهم طاعتهم فى المعصية . النوع الرابع : شرك المحبة والدليل ، قوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) .

(وأما النوع الثانى) فهو الشرك الاصغر وهو الرياء والدليل ، قوله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو أنواع .

(والنوع الثالث) الشرك الخفى والدليل عليه قوله ﷺ : « الشرك فى هذه الأمة أخفى من ديب النملة السوداء على صفاة سوداء فى ظلمة الليل ، وكفارته قوله ﷺ : « اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذى لا أعلم » .

(وقال ابن القيم) رحمه الله تعالى : الشرك شركان . شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك فى عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله والشرك الأول نوعان أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون اذ قال وما رب العالمين ؟ وقال تعالى مخبراً عنه انه قال : (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الاسباب * أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) فالشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك

لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ولكن عطل حق التوحيد .

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد . ومن هذا الشرك شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ولا ها هنا شيان بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه ، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوماً أصلاً بل لم يزل ولا يزال . والحوادث بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها يسمونها العقول والنفوس . ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسماً ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه إذ كمال الذات باسمائها وصفاتها .

فصل

((النوع الثاني)) شرك من جعل معه الها آخر ، ولم يعطل أسمائه وربوبيته وصفاته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة فجعلوا المسيح الها والله الها وأمه الها ، ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور ، وحوادث الشر الى الظلمة ، قلت فانظر الى كلام شمس الدين بن القيم والى كلام هذا الملحد حيث قال : منها شرك الاستقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس ومنها شرك التبعية وهو تركيب الإله من عدة الهة كشرك النصارى وبهذا تعرف أنه ما عرف أنواع الشرك ولا أقسامه .

ثم قال ابن القيم ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذى يخلق أفعال نفسه وانها تحدث بدون مشيئة الله وتقديره وارادته ولهذا كانوا من أشباه المجوس ، ومن هذا شرك الذى حاج إبراهيم فى ربه (اذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال أنا أحيى وأميت) فهذا جعل نفسه مثلاً لله يحيى ويميت بزعمه

كما يحيي الله ويميت ، فالزمه ابراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته ، أن طرد قولك أن تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها ، وليس هذا انتقالا كما زعمه بعض أهل الجدل بل الزاما على طرد الدليل ان كان حقا ، ومن هذا شرك كثير من يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ، ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الإله على الحقيقة ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ومنهم من يزعم انه اله من جملة الآلهة ، وانه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه والانتقطاع اليه اقبل عليه واعتنى به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الادنى يقربه الى المعبود الذي فوقه والفوقاني يقربه الى من فوقه حتى يقربه تلك الالهة الى الله سبحانه ، فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل .

ثم ذكر الشرك في العبادة وأنواعه ، وهو الشرك الخفي ، وذكر أن منه ما ينقسم الى كبير وأكبر وليس منه شيء مغفور ، كالشرك بالله في المحبة .

ثم ذكر الشرك بالله سبحانه في الاقوال والافعال والارادات والنيات وان منه ما هو أكبر وأصغر ، تركنا ذكر ذلك طلبا للاختصار فن أراد الوقوف عليه فهو في الجواب الكافي والدواء الشافي ، وبما ذكرناه يتبين لكل منصف أن هذا العراقي مزجى البضاعة من العلوم النبوية والعقائد السلفية ، وانه لا درية ولا روية .

وحيث انه ما عرف من الشرك الا ما ذكره من هذه الأنواع التي خبط فيها خبط عشواء صار ما عداه عنده ليس من الشرك ، وان ما عداها من الأمور الشركية - المخرجة من الملة التي هي أعظم وأدهى - لا تخرج من الملة لكونه قد تلبس بها وتضمخ بوضرها ، فذلك كان يسمى أهلها هم المسلمون عنده .

فمن تلك الأمور التي ما ذكرها ولا عرف أنها من الكفر المخرج من الملة الشرك الذي يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله كتعطيله سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ، ومنها الشرك بالله في المحبة والتعظيم بأن يجب مخلوقا كما

يحب الله ، فهذا من الشرك الاكبر الذى لا يغفره الله وغير ذلك من الأمور
الشركية التى تقدم ذكرها ، فاذا عرفت ذلك تبين لك ضلال هؤلاء الملاحدة
الذين أشربت قلوبهم عداوة أهل التوحيد ولقبوهم بالالقباب الشنيعة ورموهم
بالعظائم التى لا ترام ولا تطاق وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

(قال العراقى) والأمر الذى حمل الجاهلية على شركها هذا هو تسويل
الشیطان لها أن عباده غير الله تعالى على ماهى عليه من غاية الضعف والعجز وتركها
التقرب اليه بعبارة من هو أعلى منها عنده وأشرف وأقوى ، كنعو الملائكة
انما هو سوء أدب، ولكن لما رأت غيبة من عبدته عنها دائماً أو بعض الأوقات
صنعت الأصنام امثلة لما غاب عنها من معبوداتها فعبدها ، اه .

والجواب أن نقول : ليس الامر كما زعمت ، ولا ما اليه ذهبت ، وانما
الامر الذى حمل الجاهلية على شركها هو الغلو فى الصالحين كما قال تعالى : (يا أهل
الكتاب لا تغلوا فى دينكم) الآية ، والغلو هو الافراط فى التعظيم بالقول والاعتقاد ،
أى لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التى أنزله الله فتزله المنزلة التى لا تنبغى الا لله .
والخطاب وان كان لاهل الكتاب فانه عام يتناول جميع الامة تحذيراً لهم
أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى فى عيسى واليهود فى العزير كما قال تعالى :
(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا
كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون) وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى :
(وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً)
صارت الاوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة
الجندل وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبنى غطيف
بالجرف عند سبا ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لخير لآل ذى
الكلاع . (منه) أسماء رجال صالحين فى قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان

الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها أنصبا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبت .

قال ابن جرير رحمه الله حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهرا بن سفيان عن موسى بن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم : لو صورنا صورهم كان أشوق لنا الى العبادة فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم ، انتهى .

فالشیطان هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها فصار هو معبودهم في الحقيقة كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وإن كان القصد بها حسنا فان الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والافراط في محبتهم كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله ، وفي رواية أنهم قالوا ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله أى يرجون شفاعته أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم وسموها بأسمائهم ومن هنا يعلم أن اتخاذ الشفعاء ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شرك بالله قال ابن القيم رحمه الله وما زال الشيطان يوحى الى عباد القبور ويلقى أن البناء والعكوف عليها من حجة أهل القبور من الأنبياء والصالحين وأن الدعاء عندها مستجلب ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء بها والاقسام على الله بها فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه . فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعته من دون الله واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده ، فاذا تقرر هذا عندهم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذهم عيداً ومنسكاً ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم وكل هذا

فما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وأن لا يعبد إلا الله .

فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم ، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وغضب المشركون واشتأزت قلوبهم كما قال تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، وبأبي الله ذلك (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه إلا المتقون) ، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

فاذا عرفت ما تقدم من أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين لا كما يزعمه هذا الضال تبين لك أن حال مشركى الجاهلية منطبق على حال هؤلاء المشركين في هذه الأزمان والواقع شاهد بذلك كما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى .

ثم قال العراقي : اذا تحققت هذا اتضح لك أن حال مشركى الجاهلية لا ينطبق بوجه من الوجوه على المسلمين المتوسلين إلى الله بالانبياء الصالحين . فأقول قد تقدم جواب هذا .

(وقوله) فأولئك اتخذوا الاصنام آلهة والإله معناه المستحق للعبادة فهم اعتقدوا استحقات الاصنام للعبادة ، واعتقدوا أولاً أنها تضر وتنفع فعبدوها . فأقول : أن أولئك اتخذوا الاصنام والملائكة والانبياء والاولياء والصالحين آلهة يعبدونها من دون الله ، والإله معناه الذى تأله القلوب بالمحبة والخضوع والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرغبة والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة الباطنة والظاهرة ، فهو إله بمعنى مألوه أى معبود ، وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الإله

قال الجوهري أله بالفتح الالهة أى عبد عبادة ، قال : ومنه قولنا الله وأصله الاله على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه بمعنى معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به . قال : والتأليه التعبد ، والتأله التنسك والتعبد . قال روبة :

سبحن واسترجعن من تأله انتهى . وقال في القاموس : أله ، إلهة ، وألوهة عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه على عشرين قولاً يعنى في لفظ الجلالة . قال : وأصله إله بمعنى مألوه ، وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه . قال : والتأله التنسك والتعبد ، انتهى . وجميع العلماء من المفسرين وشرح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بأنه المعبود ، فإذا كان هذا هو معنى الاله في اللغة والشرع فهو المستحق للعبادة المتقدم ذكرها دون من سواه ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك ذلك الغير في عبادة الله . وأما كون المشركين اعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر فغير مسلم ، فانهم قد اعترفوا أن الله هو النافع الضار ، وأنه المستحق للعبادة ، ولكنهم ما أرادوا بمن عبدوه الا الجاه والشفاعة وليقربوهم الى الله زلفى كما هو قول المشركين في هذه الازمان سواء بسواء . وقد قال ﷺ « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانية لكان في هذه الامة من يفعله » وفي لفظ « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فن »

(وقوله) فاعتقادهم هذا وعبادتهم اياها أوقعتهم في الشرك ، فلما أقيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعاً ولا ضرراً (قالوا ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) .

فأقول : لما أقام الله عليهم الحجة باقرارهم أن الله هو المحي المميت المدبر لجميع الامور ، وأن الله هو النافع الضار ، وأن آلهتهم لا تملك لهم نفعاً ولا ضرراً ، ولا حياة ، ولا نشوراً واعترفوا بذلك ، قال الله تعالى (أفلا تتقون) أى تتقون الشرك في العبادة ، فان الفاعل لهذه الاشياء هو الذى يستحق العبادة دون من سواه « فقول الكفار (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى) كقول مشركي هذه الازمان لسننا نعبد الا الله ولكن ما قصدنا بزيارة قبورهم

إلا التوسل بهم إلى الله تعالى والتبرك بهم لكونهم أحياء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم .

وقوله : فكيف يجوز للوهاية أن تجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين .

فأقول : ما جعلت الوهاية المؤمنين الموحدين مثل المشركين ، وإنما جعلت من فعل فعل المشركين مشركا لكونه حذا حذو أولئك في صرف خالص حق الله تعالى ، ويزعم أنه ما أراد إلا الجاه والشفاعة منهم لأنهم مقربون عند الله . (وقوله) اذ لا شك أن المشركين إنما كفروا بسبب عبادتهم تماثيل الانبياء والملائكة والأولياء التي صوروها على صورهم . وسجدوا لها وذبحوا ، وسبب اعتقادهم في الملائكة والأنبياء والأولياء أنهم آلهة مع الله يضرون وينفعون بذواتهم .

فأقول : وهؤلاء المشركون في هذه الازمان إنما كفروا بسبب غلوهم في الانبياء والأولياء والصالحين ، والعكوف على قبورهم . واستغاثتهم بهم ، والالتجاء إليهم ، ودعائهم ، والذبح لهم . والنذر لهم ، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي كانوا يفعلونها في هذه الازمان عند ضرائح الأولياء والصالحين ، فان من صرف من هذه العبادة شيئا لغير الله كان مشركا ، وان اعتقد أن من يدعوه ويستغيث به ، ويرجوه ، ويذبح له ، ويلجأ إليه ، ويعلق آماله به ، لا يضرب ولا ينفع وأنه ليس إله ، ولا يستحق العبادة .

وقوله : ولذلك احتج الله تعالى على إبطال قولهم وضرب الامثال للرد على معتقدهم في كثير من الآيات بأن الاله المستحق للعبادة يجب أن يكون قادراً على كشف الضر وإيصال النفع لمن عبده ، وبأن ما عبدوه من جملة المحدثات المنافية للربوبية .

(فأقول وهذا هو الحق) ولكنه مع كونه منافياً للربوبية فهو مناف للآلوهية فكيف اذا عرفت أن هذا مناف للربوبية لا شيء صرفك عن كونه منافيا لتوحيد الالهة لأن توحيد الربوبية هو الاقرار والاعتراف بأن الله هو الخالق

الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، وأنه النافع الضار ، وأنه رب كل شيء ومليكه ، وأنه المتفرد بالايجاد والاعداد الى غير ذلك من أفعال الرب .
وأما توحيد الإلهية فهو أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالدعاء ، والخوف والرجاء ، والحب والتعظيم ، والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة ، والتوكل والذبح ، والنذر والرغبة ، والرغبة والخضوع ، والخشوع والاتجاه ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي صرفها المشركون الأولون والآخرون لغير الله .

(وأما قوله) : «وأما المستغيث والمتوسل فهو براء من هذه العبادة وهذا الاعتقاد .

فأقول : المستغيث والمتوسل على لغة هؤلاء المشركين ليس هو بريئاً من هذه العبادة وهذا الاعتقاد لأن الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون ، قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ومن المعلوم بالضرورة أن الله تعالى هو الذي يزيل الشدات ، ويغيث اللهفات ويفرج الكربات ، فمن زعم أن الاستغاثة ليست من العبادات فهو مكابر للحسيات ، مباحث في الضروريات . وفي الدعاء المشهور عن النبي ﷺ أنه قال في دعائه « اللهم أنت المستعان ، وبك المستغاث » واليك المشتكى ، الحديث . ودعاء المسلمين يا غياث المستغيثين ، وقد قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) فعدم ادخالها في جملة العبادة هو التحكم والمكابرة من غير دليل عقلي ، ولا نص شرعي .

وقوله : اذ الآيات التي استدلت بها الوهاية انما نزلت جميعاً في الكفار الذين عبدوا غير الله ، وان قصدوا بعبادتهم ذلك الغير التقرب اليه تعالى ، وفي الذين اعتقدوا أن مع الله الهاً آخر ، وأن له ولداً وزوجة ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(فأقول) قد تقدم الجواب عن هذا وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(وقوله) وليس في الآيات النازلة في الكفار دلالة على كون الاستغائة بنبي أو ولي مع الإيمان بالله تعالى هي عبادة لغير الله .
(فأقول) بل فيها الدلالة الواضحة على أن من صرف لغير الله شيئاً من العبادة التي لا يستحقها إلا الله فهو مشرك ، فان صرفها لغير الله مناف للإيمان بالله تعالى .

فصل

ثم قال العراقي : قالت الوهاية ان الاستغائة من نوع الدعاء ، وقد ورد في الحديث أن الدعاء هو العبادة . فالذي يستغيث بنبي أو ولي فهو انما يعبد به بتلك الاستغائة ، وحيث ان العبادة لا تصلح الا لله وحده ، وان عبادة غيره شرك كان المستغيث به مشركا .

ثم قال : فالجواب على هذا أن ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور ، فقولنا الله هو الرزاق مثلاً معناه لا رازق سواه وعلى هذا فقولنا عليه الصلاة والسلام « الدعاء هو العبادة » دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء ويؤيده قوله تعالى (قل ما يعبدونكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم) أى ما يصنع بكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان بعبادته ، وكرامته بمعرفته وطاعته والا فلا فضل له على البهائم ، والحج والصلاة والزكاة والصيام والشهادة كلها دعاء وكذلك التلاوة والاذكار والطاعة فانحصرت العبادة في الدعاء اذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث اذ على تقدير كون الاستغائة من نوع الدعاء كما قالته الوهاية لا يلزم أن تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو ظاهر . الى آخر كلامه .

والجواب أن نقول : الاستغائة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون كما تقدم ذكره عن شيخ الاسلام رحمه الله وقال غيره : الفرق بين الاستغائة والدعاء أن الاستغائة لا تكون إلا من المكروب والدعاء أعم من الاستغائة لأنه يكون من المكروب وغير المكروب

فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص فينبهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة فإذا تبين لك أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً وأن كل استغاثة دعاء وقد علمت أن الدعاء هو العبادة بنص رسول الله ﷺ فاعلم أن الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة ، ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما فدعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضرر ولهذا أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه ممن لا يملك ضرراً ولا نفعاً ، كقوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) وقوله (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) الآيات . وقال (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فانك إذا من الظالمين) . قال شيخ الإسلام رحمه الله : فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة . قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) وقال تعالى (قل أرايتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟) بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء الله وتنسون ما تشركون) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (له دعوة الحق) الآية . وأمثال هذا في القرآن في دعاء المسئلة أكثر من أن يحصر ، وهو يتضمن دعاء العبادة لأن السائل أخاص سؤاله الله وذلك من أفضل العبادات ، وكذلك إذا ذكر الله والتألى لكتابه ونحوه طالب من الله في المعنى فيكون داعياً عابداً . فتبين بهذا من قول شيخ الإسلام أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسئلة كما أن دعاء المسئلة متضمن لدعاء العبادة .

وقد قال تعالى عن خليله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً) فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله (الآية فصار الدعاء من أنواع العبادة ، فان قوله (وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً) كقول زكريا (رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً

ولم أكن بدعائك رب شقياً) وقد أمر الله تعالى به في مواضع من كتابه كقوله (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) الى قوله (وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين) وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة فان الداعي يرغب الى المدعو ويخضع له ويتذل ، وضابط هذا أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة فاذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

فاذا ثبت أن الاستغاثة من أنواع الدعاء وأن كل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة وتقرر أن الدعاء نوعان دعاء مسألة ودعاء عبادة وأن كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، تبين لك أن الاستغاثة من أنواع العبادة ، وكيف لا تكون من أنواع العبادة وقد قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وقوله ﷺ في الدعاء المشهور « اللهم أنت المستعان وبك المستغاث واليك المشتكى ، الحديث وقول المسلمين يا غياث المستغيثين فان لم يكن هذا من العبادة فلا ندرى ما العبادة . ولا ما دعاء المسألة المتضمن لدعاء العبادة ، وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فاذا تمهد هذا واتضح فقول هذا الملحد أو ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند عليه وكذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح وعليه الجمهور فقولنا : الله هو الرازق مثلاً معناه لا رازق الخ سواه ، فيقال لهذا الملحد نعم إذا كان الحصر أو القصر حقيقياً فإنه من المعلوم إذا قلنا الله هو الرزاق فعناه حقيقة لا رازق سواه ، وعلى هذا فقول عليه السلام « الدعاء هو العبادة » دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث أن العبادة ليست غير الدعاء الخ .

(فنقول) ليس الأمر كما توهمت وإنما الحصر والقصر في هذا الحديث الدعائي كما يستفاد من ضمير الفصل المقحم بين المبتدأ والخبر والحصر وان كان ادعائياً فهو يدل على أن الدعاء هو معظم العبادة ونحوها وخالصها وأجلها وأشرفها ومثل هذا الحديث الحديث الذي رواه أبو داود في سننه والامام احمد في المسند من

حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال : ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين ، - وفي رواية المسلمين - فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيفترق أهلها ثلاث فرق فرقة يأخذون أذنان البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريرهم خلف ظهورهم يقاتلونهم وأولئك هم الشهداء ، فأخبر في هذا الحديث أن أولئك هم الشهداء وأنهم مخصوصون بالشهادة دون سائر الشهداء كما يستفاد من الجملة الاسمية المعرفة الطرفين ومن ضمير الفصل المقحم بين المبتدأ والخبر ، والحصص وإن كان ادعاءً فهو يدل على شرف الصنف وفضيلته ، انتهى .

وكذلك قوله تعالى في المنافقين (هم العدو فاحذرهم) فهذا يدل على شدة عداوتهم من بين سائر الكفار لا على أنه لا عدو سواهم وكذلك قوله (أولئك هم الكاذبون - أولئك هم الظالمون) وهذا بين بحمد الله لاخفاء به ، مع أنه ورد في حديث آخر « الدعاء مخ العبادة » من حديث أنس ، مع أن الحصر أو القصر في قوله ﷺ « الدعاء هو العبادة » كما قال بعض شراح الحديث أن حصر أحد الجزئين في الآخر يفيدان الدعاء لهما وخالصها وركنها الاعظم وبحديث أنس « الدعاء مخ العبادة » يظهر معنى القصر في حديث النعمان المتقدم فاندفع الاشكال عما ذكره العراقي .

(وأما قوله) اذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث إذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهاية لا يلزم أن تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو الظاهر .

(فالجواب) أنا قد بينا فيما تقدم ما يبطل دعواه الكاذبة الخاطئة وبيننا أن العبادة ليست منحصرة في الدعاء بل الدعاء من أنواع العبادة والعبادة لسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة فالدعاء هو مخ العبادة بنص رسول الله ﷺ والاستغاثة من أخص أنواع العبادة وأشرفها

إذ هي دعاء مسألة متضمنة لدعاء العبادة فإذا تبين لك ما ذكرناه فالدعاء الذي جاء في قوله (يوم يدعوكم فتستجيون بحمده) وفي قوله (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وما أشبه ذلك مما هو بمعنى النداء المجرد عن معنى العبادة إذ الدعاء كونه في الأصل بمعنى النداء والطلب مما لا مرة فيه كما قال الراغب الدعاء والنداء واحد لكن قد يتجرد النداء عن الاسم والدعاء لا يكاد يتجرد فلا يدخل في دعاء العبادة المستلزم لدعاء المسألة كما أنه يدخل في دعاء المسألة المتضمنة للعبادة وهذا لا يروج إلا على طغام العراق الذين هم كالأنباط أو البربر أو الزنج الذين لا معرفة لهم بلغات العرب فالوهابية لا يقولون أن كل مطلق دعاء يكون عبادة فادخال هذا في معنى العبادة ترويج وتلبيس وسفسطة وهذه البضاعة لا تروج علينا ولا تنفق لدينا .

(وأما قوله) ولا يقال للطلب من غيره تعالى دعاء فهذا ممنوع فإن من طلب من غير الله جلب منفعة أو دفع مضرة يكون داعياً طالباً سائلاً منه ، وقد ذكر الرازي تحت قوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فانك إذأ من الظالمين) ما يقتضى أن المراد بالدعاء في هذه الآية طلب المنفعة والمضرة ونصه هكذا يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين إلا آخر كلامه ، وقال الشيخ صنع الله الحلبي وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله ألا يطلب فيها غيره . انتهى . فالطلب سؤال والسؤال في معنى الدعاء .

فصل

قال العراقي التوسل وأدلة جوازه قبل الخوض في المطلب نبين لك أن المراد من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وأن الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون ، كما هو

المعتقد الحق في سائر الأفعال فإن السكين لا يقطع بنفسه بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادي خلق الله تعالى القطع عنده .

فالجواب : أن نقول وقبل الكلام على ما يطل دعواه لابد من مقدمة ينبنى عليها الجواب ، فنقول قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً مثلاً أو لكون الداعي حجاباً له مطيعاً لأمره مقتدياً به فيكون التسبب إما بمحبة السائل له واتباعه له ، وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشيء منه ولا بشيء من السائل بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك لفظ السؤال بالشئ قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به لكونه سبباً في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام وإذا تبين لك هذا فاعلم أن معنى التوسل في لغة الصحابة رضى الله عنهم وعرفهم أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته ، وهذا لا محذور فيه ، بل هذا هو المشروع كما في حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار وهو حديث مشهور في الصحيحين فانهم توسلوا إلى الله بالصالح الأعمال لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله تعالى ويتوجه به إليه ويسأله به لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع إليه ، فمن جعل دعاء الأولياء والصالحين سبباً لنيل المقصود كأن يطلب من الولي أو الصالح أن يدعو الله له لكونه مطيعاً لله حجاباً له ، فيشفع له عند الله بدعاء الله له فهذا حق فقد كان الصحابة رضى الله عنهم يتوسلون إلى الله سبحانه برسوله فيدعوا الله لهم كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « اللهم انا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنينا ففستقينا ، وانا نتوسل إليك بعم بنينا فاستقنا ، فاستسقوا به كما كانوا يستسقون

بالتبليغ ﷺ في حياته وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعوا لهم ويدعون معه كالآلام والمؤمنين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق فاذا تحققت ذلك فاعلم أن التوسل في عرف أهل هذا الزمان واصطلاحهم هو دعاء الانبياء والأولياء والصالحين وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع أنواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر والالتجاء اليهم والاستغاثة بهم والاستعانة والاستشفاع بهم وطلب الخوانج من الولايج في المهمات والملمات لكشف الكربات واغائة اللهفات ، ومعافاة أولى العاهات والبليات ، إلى غير ذلك من الامور التي صرفها المشركون لغير فاطر الارض والسموات ، فمن صرف من هذه الانواع شيئاً لغير الله كان مشركاً وسيأتى الكلام على مسألة الاستغاثة .

(وأما قوله) إنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وإن الله تعالى هو الفاعل إلى آخره .

فأقول : وهذا هو قول الجاهلية الكفار فانهم ماعبدوا الانبياء ، والاولياء والصالحين إلا لكونهم أسباباً ووسائل لنيل المقصود وإلا فهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار وأنه المتفرد بالايجاد والاعدام ، وأن الله هو الخالق للاشياء ، وأن الله هو رب كل شيء ومليكه ، ولا يعتقدون أن آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الانبياء ، والاولياء ، والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ، فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين عباد الاوثان . وقال شيخ الاسلام : الخامس أن يقال نحن لا تنازع في اثبات ما أثبتته الله من الاسباب والحكم ؛ لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ، ودعائه سبباً في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، ومن الذي قال انك اذا استغثت بميت أو غائب من البشر كان أو غيره كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، ومن الذي شرع ذلك وأمر به ، ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابه والتابعين لهم

باحسان . فان هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين : أحدهما أن هذه الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه ، فان المسافر قد يكون سفره سبباً لأخذ ماله وكلاهما محرم ، والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً لمال يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد يكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم ، والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم ، وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد يكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم ، فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر ، وإن كان يحصل به بعض الاغراض أحياناً ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمرأ فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية ، انتهى .

(وأما قوله) وإن الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون .
فالجواب أن نقول : أولاً ليس دعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم في نيل المقصود سبباً شرعياً ، فان هذه من الاسباب المحرمة كما تقدم في كلام الشيخ .

وثانياً لو سلمنا أن الكرامات سبب فمن أين يؤخذ انها سبب يقتضى دعاء من قامت به أو فعلت له ، ومن أى وجه دلت الكرامة على هذا ، وأفضل الناس الرسل والملائكة من أفضل خلق الله ، ولهم من المعجزات والكرامات والمقامات ما ليس لغيرهم ، فقد جاء عيسى بن مريم بما هو من أفضل المعجزات والكرامات يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيكون طيراً باذن الله ويرى الآلهة والابرص ويحيى الموتى باذن الله وينبئهم من الغيب ما يأكلون وما يدخرون وقد أنكر الله تعالى على من قصده ودعاه في حاجاته وملهاته وأخبر أن فاعل ذلك كافر به ، ضال بعبادة غيره ، قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) والارباب هم المعبودون المدعون . وقال تعالى فيمن عبدوا المسيح (قل أتعبدون من دون الله

ملا يملك ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) فأخبر تعالى عن المسيح أنه لا يملك لمن دعاه نفعاً ولا ضرراً ، وإن قل كما يفيد التذكير ، وإبطال عبادته وأنكرها أشد الإنكار ومعجزاته أوضح من الشمس في وسط النهار .

(وأما قوله) فإن السكين لا يقطع بنفسه ، بل القاطع هو الله تعالى والسكين سبب عادى خلق الله تعالى القطع عنده .

فالجواب أن يقال : هذا القول من أقوال أهل البدع والاهواء وليس هو من كلام أهل السنة والجماعة . قال شيخ الاسلام : وهؤلاء هم الاقترانية الذين يقولون إن الله يخلق عند السبب لا بالسبب ومن نحاسهم من المتصوفة القائلين باسقاط الاسباب الظاهرة ، وذلك لأن عندهم ليس في الوجود شيء يكون سبباً لشيء أصلاً ، ولا شيء جعل لشيء ، ولا يكون شيء لشيء فالشبع عندهم لا يكون بالأكل ولا العلم بالحاصل في القلب بالدليل ، ولا ما يحصل للتوكل من الرزق والنصر له سبب أصلاً لا في نفسه ولا في نفس الأمر ولا الطاعات عندهم سبب للثواب ولا المعاصي سبب للعقاب ، فليس للنجاة وسيلة ، بل محض الارادة الواحدة يصدر عنها كل حادث ، ويصدر مع الآخر مقترناً به اقتراناً عادياً لأن أحدهما متعلق بالآخر أو سبب له ، أو حكمة له ، ولكن لأجل ما جرت به العادة من اقتران أحدهما بالآخر يجعل أحدهما اشارة وعلماً ، ودليلاً على الآخر بمعنى اذا وجد أحد المقترنين عادة كان الآخر موجوداً معه وليس العلم بالحاصل في القلب حاصلًا بهذا الدليل ، بل هذا أيضاً من جملة الاقترانات العادية .

وقال أيضاً بعد كلام سبق : وكذلك أيضاً لزم من لا يثبت في المخلوقات أسباباً وقوى وطبائع ، ويقولون ان الله يفعل عندها لا بها ، فيلزم أن لا يكون فرق بين القادر والعاجز ، وإن أثبت قدرة وقال انها مقترنة بالكسب ، قيل له تثبت فرقا معقولاً بين ما تثبته من الكسب وتنفيه من الفعل ، ولا بين القادر والعاجز إذ كان مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة ، فإن فعل العبد يقارن حياته وعمله وادارته وغير ذلك من صفاته . فإن لم يكن للقدرة تأثير إلا مجرد

الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ، وكذلك قول من قال : القدرة مؤثرة في صفة الفعل لا في أصله كما يقوله القاضي أبو بكر ومن وافقه ، فانه أثبت تأثيراً بدون خلق الرب فلزم أن يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله تعالى ، وان جعل ذلك معلقاً بخلق الرب فلا فرق بين الأصل والصفة ، وأما أئمة السنة وجهورهم فيقولون ما دل عليه الشرع والعقل ، قال تعالى : (فسقناه إلى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (وما أنزل الله من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) وقال تعالى : (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وقال تعالى (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة يخبر الله تعالى انه يحدث الحوادث بالأسباب ، انتهى المقصود منه .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقالت طائفة أخرى أ كس من هؤلاء ، بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله تعالى سبحانه اشارة على قضاء الحاجة فتى وقف العبد للدعاء كان ذلك علامة له وامارة على أن حاجته قد قضيت ، وهكذا كما اذا رأيت غيماً أسود بارقاً في زمن الشتاء ، فان ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر قالوا : وهكذا حكم الطاعات مع الثواب والكفر والمعاصي مع العقاب هي امارات محضة لوقوع الثواب لا أنها أسباب له . وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار ، والحرق مع الاحراق والازهاق مع القتل ليس شيء من ذلك سبباً البتة ، ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه الا بمجرد الاقتران العادى لا التأثير السببى ، وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء ، بل أضحكوا عليهم العقلاء . والصواب أن هنا قسماً ثالثاً غير ما ذكره السائل وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء فلم يقدر مجرداً عن سببه ، ولكن قدر بسببه فتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى ما لم يأت بالسبب اتقى المقدور ، وهذا كما قدر الشيع والرى بالاكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه الى أن قال : وقدرت الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشر في الدنيا والآخرة في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط

والمعلول على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع الى آخر ما قال رحمه الله تعالى والمقصود بيان ضلال هذا الملحد في قوله : والسكين سبب عادى خلق الله القطع عنده فاجتمع في هذا الملحد أنواع من الشر والضلال فأضاف الى كونه مشركا في عبادة الله غيره مذهب الجهمية النافين لعلو الله على خلقه ، وننى صفات كماله ، ونعوت جلاله ، ومذهب المعتزلة والرافضة مع مذهب الجهمية في جحد رؤية الله تعالى في الآخرة . ومذهب الاقترانية في اسقاط الاسباب القائلين أن الله يخلق عند السبب لا بالسبب ، ومراد هذا الملحد أن دعاء الانبياء والاولياء والصالحين سبب عادى لنيل المقصود ، وقد تقدم من الأدلة ما يبين أن تعاطى هذا السبب محرم ، وأن دعاء الاموات والغائبين من الاولياء والصالحين والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك وأنه ليس بسبب شرعى .

فصل

وأما قوله قال السبكي والقسطلاني في المواهب اللدنية والسمودي في تاريخ المدينة وابن حجر في الجوهر المنظم أن الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وبغيره من الانبياء والصالحين إنما هي بمعنى التوسل بجاههم والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث ممن هو أعلى منه فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي ﷺ واسطة بين المستغيث وبين المستغاث به الحقيقي فالغوث منه تعالى إنما يكون خلقاً وإيجاداً والغوث من النبي تسبياً وكسباً .

(فالجواب) أن يقال : وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله الرسول اليهم فانهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد وأما الاصنام فيقولون أنها أسباب ووسائل عادية فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبدة الصالحين والقبور في هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون لهم والدعاء والاستغاثة

والنحر والنذر كلها من أقسام العبادة وإذا جعلتم لفظ الدعاء والاستغائة والنحر والنذر التي هي من أقسام العبادة على معناها المجازي فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الاولين الذي حكاه الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى) فما وجه الفرق . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على ابن البكرى في مسألة الاستغائة وأنه حرف الكلم عن مواضعه وتمسك بتمشابه وترك المحكم كما يفعله النصارى وكما فعل هذا الضال يعنى ابن البكرى أخذ لفظ الاستغائة وهي تنقسم الى الاستغائة بالحق والميت والاستغائة بالحق تكون فيما يقدر عليه فجعل حكم ذلك كله واحداً ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغائة ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب منه انما طلب من الله لا منه فالمستغيث به مستغيث بالله ثم جعل الاستغائة بكل ميت من نبي وصالح جائزة فدخل عليه الخطأ من وجوه منها انه جعل المتوسل به بعد موته في دعاء الله مستغائاً به وهذا لا يعرف في لغة أحد من الامم لاحقيقة ولا مجازاً مع دعواه الاجماع على ذلك فان المستغاث هو المستول المطلوب منه لا المستول به ، الثانى ظنه أن توسل الصحابة في حياته فان توسلاً بذاته ﷺ لا بدعائه وشفاعته فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط . الثالث انه أدرج السؤال أيضاً في الاستغائة به وهذا صحيح جائز في حياته وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته وهذا أصاب في لفظ الاستغائة لكن أخطأ في التسوية بين المحيا والمات وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في بعض كلام الناس مثل الشيخ يحيى الصرصرى في شعره قطعة منه والشيخ محمد بن النعمان له كتاب المستغئين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد اذا نزل به أمر خطا الى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبه من نبه

من فضلائهم تذبوا وعلوا أن ما كانوا عليه ليس من دين الاسلام بل مشابهة لعباد الاصنام ، انتهى .

وقال في الرسالة السنية فاذا كان على عهد رسول الله ﷺ من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق أيضاً من الاسلام لأسباب منها الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أنصرنى أو أغثنى أو أرزقنى أو أنا فى حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل فان الله سبحانه وتعالى انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لا شريك له ولا يدعى معه إله والذين يدعون مع الله الهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله سبحانه رسله تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ، انتهى .

وقال أيضاً من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعاً نقله عنه صاحب الفروع ، وصاحب الانصاف ، وصاحب الافناع وغيرهم والمقصود أن شيخ الاسلام رحمه الله جعل الاستغاثة بغير الله من الشرك الاكبر المخرج من الملة .

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادى رحمه الله فى رده على السبكى فى قوله إن المبالغة فى تعظيمه - أى الرسول ﷺ - واجبة ان أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً حتى الحج إلى قبره ، والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، وأنه يعطى ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضى حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن

يشاء ويدخل الجنة من يشاء ، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك
وانسلاخ من جملة الدين ، اه .

(وأما قوله) فالغوث منه تعالى انما يكون خلقاً وإيجاداً والغوث من النبي
ﷺ انما يكون تسبياً وكسباً .

فأقول : هكذا كانت مشركوا الجاهلية حذو النعل بالنعل كانوا يدعون
الصالحين ، والانبياء ، والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين كما قال
تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله) ، وقال تعالى : (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) على أن القول
بأن اسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقى باعتبار الخلق والإيجاد وإلى الانبياء
والصالحين اسناد مجازى باعتبار التسبب والكسب بديهي البطلان . بيانه من
وجوه (الأول) أنه لو كان مناط الاسناد الحقيقى اعتبار الخلق ، والإيجاد كما
توهمه صاحب الرسالة لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها إلى الله تعالى
حقيقياً ، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى ،
وهذا يقتضى أن يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ،
والحج ، والجهاد ، وصلة الرحم . وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك
يتصف حقيقة بالأعمال السيئة من الكفر ، والشرك ، والفسق ، والفجور ،
والزنا ، والكذب والسرقة ، والعقوق ، وقتل النفس ، وأكل الربا وغيرها ،
فانه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسننها وسيئها ، والتزام هذا فعل من لا عقل
له ولا دين ، فانه يستلزم لتصف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث ،
 واجتماع الأوصاف المتضادة ، بل المتناقضة .

وقد قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه ونور
ضريحه ، في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكرى لما استدل بقوله تعالى :
(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) على مالفقه من أضراليه وما موه به
من أباطيله وأساجيله .

قال في أثناء جوابه على ما شبه به ابن البكرى وعمايين ذلك ، ان أفعال العباد لا يجوز أن تنفي عنهم باتفاق المسلمين من قال ان الله خالقها ومن قال انه لم يخلقها لا يجوز أن يقال هذا ما أكل ولا شرب ولا قعد ولا ركب ولا طاف ولا ركع ولا سجد ولا صام ولا سعى ولكن الله هو الذى أكل وشرب وقعد وركب ، وطاف ، وركع ، وسجد ، وصام ، وسعى . وسواء كانت أفعالا محمودة أو مذمومة ، وسواء كانت سبباً لخرق العادة أم لا ، فلا يقال : ان موسى ماضرب بعصاه البحر ولا الحجر ولكن الله ضرب ، ولا يقال ان نوحا ماركب فى السفينة ولكن الله ركب ، ولا يقال ان المسيح ما ارتفع بل الله ارتفع ، ولا يقال ان محمداً ﷺ ما ركب البراق بل الله ركب ، وأمثال هذا . والفعل المختص بالمخلوق لا يضاف الى الله إلا على بيان أن الله خلقه وجعل صاحبه فاعلا كقول الخليل عليه السلام (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) وكما قال (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) ولا يقال ان الله يقيم الصلاة ويدعو الى النار ، ولا أنه قد أسلم ، وقال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا) ولا يوصف الله بالهلوع والجزع ، وجماع الأمر أن الله لا يوصف بمخلوقاته ، وهذه هى أدلة السلف وأهل السنة على أن كلام الله ليس بمخلوقاً ، قالوا : لأنه سبحانه لا يوصف بما خلقه فى غيره ، فاذا خلق فى غيره حركة ، أو طعماً ، أو ريحاً ، أو لوناً كالسواد والبياض لم يوصف بأنه هو المتحرك بها ، ولا بأنه متروح أو أبيض ، أو أسود . واذا خلق فى غيره سمعاً ، أو بصراً ، أو حياة ، أو قدرة لم يوصف بذلك . واذا خلق فى غيره كلاماً لم يوصف بأنه هو المتكلم به ، يعبرون عن ذلك بأن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل ولم يعد على غيره ، واشتق لذلك المحل منه اسم ولم يشتق لغيره ، فاذا خلق فى محل حركة ، أو علماً أو قدرة كان ذلك المحل هو المتحرك العالم التقادر لا الخالق لتلك الصفة فيه ، انتهى .

(والثانى) أنه لو كان مناط الاسناد المجازى اعتبار التسبب والكسب

كما زعم هذا الزاعم لزمة أن لا يكون الانسان حقيقة مؤمنا، ولا كافراً ولا برا، ولا فاجراً، ولا كاذباً فيبطل الجزاء والحساب، وتلغى الشرائع والجنة والنار، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين. (والثالث) أن دعوى كون الانبياء والصالحين سبياً للغوث وكسباً له، محتاج الى اقامة الدليل، ودونه لا تسمع، وبالجملة فهذه شبهة داحضة، ووسوسة زاهقة. تنادى بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وقد علم بصريح المعقول أن الله تعالى اذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل. فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها، واذا خلق لونا أو ريحاً في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك، واذا خلق علماً، أو قدرة، أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحى، فكذلك اذا خلق ارادة وحجاً وبغضاً في محل كان هو المرید المحب المبغض، فاذا خلق فعل العبد كان العبد هو الفاعل، فاذا خلق له كذباً وظلماً وكفراً، كان هو الكاذب، الظالم، الكافر، وإن خلق له صلاة، وصوماً وحجاً، كان العبد هو المصلى، الصائم، الحاج. والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقه، بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم الى آخر كلامه رحمه الله.

فعلى زعم هذا الملحد أن الله تعالى هو الكاذب، الظالم، الكافر حقيقة لأن الله هو الخالق لذلك والموجد له حقيقة واسناده الى العبد مجاز، سبحانه هذا بهتان عظيم.

وقال صنع الله الحلبي رحمه الله: والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال، أو ادراك عدو، أو سب، ونحوه كقولهم: يا يزيد يا للمسلمين بحسب الافعال الظاهرة. وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير، أو في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض، وخوف الغرق، والضيق، والفقر، وطلب الرزق ونحوه، فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره. الى أن قال: وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن تكون أولياء الله

بهذه المثابة فهذا ظن أهل الأوثان ، كذا أخبر الرحمن (هم شفعاؤنا عند الله مانعبدهم - إلا ليقربونا الى الله زلفى - أأنتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) فان ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره ، اهـ .

فصل

(قال العراقي) وقد جوز أجلة العلماء الاستغائة والتوسل بالنبي ﷺ ولا يعارض جوازها بخبر أبي بكر رضى الله عنه ، قوموا بنا نستغث برسول الله ﷺ من هذا المناق ، فقال النبي ﷺ ، انه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله ، لأن من رواه ابن لهيعة والكلام فيه مشهور ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » فيكون معنى الحديث السابق انى وان يستغاث بي فالمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغائة على من يحصل منه غوث ولو تسببا وكسبا أمر نطقت به اللغة وجوزته الشرع فتعين تأويل الحديث المذكور ويؤيد ما بيناه فى تأويله حديث البخارى فى الشفاعة يوم القيامة « فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ » .

والجواب أن نقول : قد تقدم فى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ما يبين كذبه على أجلة العلماء وأنه لم يحزه إلا أناس ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم فى شرائع الإسلام ، ومعركة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها وقال أيضا فى أثناء كلامه ، ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين « ولا غيرهم لا بلفظ الاستغائة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك ،

بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الامور ، وأن ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام ألا تفتن لها ، وقال هذا أصل دين الاسلام ، انتهى .

(وأما قوله) ولا يعارض جوازها يخبر أبى بكر رضى الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ الى آخره .

(فالجواب) أن يقال : الكلام على هذا من وجوه (أحدها) أن ابن لهيعة خرج له البخارى ومسلم فجاوز القنطرة ولا يقدر فيما رواه ابن لهيعة إلا جاهل بالصناعة والاصطلاح ، وهو قاضى مصر وعالمها ومسندها ، روى عن عطاء ابن أبى رباح والأعرج وعكرمة وخلف ، وعنه شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين فى الحديث وعمرو بن الحارث والليث بن سعد وابن وهب ، وخلق . ومن طعن فى ابن لهيعة بقول بعض الناس لزمه الطعن فى كثير من الاكابر المحدثين كسعيد المقبرى وسعيد ابن أياس الجريرى وسعيد بن عروبة واسماعيل بن أبان وأزهر بن سعد السمان البصرى وأحمد بن صالح المصرى وأبى ليان ، وأمثالهم ممن خرج لهم البخارى وغيره من الأئمة ، وعلى كل حال ، فهو خير من هؤلاء الذين أجازوا الاستغاثة برسول الله ﷺ ، وأعلم بكتاب الله وسنة رسوله منهم وبأقوال أهل العلم (الثانى) أنهم معارضون بأجل منهم وأفضل وأعلم بحدود ما أنزل الله على رسوله كما سذكروه عنهم ان شاء الله تعالى .

(الثالث) أن ابن لهيعة كان اماماً محدثاً من أفاضل العلماء ولم ينقمه أحد بالغلو فى الانبياء ولا الصالحين ، ولا بشيء من العقائد المبتدعة المحدثه فى الاسلام ولكنه كان يدلس عن الضعفاء ، ثم احترقت كتبه ، وليس هذا الحديث من الاحاديث التى دلس فيها ، فمن هنا قال فيه من قال ، قال عمرو بن على : من كتب عنه قبل احتراق كتبه مثل ابن المبارك وابن المقرئ أصبح ممن كتب عنه بعد احتراقها وقال ابن وهب كان ابن لهيعة صادقا ، وقال ابن وهب أيضاً ، حدثنى

لصادق البار - والله - عبد الله بن لهيعة ، وقال أبو داود سمعت أحمد يقول :
ما كان محدث مصر الا ابن لهيعة ، وقال أحمد بن صالح الحافظ : كان ابن لهيعة
صحيح الكتاب طالباً للعلم (الوجه الرابع) أنه قد ثبت أن الاستغائة من أقسام
العبادة فصرفها لغير الله شرك ، فان لم يكن حديث أبي بكر شاهداً لهذا لم يكن
مخالفاً له .

(الوجه الخامس) أن النبي ﷺ نفي الاستغائة عن نفسه حماية للتوحيد
وصيانة لجانبه وأدباً مع ربه لا لأن الاغاثة لا تنسب الى المغيث بالسبب العادى
حقيقة وأنها تنسب مجازاً كما توهمه الغي الاكبر ، ولم يرد تعليم أمته أن
الاستغائة إنما تنسب للمخلوق مجازاً فان ما جاء به الكتاب والسنة دال على
اضافة الفعل لمكتسبه ومن قام به ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء
والحساب ولم يقل قول هذا العراقى الا القدرية المجبرة ، ومن نحاً نحوهم من
الجهمية ورد عليهم أهل السنة بما يطول ذكره نقلاً وعقلاً ، وقالوا لو كان مجازاً
لصح نبي أفعال المكلفين عنهم وكانوا بمنزلة الجمادات التى يحركها الغير ويفعل بها
من غير قصد لها ولا اختيار ويكون التعذيب والعقاب يرجع الى مجرد المشيئة
والارادة من غير فعل للعبد يستحق به الثواب والعقاب .

ويقال أيضاً الافعال العادية القائمة بفاعلها تنسب اليه ، وتضاف اليه حقيقة
من اضافة الفعل الى فاعله ، فيقال أكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث
حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ولم يخالف فى اضافة الافعال الى فاعلها حقيقة
إلا من هو من أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل .

(وأما قوله) ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (وما
رمىتم اذ رميت ولكن الله رمى) .

(فأقول) ليس هذا من هذا الباب وهذا من نواذر جهل هؤلاء الضلال فان
لفظ الاستغائة طلب الغوث بمن هو بيده لمن أصابته شدة ووقع فى كرب «
وللا الانجح والاولى لمن أصابه ذلك أن يستغيث بمن يجيب المضطر اذا دعاه

الموصوف بأنه غياث المستغيثين ، مجيب المضطرين ، أرحم الراحمين ، فلفظ الاستغاثة يستعمل في مخ العباد ، وما لا يقدر عليه إلا الله عالم الغيب والشهادة فكره ﷺ إطلاقه عليه فيما يستطيعه ، ويقدر عليه حماية جناب التوحيد ، وسداً لذريعة الشرك وإن كان يجوز إطلاقه فيما يقدر عليه المخلوق لحاية جناب التوحيد من مقاصد الرسول ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة ، فأين هذا من قوله (وما رميت أذرميت ولكن الله رمى) فان الرمي المنفي عن الرسول إيصال التراب إلى أعينهم كلهم ، لان هذا لا يقدر عليه إلى الله ، وأما نفس الرمي المثبت من رمية ﷺ فقد قبض رسول الله ﷺ قبضة من التراب والحصى ورمى به قبلهم حقيقة لا مجازاً . وهذا من خصائص الرسول ﷺ لا يكون لأحد بعده ، ولو كان هذا لأحد بعده لم يكن فيه معجزة لرسول الله ﷺ ، فانه لم يبق أحد منهم إلا وقع في عينيه من ذلك التراب شيء وهم نحو أربعة آلاف رجل فهزمهم الله بسبب هذه الرمية حقيقة لا عندها ولا معها بل بها .

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم ، على حقيقته فان الله هو الذي حملهم بان يسر لرسول الله ﷺ بعد ذلك حولة فحملهم بأمر الله لانه ﷺ عبد مأمور منهى لا يفعل شيئاً إلا بأمر الله له ، فنسبة الحل إلى الله حقيقة قضاء وقدرأ وإلى من حملهم باذن الله السببي الشرعي حقيقة لا مجازاً ، وحمله اياهم أمر مقدور عليه غير متمتع فكان من المعلوم أن رسول الله ﷺ كان متصرفاً بأمر الله منفذاً له فائقه سبحانه امره بحملهم فنفذ أوامره فكان الله هو الذي حملهم وهذا معنى قوله : انى لا اعطى أحدا شيئاً ولا امنعه ، ولهذا قال : : وانما انا قاسم ، فائقه سبحانه هو المعطى على لسانه وهو يقسم ما قسمه بامرهم .

(قوله) فيكون معنى الحديث السابق انى وأن يستغاث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى .

(أقول) هذا التأويل مخالف للفظ الحديث ولمعناه وقد تقدم الكلام عليه فلا معنى لصرفه عما يقتضيه الى ما لا يدل عليه لغة ولا شرعاً .

(وقوله) وبالجمله فاطلاق لفظ الاستغاثه على من يحصل منه غوث ولو تسبياً وكسباً ، أمر نطقته به اللغة وجوزته الشرع .

(فأقول) هذا كذب على اللغة وعلى الشرع ، أما اللغة فان الافعال العادية القائمة بفاعلها تنسب اليه وتضاف إليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله فيقال أكل وشرب وقام وقعد وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ، وأما شرعاً فان الله قد رتب حصول الخيرات في الدنيا والآخرة ، وحصول الشرور في الدنيا والآخرة ، والعقاب والثواب في كتابه على الاعمال ترتيب الجزاء على الشرط ، والمعلول على العلة والمسبب على السبب وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع كما تقدم بيانه في كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

(وأما قوله) ويؤيد ما ينه في تأويل حديث البخارى في الشفاعة يوم القيامة فينبأهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ ،

فالجواب أن نقول هذا ليس مما نحن فيه فان الاستغاثه بالخلق على نوعين (أحدهما) أن يستغيث بالخلق الحى فيما يقدر على الغوث فيه مثل أن يستغيث الخلق بالخلق ليغينه على حمل حجر ويحول بينه وبين عدوه الكافر ويدفع عنه سباعاً صائلاً أو لصاً أو نحو ذلك ، ومن ذلك طلب الدعاء لله من بعض عباده لبعض وهذا لا خلاف في جوازه ، والاستغاثه الواردة في حديث المحشر من هذا القبيل فان الانبياء الذين يستغيث العباد بهم يوم القيامة يكونون أحياء وهذه الاستغاثه إنما تكون بأن يأتى أهل المحشر هؤلاء الانبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله سبحانه ويدعوا لهم بفصل الحساب والاراحة من ذلك الموقف ولا ريب أن الانبياء قادرون على الدعاء فهذه الاستغاثه تكون بالخلق الحى فيما يقدر على الغوث فيه والثانى أن يستغاث بمخلوق ميت أو حى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وهذا هو الذى يقول فيه أهل التحقيق انه غير جائز .

(فان قلت) هؤلاء المستغيثون بالأموات أو الغائبين أيضاً يطلبون منهم أن يشفعوا لهم الى الله تعالى ويدعوا لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرون على ذلك

فتكون استغاثتهم هذه من قبيل النوع الأول (قيل) هذا فيه خلل من وجوه (الأول) ان فيه ذهول عن قيد الحى والمراد بالحياة الدنيوية لا البرزخية (والثاني) ان ظاهر الفاظهم مثل قولهم يارسول الله اشف مريضى واكشف عنى وهب لى ولداً ورزقا واسعاً ونحو ذلك دال على أنهم لا يطلبون منهم الشفاعة بل يطلبون شفاء المريض وكشف الكربة وإعطاء الولد والرزق وهم غير قادرين على تلك الأمور . (الثالث) أن هؤلاء المستغيثين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون بهم من أماكن مختلفة ومواضع بعيدة معتقدين أن الاموات والغائبين يعلمون استغاثتهم ويسمعون دعاءهم من كل مكان وفى كل زمان ولا ريب أن هذا لإثبات لعلم الغيب لهم الذى هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركاً وبهذا وبما تقدم يندفع تأويل الحديث على ما تأوله عليه من المحال الباطل والله أعلم .

فصل

قال العراقي : لنا على جواز التوسل والاستغاثة دلائل منها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) قال ابن عباس إن الوسيلة كلما يتقرب به الى الله تعالى ، والوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم . بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات فانه تعالى قال فى هذه الآية (اتقوا الله) والتقوى عبارة عن فعل المأمور به وترك المنهى عنه فاذا فسرنا الوسيلة بالأعمال كان الأمر بابتغاء الوسيلة اليه تأكيداً للأمر بالتقوى بخلاف ما إذا أريد بها الذوات فان الأمر حينئذ يكون تأسيساً وهو خير من التأكيد .

والجواب أن نقول : قد استدلل بهذه الآية طاغية العراقي داود بن جرجيس على نحو ما ذكره هذا إلا ان هذا أسقط من جواب داود نسبة الكلام الى البغوى وهذا لم يذكره عنه وأجابه على ذلك شيخنا الشيخ عبد اللطيف فقال : والجواب أن يقال : الله أكبر على هؤلاء الضلال الكاذبين على الله وعلى رسله المبطلين لدينه المحرفين للحكم عن مواضعه وهذا الكلام الذى ذكره العراقي جمع فيه من التحريف والالحاد والكذب والقول فى كتاب الله برأيه ما سيمر بك بيانه مفصلاً ، وفى الحديث « من قال فى القرآن برأيه - وفى رواية بما لا يعلم -

فليتبوأ مقعده من النار ، وقد تكلم الحافظ بن كثير على قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) بما يرد قول هذا العراقي ويظهره قال رحمه الله تعالى : أمر عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قورنت بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهى عنه وقد قال بعدها (وابتغوا إليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أى القربة وكذا قال مجاهد وعطاء وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدى وأبو زيد قال قتادة أى تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وقرأ ابن زيد (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وهذا الذى قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه وانشد ابن جرير قول الشاعر :

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافى بيننا والوسائل

والوسيلة هى ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود ، انتهى . وقال البغوى : أى اطلبوا إليه الوسيلة ، أى القربة ، فعليه من توسل إلى فلان بكذا أى تقرب إليه وجمعها وسائل . وقال البيضاوى على قوله (وابتغوا إليه الوسيلة) أى ما يتوسلون به إلى ثوابه والزنى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل إلى كذا إذا تقرب إليه وقال فى الكلام على آية الاسراء (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أى يبتغى من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب وقال بن كثير وقوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) روى البخارى من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن عبد الله فى قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلبوا وذكر رواية عن بن مسعود كانوا يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن وذكر عن ابن عباس قال عيسى وأمه وعزير وعنه الشمس والقمر قال مجاهد عيسى وعزير والملائكة واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله يبتغون وهذا لا يعرب به عن الماضى فلا يدخل فيه عيسى والعزير وقال الوسيلة هى القربة كما قال تعالى ولهذا قال (أيهم أقرب) ، انتهى .

واختار شيخ الإسلام ان الآية تعم من ذكر وغيرهم ممن عبده المشركون من أولياء الله وعباده الصالحين فتبين بهذا رد ما ذكره البغوى فان المفسرين ذكروا ابتغاء الوسيلة وهو طلب القربة فتقدم قول البيضاوى فى قوله أيهم أقرب أنه بدل من الواو فى يبتغون ، وقال أبو حفص العكبرى أيهم مبتدى ، وأقرب خيريه وهو استفهام والجملة فى موضع نصب يدعون وعلى كلا القولين لا يصح ما ذكره البغوى من توسل بعضهم ببعض وفى الجلالين أولئك الذين يدعونهم آلهة يبتغون يطلبون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة أيهم بدل من واو يبتغون ، أى يبتغيها الذى هو أقرب اليه ، فكيف بغيره اذا عرف هذا تبين فساد قول البغوى فى آية الاسراء فان التوسل فى العرف الشرعى فعل ما يتوسل به الى الله من الإيمان به والعمل الصالح الذى شرعه ويرضاه كما فى حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار فانطبقت عليهم الصخرة هذا هو التوسل المعروف كما عليه أهل الإسلام من المفسرين وغيرهم ، ومن قول قتادة ، أى تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، وتقدم قول ابن كثير بعد حكاية هذا ، وهذا بما لاخلاف فيه بين المفسرين ، فذكر الاجماع على أن المراد القربة بالعمل الصالح وما يرضاه تعالى ثم لو سلم صحة ما ذكره البغوى ، فليس المراد أن بعضهم يدعو من هو أقرب منه ويسأله الشفاعة والتقرب ، بل التوسل يطلق عنده على سؤال الله بجاه المقربين وبحق الصالحين لا كما يظنه عباد القبور من أن التوسل هو دعاء الصالح نفسه وقصده بالمسألة والطلب من دون الله والتقرب اليه بالذبح والنذر وغيرهما من العبادات ، فان هذا عين الشرك الذى نزلت الآية بابطاله والرد على أهله ، فان الجاهلية من الأميين والكتبايين يدعون الملائكة وعيسى وأمه والعزير ويتوجهون اليهم فى حاجاتهم وملذاتهم ويتقربون اليهم بصرف الأموال ذبحاً ونذراً ، فرد الله عليهم هذا الفعل من صنيعهم ، وأخبرهم أن هؤلاء المدعوين لا يملكون كشف الضر ولا تحويله من حال الى حال ، لأن من عبد الانبياء والصالحين يدعى أنه يكشف الضر بواسطتهم وعلى أيديهم ، كما يقوله عباد القبور . فأخبرهم تعالى أن هؤلاء المدعوين عبيده ،

كما أن الداعين عبيده وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه والخائف الراجي لا يصلح أن يكون مدعواً ومعبوداً فانظر هذه الآية الكريمة وما دلت عليه وما سبقت له وانظر حقيقة دعوى العراق وما يفعله الغلاة في الأولياء والصالحين ومسألتهم وتعظيمهم بشيء من العبادات كالذبح والنذر لهم وعلى أبطال دعواه أيضاً في التوسل الشركي بالصالحين ودعائهم ومسألتهم وبهذا تعرف انه مشاق لله ورسوله يستدل بالآية الكريمة على نقيض ما دلت عليه ويفهم منها عكس ما دعت اليه وهكذا حال القلوب المنكوسة تتصور الأشياء على خلاف ما هي عليه وأهل العلم كافة استدلوا بهذه الآية على ابطال التوسل الشركي الذي هو دعاء الصالحين ، والعراق استدل بها على جوازها واستحبابه ، فبعداً للقوم الظالمين .

وأما قول العراقي فظاهر الآية عام في الافعال والذوات هذا قول داود وقال صاحب هذه الرسالة والوهاية جعلت الوسيلة خاصة بالأفعال وهو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات .

قال شيخنا فهذا يكذبه ويطله مامر من اجماع المفسرين على أن الوسيلة هي التقرب الى الله بطاعته وبما يرضيه بما شرعه وأذن فيه والتوسل الذي يريده العراقي بذات الصالحين هو دعائهم ومسألتهم وتعظيمهم بالعبادة وتقديم كلام ابن القيم في أنه يستحيل أن تأتي شريعة من الشرائع باباحة ذلك .

وقوله ومن ادعى التخصيص بأحدهما فقد تحكم في هذا القول من سوء الأدب مع الشارع والجرأة على الله وعلى رسوله ما يعلمه أهل العلم بدينه الذين عقلوا عن مراده وعرفوا أنه أخص القرب التي يحبها ويرضاها ونهى عن مجاوزتها الى البدع والضلالات فالخصص للقرب «الوسائل هو الله ورسوله قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ثم اقتحم العراقي وأتى بقوله يضحك منها صبيان المكاتب فقال على أن ظاهر سياق الآيات تخصيصه بالذوات فأتى على ما قاله المفسرون قاطبة فهدمه واجتث أصله ورده

من لا يؤمن بالكتاب ولا يخاف سواء الحساب واستدلالة على تلك الدعوى الضالة بأن التقوى فعل المأمور وترك المنهى عنه وإذا فسر ابتغاء الوسيلة بالأعمال يكون تأكيداً فيكون مكرراً وإذا أريد التوسل بالذوات يكون ناشئاً وهو خير من التأكيد هذا كلامه بحروفه وكفى بهذا خزيًا وفضيحة وتسجيلاً على جهالة وأنه ما عرف شرعاً ولا لغة ولا ديناً وهذا مردود بوجوه .

(الاول) ان ابن كثير قرر أن التقوى إذا قرنت بالطاعة أو الوسيلة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهى كما في هذه الآية والوسيلة هي التقرب الى الله بأنواع الطاعات وأصناف العبادات ومراده أنها إذا أطلقت ولم تقترن بغيرها دخل فيها فعل المأمور وترك المحذور وهكذا اسم العبادة والطاعة تعم عند الاطلاق وتخص مع الاقتران والتقييد . فالعراق لم يعرف مسمى التقوى في هذا المحل وخطب خطب عشواء .

(الوجه الثاني) أن الوسيلة ما يقرب الى الله تعالى والتقوى تطلق على ما يتقى به عذابه ويرجى به ثوابه فلو قيل بهذا الاطلاق هنا فالقرب الى الله وطلبه أخص بما قبله .

(الوجه الثالث) ان التأكيد يكون خبراً من التأسيس اذ اقتضاه الحال وقصد رفع المجاز وإبطال توهمه أو قصد بيان خصوصية الفرد المعطوف والاهتمام به كما في قوله تعالى (الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) .
(الوجه الرابع) أن التأسيس لا يجري هنا ولا يصح قصده .

فصل

قال العراق : ومنها قوله تعالى (أولئك الذين يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة وتفسير الآية أن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على أنهم أرباب فيقول الله لهم أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون الى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيده مفتقرون الى ربهم متوسلون اليه بمن هو أعلى مقاماً منهم .

والجواب أن يقال : وهكذا قال داود بن جرجيس وقد أجابه الشيخ

فقال والجواب أولاً لولا ما يقصده المؤمن من رد هذه الأقوال الضالة الكاذبة التي تتضمن الكذب على الله وتحريف كتابه ، وتغيير دينه ، والقول عليه بغير علم لما جازت حكاية هذا الالفك ونقله ، والله سبحانه ذكر أقوال أعدائه وأعداء رسله في معرض الرد لها ، وإبطالها ، والتسجيل على ضلالة أهلها ، فاما ما نقله عن البغوى فقد حرفه وكذب فيه ، وهذه عبارة البغوى نسوقها بحروفها ، قال في قوله تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) يعنى الذين يدعونهم المشركون آلهة ويعبدونهم . قال ابن عباس وبجاهد : هم عيسى وأمه وعزير والملائكة ، والشمس ، والقمر ، والنجوم يبتغون أى يطلبون الى ربهم الوسيلة أى القربة ، وقيل الوسيلة الدرجة العليا ، أى يتضرعون الى الله فى طلب الدرجة العليا ، وقيل الوسيلة كلما يتقرب به إلى الله عز وجل ، وقوله : (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به . وقال الزجاج (أيهم أقرب) يبتغى الوسيلة إلى الله ، ويتقرب اليه بالعمل الصالح هذه عبارة البغوى بحروفها .

وقد تصرف فيها هذا الضال لحذف منها قول ابن عباس والشمس والقمر والنجوم ، وحرف قوله يطلبون إلى ربهم الوسيلة أى القربة ، فقال العراقى كل ما يتقرب به الى الله ، وعبارة البغوى القربة وحذف قول البغوى ، وقيل الوسيلة الدرجة العليا أى يتضرعون الى الله فى طلب الدرجة العليا وزاد فى قوله ينظرون أيهم أقرب الى الله فقال العراقى وأعلى جاهاً وزاد ويتشفعون به الى ربهم هذا تحريفه لكلام البغوى .

قلت وأما صاحب الرسالة فانه ألطف فى التحريف وأجرأ على الله بالكذب من داود فان نسب الكلام الى البغوى وحرفه وتصرف فيه وزاد وهذا جزم ان تفسير الآية أن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على أنهم أربابهم كما ذكر داود وذكر هذا كما ذكر داود الى آخره والمقصود انهم يغتفون من عين واحد . قال الشيخ فى جوابه والرجل يشتهى يأخذ ما يهوى ويدع ما هو الأولى والأقوى فأول عبارة البغوى ترد قوله ينظرون أيهم أقرب الى الله

فيتوسلون به لأن الشمس والقمر والنجوم لا يتأق منهم ذلك والملائكة وعزير
وعيسى لم يرد نقل ولا حجة ولا برهان على أن بعضهم يسأل الله ببعض ويتوسل
به ويقصده في حاجاته وملبته فما قاله البغوى هنا غير مسلم وقد تقدم كلام
المفسرين وأنهم لم يرتضوا هذا ولم يقله أحد منهم وتقدم قول ابن كثير في
تفسير قتادة أنه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وتقدم قول أبي حفص
واليضاوى والجلالين فعدل العراقي عن هذا كله وتمسك بالمشابهة كما قال
ابن القيم : وأعرض النصارى عن الاصول المحكمة وتمسكوا بالمشابهة على أن
عبارة البغوى ليس فيها شاهد ودليل لعباد القبور بل هي تدل على خلافه فإن
التوسل الذى يشير اليه وينصرف الاسم عليه عند الاطلاق هو التوسل الشرعى
ومنه دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كالأسباب العادية وقد يراد بالتوسل في عرف
بعض الناس سؤال الله تعالى بحق أوليائه وعلى كل فليس فيه دليل لدعاء الموتى
والغائبين كما يفعله عباد القبور من الضالين والمشركين ويحتمل أنه أراد بقوله
أن ينظرون أيهم أقرب فيتوسلون به معنى صحيحاً شرعياً وهو الاقتداء بهم
وسلوك سبيلهم واقتفاء آثارهم ، قال تعالى : (أولئك الذين هدى الله فبهم
اقتده) وقد يتعين هذا الاحتمال لوجوب إحسان الظن بالعلماء .

وقول العراقي في معنى الآية إن الكفار يعبدون الانبياء والملائكة على أنهم
أربابهم يريد به أن المشركين يعتقدون أن آلهتهم تخلق وترزق وتدبر وهذا
قد رده القرآن وأبطله في غير موضع كما تقدم تقريره والعراقى يلجأ الى هذا لئلا
يدخل ما فعله عباد القبور فيما نهى عنه القرآن من اتخاذ الالهة من دون الله
وعبادتها معه وهذا لازم لعباد القبور لا محيص عنه والحكم يدور مع علته
والقرآن كفر المشركين وأنكر عليهم دعاء غير الله ومحبة سواه وتعظيم ما يدعى
معه بالذبح والنذر وسائر العبادات قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون
الله أنداداً يحبونهم كحب الله) ، وقال : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا
يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) ، وقال تعالى : (ومن يدع مع الله إلهاً آخر
لا برهان له به) ، وقال تعالى : (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك

فان فعلت فانك اذا من الظالمين) وقال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) والآيات في المعنى كثيرة يبين تعالى انه كفرهم وأنكر عليهم وتوعدهم بالنار على عبادة غيره ودعاء سواه والعبادة فعل العبد الذي هو الحب مع الله والخضوع والتعظيم والدعاء رغباً ورهباً وإطلاق الأرباب على الآلهة كقوله تعالى (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) وقوله (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) ونحو ذلك انما يراد به ما ذكرنا لأن المعبود يسمى رباً وهذا مما لاخلاف فيه بين المفسرين بل السيد يسمى رباً فتنبه لهذا فقد زل بهذه الشبهة كثير من المنتسبين الى العلم والدين ثم ذكر الشيخ كلاماً طويلاً عن شيخ الاسلام قال في آخره ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب اليها ثم يقول ان هذا ليس بشرك وانما الشرك اذا اعتقدت أنها المدبرة لى فاذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين ان هذا شرك ، انتهى . فتأمله فان فيه حكاية قول سلف هذا العراقي وفيه أن ما قاله العراقي شرك يعلم بالاضطرار من دين الاسلام والله المستعان .

وأما قول العراقي فيقول الله تعالى أولئك الذين تعبدونهم يتوسلون إلىّ بمن هو أقرب يعنى فهم محتاجون فقد كذب على الله ما عنى سبحانه وتعالى بهذا المعنى ولا أراد تبارك وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ما أجز هذا المتكلم على الله وعلى كتابه وعلى دينه فندهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وتقدم قول المفسرين .

وقول شيخ الاسلام ان هؤلاء المدعويين عبيده كما أن الداعين عبيده وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه نعوذ بالله من اقتحام هذه المهالك والتوئب على تلك الدركات التى تهوى بصاحبها إلى أسفل سافلين قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وقال تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفنى يلقى فى النار خير أم يأتى آتينا يوم القيامة عملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) .

فصل

قال العراقي: ومنها قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به ﷺ وقبول التوسل به كما يفهم من قوله تعالى (لوجدوا الله توابا رحيمًا) وأنت تعلم أن استغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الأحاديث الواردة مما سنقله لا يقال إن الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها لأننا نقول إنها وإن وردت في قوم معينين في حياته ﷺ تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف سواء كان في حال حياته أو بعد موته ﷺ.

والجواب أن نقول: قد سبق هؤلاء إلى الاستدلال بهذه الآية السبكي بنحو ما قال هذا وأجابه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي رحمه الله تعالى فقال: أما استدلاله بقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الآية، فالكلام فيها في مقامين: أحدهما عدم دلالتها على مطلوبه، الثانية بيان دلالتها على نقيضه، وإنما يتبين الامران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا الهجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا الهجيء إذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأرؤوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية انما هي في المنافق الذي رضى بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم حيث لم يهجيء إلى رسول الله ﷺ يستغفر له فإن الهجيء إليه يستغفر له توبة وتنصل من الذنوب وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضى التوبة جاء إليه فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، وهذا كان فرقا بينهم وبين المنافقين، فلما استأثر

الله عز وجل بنبيه ﷺ ونقله من بين أظهرهم الى دار كرامته لم يكن أحد منهم
 قط يأتي الى قبره ويقول : يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي ، ومن
 نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت ، أفترى عطل الصحابة
 والتابعون وهم خير القرون على الاطلاق هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه من
 تخلف عنه ، وجعل التخلف عنه من امارات النفاق ، ووقف له من لا يؤبه له
 من الناس ، ولا يعد في أهل العلم فكيف أغفل هذا أئمة الاسلام وهداة الانام
 من أهل الحديث ، والفقه ، والتفسير ، ومن لهم لسان صدق في الامة ، فلم
 يدعوا اليه ، ولم يحضوا عليه ، ولم يرشدوا اليه ، ولم يفعل أحد منهم البتة ،
 بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من
 الغلو والشرك الجفافة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية ، ولما كان هذا
 المنقول شجى في حلق الغلاة ، وقذى في عيونهم ، وريبة في قلوبهم ، قابله
 بالكذب والطعن في الناقل ، ومن استحيا منهم من أهل العلم بالآثار قابله
 بالتحريف والتبديل وبأبي الله إلا أن يعلى منار الحق . ويظهر أدلته ليهتدى
 المسترشد ، وتقوم الحجة على المعاند فيعلى الله بالحق من يشاء . ويضع برده
 وبطره وغمص أهله من يشاء ، وبالله العجب أكان ظلم الامة لانفسها وبنبيها بين
 أظهرها موجود ، وقد دعت فيه الى الحجى ليستغفر لها ، وذم من تخلف عن
 الحجى ، فلما توفى ﷺ ارتفع ظلمها لانفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم الى الحجى .
 ليستغفر له ، وهذا بين أن هذا التأويل الذى تأول عليه المعارض هذه الآية
 تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا اليه علما وعملا ، وارشاداً ونصيحة .
 ولا يجوز احداث تأويل فى آية . أو سنة لم يكن على عهد السلف ، ولا عرفوه ،
 ولا بينوه للأمة ، فانه يتضمن أنهم جهلوا الحق فى هذا ، وضلوا عنه ، واهتدى
 اليه هذا المعارض المستأخر ، فكيف اذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه ،
 وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب فى رده ، وإنما ننبه عليه بعض التنبيه .
 وما يدل على بطلانه قطعاً أنه لا يشك مسلم أن من دعى الى رسول الله ﷺ فى
 حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن الحجى وأباه مع قدرته عليه كان

مدموما غاية الذم مغموصا بالنفاق . ولا كذلك من دعى الى قبره ليستغفر له ، ومن سوى بين الامرين ، وبين المدعويين ، وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل ، وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق . وأما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه صدرها بقوله (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول) وهذا يدل على أن مجيئهم اليه ليستغفر لهم اذ ظلموا أنفسهم طاعة له . ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم قط ان على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب الى قبره ويسأله أن يستغفر له . ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وتطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة ، وهذا بخلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفي الإيمان عمن لم يحكمه ، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً ، ففي حياته كان هو الحكم بينهم بالوحي ، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك أنه قال لا تجعلوا قبري عيداً . ولو كان يشرع لكل مذهب أن يأتي الى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به . ولو كان مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة وتابعوهم باحسان أرغب شيء فيه وأسبق اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء الى قبره ليستغفر له ، ولاشكا اليه ، ولا سأله ، والذي صح عنه مجيء القبر للتسليم فقط ، هو ابن عمر ، وكان يفعل ذلك عند قدومه من السفر ، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً البته ، ومع هذا فقد قال عبيد الله بن عمر العمري الذي هو أجل أصحاب نافع ، أو من أجلمهم ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر ، ومعلوم أنه لا هدى أكل من هدى الصحابة ، ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم . ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، فمن خالفهم إما أن يكون أهدي منهم ، أو يكون مرتكباً لنوع من البدع ، كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لقوم رأهم اجتمعوا على ذكر يقولونه : لا تتم أهدى من أصحاب محمد ﷺ . أو أتم على شعبة ضلالة ، فبين أنه لو كان

استغفاره لمن جاءه مستغفراً بعد موته ممكناً أو مشروعا لكان كمال شفقتة ورحمته بالامة تقتضى ترغيبهم فى ذلك وحضهم عليه ، انتهى .

(وأما قوله) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره وهذا حق ولكنه فى حال حياته لا بعد وفاته .

(وقوله) وفى ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به ﷺ وقبول المتوسل به .

فأقول : نعم هذا حق فقد كان الصحابة رضى الله عنهم يتوسلون به فى حال حياته كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اللهم انا كنا اذا أجدبنا تتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فلو كان التوسل به بعد وفاته جائزاً لما عدل الفاروق الى عمه العباس مع امكان التوسل به عند قبره لو كان جائزاً ، ومن المعلوم أن التوسل المشروع انما هو بدعائه كما تقدم بيانه . وكما سيأتى ان شاء الله . بل فى ذلك أصرح دلالة على المنع من التوسل به التوسل الشرعى بعد وفاته بدليل أنه لا أكمل من هدى الصحابة ولا تعظيم للرسول فوق تعظيمهم ، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم ، ومع ذلك لم يكن أحد منهم قط يأتى الى قبره ويقول يا رسول الله : فعلت كذا وكذا فاستغفر لى ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت .

(وأما قوله) وأنت تعلم أن استغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الواردة مما سننقله .

فأقول : لو كان طلب الاستغفار منه ﷺ جائزاً بعد وفاته عند قبره أو من مكان بعيد منه ، أو كان مشروعا لأمر به أمته وحضهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولكان الصحابة رضى الله عنهم وتابعوهم باحسان أرغب شىء فيه وأسبق اليه ، ولم ينقل عن أحد منهم قط ، وهم القدوة بنوع من أنواع الاسانيد أنه جاء الى قبره ليستغفر له ولا شكاليه ، ولا سأله ، وقد تقدم بيان هذا .

(وأما قوله) لا يقال ان الآية وردت فى قوم معينين فلا عموم لها الخ .
فأقول : نعم الأمر كما أقر به الخصم فى هذا المقام من أن الآية وردت فى

قوم معينين من أهل النفاق يدل عليه قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالى إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) فهي تعم ما وردت فيه وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه من كل منافق قيل له تعالى إلى ما أنزل الله وإلى الرسول فصدّ عن الرسول صدوداً وتحاكم إلى الطاغوت ، ثم جاء الرسول في حياته فاستغفر الله واستغفر له الرسول في حياته ، وأما المؤمن الذي عصى وظلم نفسه فجاء قبر الرسول ﷺ فاستغفر الله فليس مثله لما تقدم بيانه .

فصل

(قال العراقي) ومنها قوله تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فنسب الله تعالى الاستغاثة إلى غيره من المخلوق ، وكفى به دليلاً على جوازها ، فإن قيل إن المستغاث في هذه الآية حي وله قدرة ، وإنما كلامنا في الميت ، أجب بأن نسبة القدرة إليه إن كانت استقلالاً فهي كفر ، وإن كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا فلا ، فرق بين الحي والميت ، فإن الميت له كرامة ، وإذا لم تنسب إلى الله حقيقة وإلى غيره مجازاً كانت الاستغاثة ممنوعة ، ومن هنا تعلم سر نبي النبي ﷺ الاستغاثة عن نفسه عند ما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال عليه السلام لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله ، مع أن النبي ﷺ كان حينئذ حياً وله قدرة ، فانما قصد ﷺ نبي الاستغاثة الحقيقية فأراد تعليم أمته أنها لا تكون إلا بالله .

(والجواب) أن يقال هذه شبهة داود وإنما تصرف فيها هذا ولم يخرج عن مقصوده بشيء فقال شيخنا رحمه الله : وقوف أهل البصائر على هذا الكلام يكفي في رده وإبطاله ويبان ما فيه من الجهل الغليظ وهذا الصنف من الناس إنما أوتوا من بعدهم عما جاءت به الرسل وكونهم أجانب عنه ليسوا من أهل الوراثة النبوية فهم في ظلمات بعضها فوق بعض وهذه الآية الكريمة فيها الخبر عن الأسرائيلي لأنه استغاث موسى على القبطي الذي هو من عدوه ، والأفعال العادية القائمة

بفاعله تنسب اليه وتضاف اليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله ، فيقال أكل وشرب وقام وقعد وقال وحكى ودعا واستغاث حقيقة لا مجازاً باجماع العقلاء ولم يخالف في اضافة الأفعال إلى فاعلها حقيقة إلا من هو أجهل الناس وأضلهم عن سواء السبيل ، وهذا لم نقل بمنعه حتى يستدل علينا بالنسبة التي في الآية ، مع أن الاستدلال بها يترجم عن جهل المعارض وعدم فهمه عن الله وقد نسب الرب تبارك وتعالى إلى أعدائه ما نسبوه اليه من اتخاذ الصاحبة والولد وجعل الشركاء معه والنسبة لا يستدل بها من يعقل ما يقول بل الدليل في حكايته على وجه التقرير وعدم الإنكار قال تعالى (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون) وقال تعالى (وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون) فهذا كله منسوب الى فاعله حقيقة أفيقال بجوازه ؟ وأنه لو كان ممنوعاً لما جازت النسبة ، ويقال هذا مجاز أصبح نفيه عنهم ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، والعراقي جاهل الدين والمذهب واللسان بل الجاهلية لا تقول ان النسبة الى الفاعل مجاز ولا تقول أنها تدل على عدم المنع عما نسبته الى فاعله والغرض بيان ما في كلام هذا من الفساد المتناهي ، والآية ليست مما نحن فيه فان الإغاثة المثبتة ليس الدليل على اثباتها النسبة وإنما هو ما جاءت به الشريعة الكاملة من جواز معاطاة الأسباب العادية واستعانة الخلق بعضهم بعضاً في الجملة والدليل من الآية ترك انكاره وسياقه على وجه التقرير ، ومسألة المخلوق محرمة في الاصل وإنما البحث في الاسباب العادية للضرورة والحاجة ، ولهذا بايع النبي ﷺ بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس ، فكان أحدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد ناولينه .

وقول العراقي : وأما ما قيل ان هذا حى ، وله قدرة ، فان كان نسبة القدرة اليه استقلالاً فهو كفر ، وان كان بقدرة الله وهو سبب ووسيلة فلا فرق بين الحى والميت (يقال) هذا تخليط وهذيان ، فان المسلمين متفقون على قول

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، يؤمنون بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعلمون) خلق في الحى اختياراً ومشينة بها يثاب وبها يعاقب وبها يكلف ، والميت ليس له قدرة الحى ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته وتطوى صحيفته ، ولا يسأل ولا يستفتى ولا يرجع اليه فى شىء مما للعباد عليه قدرة ، وسائر الحيوان يفرقون بين الحى والميت .

والعراقى يقول : لا فرق عنده بين الحى والميت ، قال تعالى (وما يستوى الاحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور) واستغاثه الميت ليست سبياً كاستغاثه المخلوق فيما يقدر عليه ، ولم يجعل هذا سبياً الا عباد الاصنام الذين هم أضل خلق الله ، يجعلون الأموات سبياً ووسيلة ، والميت ليس فى شرع الله وما جاءت به رسله أن يدعو لمن دعاه والكرامة ليست فعله بل هى فعل الله ، والمكرم لا يدعى ولا يستغاث به ولا يرجى لشىء من الشدائد ، بل هذا فعل المشركين كما تقدم ، والقول بأن الله يقدره ظن وخرص لا يرجع اليه فى دينه إلا ضال يتمسك بالأوهام الوثنية .

(وقوله) والجميع راجع الى قدرة الله لا ينقذه من المحذور ، فان المشركين يعترفون بربوبية الله لآلهتهم ويعلمون أنها لا تستقل بشىء دونه ، ولا تجوز نسبة الاغاثة الى الموتى والغائبين ولو مجازاً لاختصاصه تعالى بالعلم والقدرة والغوث الباطنى ، والنبي ﷺ نفي الاستغاثه عن نفسه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه وأدباً مع ربه ، لا لأن الاغاثة لا تنسب الى المغيث بالتسبب العادى حقيقة وانها تنسب مجازاً كما توهمه الغيى الاكبر ولم يرد تعليم أمته ، ان الاستغاثه انما تنسب للمخلوق مجازاً فان ما جاء به من الكتاب والسنة دال على اضافة الفعل لمكتسبه ومن قام به ، ولذلك رتب الثواب والعقاب والجزاء والحساب ولم يقل قول العراقى الا القدريه المجبرة ومن نحاً نحوم من الجهمية ورد عليهم أهل السنة بما يطول ذكره نقلاً وعقلاً ، وقالوا لو كان مجازاً لصح نفي أفعال المكلفين عنهم وكانوا بمنزلة الجمادات التى يحركها الغير ويفعل بها من غير قصد لها ولا اختيار ويكون التعذيب والثواب يرجع الى مجرد المشينة والإرادة من غير فعل للعبد

يستحق به الثواب والعقاب ، وأما اضافة الاغاثة والانبات الى الغيث والريـع كما فى الحديث وكما فى قولهم أنبت الريحـ البقل فلم يجعل الغيث فاعلا ، كما زعمه هذا الاعجمى الذى لا يعقل شيئا من اللغة غاية ما قالوا إنه مجاز عقلى كما يعلم من رسالة السكاكى والاضافة قد تقع ولو إلى أدنى ملابسة .

(وقول العراقى) لجعل الغيث هو فاعل الاغاثة مع أنه عرض هذا بما يدل على أنه لا يفرق بين العرض والجوهر ومن بلغ جهله الى هذا الحد سقط الكلام معه والقصد اعلام الطالب أن اعداء شيخنا من أجهل الورى وأضلهم الى آخر كلامه رحمه الله .

فصل

(قال العراقى) ومنها قوله تعالى : (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) ، قال بعض المفسرين إن العهد قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعليه فعنى الآية لا يشفع الشافعون إلا لمن قال لا إله إلا الله وهم المؤمنون كقوله تعالى : (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو معنى بعيد أن يكون حينئذ تقدير الآية لا يملكون الشفاعة لأحد الا من اتخذ الى آخره ، وفيه من التكلف ما فيه والاحسن أن يكون تفسير قوله لا يملكون بمعنى لا ينالون ، حينئذ يصح الاستثناء بدون تقدير شيء ، وقيل معناه لا يملك الشفاعة الا من قال لا إله الا الله . أى لا يشفع الا المؤمنون ومثله قوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق) والشهادة بالحق هى قول (لا إله الا الله) وحيث كان المراد من التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين والطلب منهم هو استشفاعهم ، وقد اخبر تعالى أنهم يملكون الشفاعة فأى مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى ، وانما الممنوع هو طلب الشفاعة من الاصنام التى لا تملك شيئا منها . (والجواب) أن يقال : ما أعظم جرأة هذا الملحد على كلام الله بوضعه على غير موضعه وعلى توهين ما قرره أئمة التفسير من السلف رضوان الله عليهم

فذكر كلام أئمة التفسير ليتبين ضلال هذا الملحد وعدم ادراكه فنقول : قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري يقول تعالى ذكره لا يملك هؤلاء الكافرون برهم يا محمد يوم يحشر الله المتقين اليه وفدا . الشفاعة حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم الا من اتخذ منهم عند الرحمن في الدنيا عهداً بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار به والعمل بما أمر به ، ثم ساق بسنده الى ابن عباس قوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ، قال العهد شهادة أن لا اله الا الله ويتبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجون الا الله ، وبسنده عن ابن جريج قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال عملاً صالحاً ، وبسنده الى قتادة قال أى بطاعته ، وبسنده الى عوف ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ ، إن شفاعتى لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً ، ومن فى قوله (الا من) موضع نصب على الاستثناء ولا يكون خفضاً بضمير اللام ولكن قد يكون نصباً فى الكلام فى غير هذا الموضع وذلك كقول القاتل أردت المرور اليوم الا العدو فانى لا أمر به فيستثنى العدو من المعنى وليس ذلك كذلك فى قوله (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً لأن معنى الكلام لا يملك هؤلاء الكفار الا من آمن بالله فالؤمنون ليسوا من اعداد الكافرين ومن نصبه على أن معناه الا لمن اتخذ عند الله الرحمن عهداً فانه ينبغى ان يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام حيثئذ : (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) فيكون معناه عند ذلك (الا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً) فاذا جعل لا يملكون الشفاعة خبراً عن المجرمين فان من تكون حيثئذ نصباً على انه استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لا يملكون الشفاعة لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يملكه ، انتهى .

وقال الخافظ بن كثير رحمه الله تعالى (لا يملكون الشفاعة) أى ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) هذا استثناء

منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ، قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عثمان بن خالد الواسطي ، حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابن أبي فاختة عن الأسود بن يزيد قال : قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الآية (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ثم قال اتخذوا عند الله عهداً فإن الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا أبا عبد الرحمن فعلنا قال : قولوا اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا ، انك أن تكلفني إلى عملي يقربني من الشر ويباعدني من الخير ، واني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهداً تؤديه إلى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ، قال المسعودي فحدثني زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود كان يلحق بهن خائفاً مستجيراً مستغفراً راهباً راغباً اليك ، ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بنحوه ، انتهى .

فاذا تبين لك كلام أئمة التفسير ، وأن الاستثناء في آية مريم لا يفيد اثبات الملك ، والأكثر على أنه منقطع أو على القول بأنه متصل فلا حجة فيه بل هو كقوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فالاستثناء دليل على حصولها ووقوعها ، لا على أنها تملك كسائر الأملاك العادية وكما يظنه أهل الجاهلية ، وكما يقول هذا الملاحد إن الله ملكهم الشفاعة فأى مانع من طلب شيء مما ملكوه باذنه تعالى ؟ إلى آخر كلامه . ومراده أنهم يملكونها كما يملك الملوك أمواهم فيتصرفون فيها بما يشاءون ، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن والسنة ، وأجمع عليه علماء الأمة فانه قد دل القرآن والسنة واجماع الأمة على أن الشفاعة بيده سبحانه ملكا له خاصة لا يتقدم أحد فيها إلا باذنه ولا تنال إلا من رضى قوله وعمله من أهل الايمان والتوحيد والاحاديث صريحة في أنه ﷺ - وهو سيد الشفعاء - لا يشفع ابتداء وأنه يحذر له حداً ويعين له من أراد الله

رحمته ، واكرام نبيه بالشفاعة فيه ، فهو عبد مأمور مدبر لا مالك متصرف قال تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) وقوله (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) وقد تقدم الكلام فيها وان بعض المفسرين قرر أن الاستثناء منقطع ليس فيه اثبات للملك فهو بمعنى الاستدراك من مضمون الجملة ، ويدل هذا نصوص الكتاب والسنة .

قال شيخ الاسلام « وقوله تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله) فيه قولان قيل هو استثناء متصل ، وأنه يملك من ذلك ما ملكه الله ، وقيل هو منقطع والمخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً بحال ، فقوله (الا ما شاء الله) استثناء منقطع أى لكن يكون من ذلك ما شاء الله ، كقول الخليل ، ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئاً ، أى لا أخاف أن تفعلوا شيئاً لكن إن شاء ربى شيئاً كان . والا لم يكن والا فهم لا يفعلون شيئاً وكذلك قوله (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) ثم قال (الا من شهد بالحق) فتفعله الشهادة كقوله (لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً) وبسط هذا له موضع آخر ، انتهى .

اذا عرفت هذا فقول هذا الملحد فإى مانع من طلب شيء عما ملكوه باذن الله تعالى ، فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى (فيقال) المانع من ذلك أنك قد أتيت بسبب يمنع حصولها ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الاستغاثة بغيره ودعاءه والاتجاه اليه سبباً لحصول اذن الله للشافع أن يشفع ، وانما السبب كمال التوحيد باخلاص الدعاء لله والاستغاثة به لا بغيره والطلب من الله تعالى أن يشفع فيه عبده لا طلبها من العبد ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن أنواعه - أى الشرك - طلب الخوائج من الموتى والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله أن يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله الا باذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لاذنه وانما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن وهو بمنزلة من استعان فى حاجته بما يمنع حصولها ، وهذه حال كل مشرك ، فجمعوا

بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعادات أهل التوحيد ونسبة أهله الى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم وعيهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما اكثر المستجيبين لهم وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر الا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده ، فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستغاثه بالله والتجاء الى الله واستعانت بالله وقصده الله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته ، اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله ، واذا عمل عمل الله فهو لله وبالله ومع الله ، انتهى .

(وأما قوله) وانما الممنوع هو طلب الشفاعة من الأصنام التي لا تملك شيئاً منها .

(فأقول) هذا لم يقله أحد من أهل العلم وانما هي شبهة عراقية وتعلقات خيالية ، لا تلقى الا بعقول هؤلاء الوثنية الذين ليس لهم معرفة بالأحكام الشرعية فبعداً للقوم الظالمين .

فصل

قال العراقي : ومنها ما رواه ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تنقذني من النار ، وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ، اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك فقد توسل النبي عليه الصلاة والسلام . في قوله : اني أسألك بحق السائلين عليك بكل عبد مؤمن وأمر اصحابه ان يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله ولم يزل السلف من التابعين

ومن يتبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد .

(فالجواب) أن يقال : هذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف ، قال شيخ الإسلام لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب فإن حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم وحق المطيعين له أن يثيبهم فالسؤال له والطاعة له للحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ولو قدر أنه قسم لكان قسماً بما هو من صفاته فإن اجابته واثابته من أفعاله وأقواله فصار هذا كقوله ﷺ في الحديث الصحيح : أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة إلى آخر كلامه فتبين من كلام الشيخ أن السؤال بحق السائلين هو إجابتهم وسؤاله بحق الطائعين إاثابهم فيكون السائل بهاتين الصفتين سائلاً بصفات الله فإن الإجابة والاثابة من أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى وسؤاله بأسمائه وصفاته والتوسل بها ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وفي الحديث عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال : دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب ، رواه الترمذي وأبو داود إلى غير ذلك من الأحاديث وكذلك التوسل بالأعمال الصالحة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة كما روى عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « بينا ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فقالوا إلى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها » الحديث متفق عليه وهو في الصحيحين . فليس في حديث أبي سعيد الخدري ما يدل على ما ادعاه هذا الملقب من التوسل بذوات الأنبياء والأولياء والصالحين فضلاً عن دعائهم والاستغاثة بهم والالتجاء إليهم وبهذا يتبين عدم معرفتهم بمعاني ما أنزل الله على رسوله

ومعاني كلام رسوله وأن هذا المعترض وأشباهه أجنب من ذلك لا عهد لهم به ولا تميز عندهم فالله المستعان .

(قال العراقي) ومنها قوله ﷺ اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانباء الذين من قبلي الى آخر الحديث رواه الطبراني في الكبير وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضى الله عنه وفاطمة هذه أم على كرم الله وجهه التي ربت النبي ﷺ إلى آخر كلامه .

(والجواب) أن يقال : في سنده روح بن صلاح المصرى ضعفه ابن عدى وتصحيح الحاكم له لا يجدى شيئاً فإنه جمع في مستدركه من الاحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة جملة كثيرة وقد روى فيه جماعة من المجروحين في كتابه في الضعفاء . وأما رواية الطبراني له فيقال لهذا الملحد كم في الطبراني حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل بأسماء الله وصفاته وانابة الوجوه اليه فما أعمى عينك عنها ؟ هل هناك شيء أعماها سوى الجهل والهوى ؟ وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد وقال شيخ الاسلام قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت أحداً قال بجوازه الا ابن عبد السلام في حق نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أترى هذا الحديث خفى علماء الامة لم يعلموا ما دل عليه ثم لو سلمنا صحته أو حسنه ففيه ما سيأتى في حديث الاعمى أن المراد بدعاء نبيك الى آخره وأى وسيلة لنوات الانبياء لمن عصى أمرهم وخرج عما جاءوا به من التوحيد والشرع ، قال شيخ الاسلام فإذا قال الداعى أسألك بحق فلان - وفلان لم يدع له - وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص أو بحبيته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأل به بسبب يوجب المطلوب ، انتهى .

فصل

(قال العراقي) ومنها ما رواه الترمذى والنسائى والبيهقى والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني . فقال : « ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير لك » .

قال : فادعه فأمره ان يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء « اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد بنى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى ، اللهم فشفعه فىّ ، فعاد وقد أبصر وخرج هذا الحديث البخارى أيضا فى تاريخه وابن ماجة والحاكم فى المستدرک باسناد صحيح وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير والصغير فقد أمر النبي ﷺ الرجل الضرير أن يناديه ويتوسل به الى الله فى قضاء حاجته . قد تقول الوهايه أن هذا انما كان فى حياة النبي ﷺ فليس يدل على جواز التوسل به بعد موته فتجيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضا بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم ، يدل عليه ما رواه الطبرانى والبيهقى أن رجلا كان يختلف الى عثمان رضى الله عنه زمن خلافته فى حاجة ولم يكن ينظر فى حاجته فشكى الرجل ذلك لعثمان بن حنيف فقال له : إئت الميضاة فتوضأ ثم إئت المسجد فصل ثم قل اللهم إنى أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد بنى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتى وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضى الله عنه فجاءه الباب فأخذ يده وأدخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له : ما كان لك من حاجة فاذكرها فلما خرج الرجل من عنده لقي ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته لى ، فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره ، الحديث . فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم على أن النبي ﷺ حيّ فى قبره فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

والجواب أن يقال : هذا الحديث - أعنى حديث الاعمى - غير محفوظ وفيه مقال مشهور ، وفى سنده أبو جعفر عيسى بن أبى عيسى بن ماهان الرازى التميمى قال الحافظ بن حجر فى التقریب الاكثر على ضعفه ، وقال احمد والنسائى ليس بالقوى ، وقال أبو حاتم صدوق ، وقال ابن المدينى ثقة كان يخط ،

وقال مرة يكتب حديثه إلا أنه يخطئ . وقال القلانسي سيء الحفظ ، وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال أبو زرعة يهمل كثيراً . وقال الحافظ في التقریب أيضاً في ترجمة الرازي التميمي أبو جعفر الرازي التميمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان وأصله من مرو ، وكان يتجر إلى الري صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة مات في حدود الستين . انتهى .

وعلى تقدير صحته وثبوته فلا يدل على ما توهمه هذا الملحد ، وبيان هذا الحديث يعلم انما توهمه هؤلاء الغلاة غير صحيح فقوله : اللهم اني اسألك أي أطلب منك وأتوجه اليك بنبيك محمد صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعاً منه لكون التعليم من قبله ، وفي ذلك قصر السؤال الذي هو أصل الدعاء على الله تعالى الملك المتعال ؛ ولكنه توسل بالنبي ﷺ بدعائه ولذا قال في آخره : اللهم فشفعه في إذ شفاعته لا تكون إلا بالدعاء لربه قطعاً ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى إذ التوسل بقوله بنبيك كاف في افادة هذا المعنى فقوله : يا محمد اني توجهت بك الى ربي ، قال الطيبي : الباء في بك للاستعانة . وقوله : اني توجهت بك بعد قوله أتوجه اليك فيه معنى قوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بآذنه) فيكون خطاباً لحاضر معين في قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذي هو عين شفاعته ، ولذلك أتى بالصيغة الماضية بعد الصيغة المضارعية . المفيد كل ذلك أن هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه ، انتهى .

وقال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم : والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعله النبي ﷺ دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته بنبيه فيه ، فهذا يدل على أن النبي شفع فيه وأمره أن يسأل قبول شفاعته ، وأن قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ،

أى بدعائه وشفاعته كما قال عمر : كنا نتوسل اليك نبينا ، فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : يا محمد يا رسول الله انى أتوجه بك الى ربي فى حاجتى ليقضها اللهم فشفعه فى . فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه . وقوله : يا محمد يانى الله ، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى فى القلب فيخاطب المشهود فى القلب كما يقول المصلى : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره فى نفسه ، وان لم يكن فى الخارج من يسمع الخطاب ، فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ، يراد به التسبب لكونه داعياً وشافعاً مثلاً ، أو لكونه الداعى محباً له ، مطيعاً لأمره ، مقتدياً به ، فيكون التسبب اما بمحبة السائل له ، واتباعه له ، واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به ، والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا منه ولا من السائل ، بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثانى هو الذى كرهوه ونهوا عنه ، وكذلك السؤال بالشئ قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب لكونه سبباً فى حصول المطلوب ، وقد يراد به الاقسام الى آخر ما قال رحمه الله اذا عرفت هذا فليس فى حديث الاعمى ما يدل على التوسل به ودعائه ، والالتجاء اليه بعد وفاته ، وانما فيه أنه توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك ويسألونه الاستغفار والدعاء .

(وأما قوله) قد تقول الوهاية أن هذا انما كان فى حياة النبي ﷺ الخ . فنقول نعم .

(وقوله) فتجيب أن الدعاء هذا قد استعمله الصحابة والتابعون أيضاً بعد وفاته ﷺ لقضاء حوائجهم .

فنقول : قد علمنا أنك أجبت كما أجاب من قبلك ، ولكن بجهام قد أهرق ماؤه فهو يرعد ويبرق ولا ماء فيه .

(وأما قوله) يدل عليه ما رواه الطبرانى والبيهقى أن رجلاً كان يختلف الى عثمان وساق الحديث كما تقدم .

(وجوابه) عما أجاب به أن هذا الحديث لا يصح وفي سنده روح بن صلاح وقد ضعفه بن عدى ، بل قد قال بعضهم ان أمارات الوضع لائحة عليه فكيف يعارض به جميع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهل سمعت أحداً منهم جاء إليه بعد وفاته الى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لا سيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه ، فلو صح عند أحد منهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمراً زمراً ، ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله . ولا وسع الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين ، نعم كان ابن عمر يأتي إلى القبر المكرم ويقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف وكذلك أنس وغيره ، فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة ، ثم اعلم ان هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم . وقد قال ﷺ « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ، وأما دعوى هؤلاء الغلاة أن الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته ، فان هذا مما يعلم بالضرورة أنه من الكذب على الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ، ولما عدل الفاروق الى التوسل بدعاء العباس ومعاوية يزيد بن الأسود الجرشى ، ولكان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم أن يتوسلوا بالنبي ﷺ ولا يطلبون من العباس أن يدعو لهم ، ومما يوضح لك الأمر وان هذا الحديث غير صحيح أن رواته مختلفون في متنه وسنده مع أنه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة ، وانما ذكره مثل البيهقي والطبراني والترمذي وأبي نعيم ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على وجه التنبيه ، وقد رأى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لائحة عليه فأعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه والله اعلم .

(وأما قوله) فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى انهم أحياء عند ربهم يرزقون .

فأقول : بل درجته فوق درجة الشهداء وأكمل حالا ، وما نال الشهداء تلك المنزلة إلا بالإيمان به ، وتصديقه ، والجهاد معه وفي سبيله فله أجره وأجرهم وأجر من آمن به الى يوم القيامة ، ولكنهم كما قال الله تعالى (عند ربهم) فهو أعلى منهم درجة ووسيلة وأقربهم اليه منزلة ، وإذا كان لا يدعى ، ولا يتوسل به بعد وفاته فهم من باب الأولى والأخرى .

فصل

(قال العراقي) ومنها ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه الى قبر النبي ﷺ وقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم هلكوا فأثارة رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يستقون واستدلانا هذا ليس بالرؤيا للنبي ﷺ فان رؤياه وان كانت حقاً لا تثبت بها الاحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائي وانما الاستدلال بفعل أحد أصحابه ﷺ في اليقظة وهو بلال بن الحارث فانه أتى قبر النبي ﷺ وناداه وطلب منه أن يستسقى لأمته .

(فالجواب) أن نقول : قد كفانا مؤنة ايضاح عدم الاعتبار بالمنامات وأنه لا يثبت بها حكم شرعي لكن نقول هذا الحديث فيه مقال مشهور ، قال الحافظ في الفتح ، وروى ابن أبي شيبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان ، عن مالك الداربي وكان خازن عمر رضي الله عنه قال أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ في المنام فقبل له اثت عمر ، الحديث . وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة فعلم أن ما روى باسناد صحيح ليس فيه أن الجاني أحد الصحابة وما فيه أن الجاني أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف ، قال الذهبي في الميزان سيف بن عمر الضبي الأسدي ، ويقال التميمي البرجي ، ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالأقدي ، يروى عن هشام ابن عروة وعبد الله بن عمر ، جابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين كان اخباريا

عارفا ، روى عنه عبادة بن المغلس وأبو معمر القطيعي والنضبن حماد العتكي وجماعة
 قال عباس عن يحيى ضعيف ، وروى مطين عن يحيى : فليس خير منه ، قال
 أبو داود ليس بشيء ، وقال أبو حاتم متروك ، وقال ابن حبان اتهم بالزندقة ،
 وقال ابن عدى عامة حديثه منكر البيروقي سمعت جعفر بن أبان سمعت ابن نمير
 يقول سيف الضبعي تسمى كان جميع يقول حدثني رجل من بني تميم ، كان سيف
 يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة ، انتهى ملخصا . قال الحافظ في التقریب سيف
 ابن عمر التميمي صاحب الردة ويقال له الضبي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف
 في الحديث عمدة في الاخبار أخش ابن حبان القول فيه ، انتهى . وقال الذهبي
 في الكاشف قال ابن معين وغيره ضعيف ، وقال في الخلاصة سيف بن تميم
 الاسدي الكوفي صاحب الردة عن جابر الجعفي وأبي الزبير وعنه محمد بن عيسى
 الطباع وأبو معمر الهزلي ضعفوه ، انتهى . فهذا ما قيل في حديث بلال
 ابن الحارث الذي رواه البيهقي وابن أبي شيبة وإن كان غير حديث بلال فغاية
 ما فيه أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن
 يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فإن
 هذا قد يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ قال شيخ الاسلام : وأيضا ما يروى
 أن رجلا جاء الى قبر النبي ﷺ فشكا اليه الجذب عام الرمادة فرآه وهو يأمره
 أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس ، فإن هذا ليس من هذا الباب
 ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع ، وكذلك
 سؤال بعضهم للنبي ﷺ أو لغيره من أمته حاجة فتقضى له . فإن هذا قد وقع
 كثيرا وليس مما نحن فيه وعليك أن تعلم ان اجابة النبي ﷺ أو غيره لهؤلاء
 السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال ، فإنه هو القائل ﷺ : ان
 أحدهم ليسألني المسألة فأعطيها إياها فيخرج يتأبطها ناراً ، فقالوا يا رسول الله
 فلم تعطهم قال : فيأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل . وأكثر
 هؤلاء السائلين الملحني لما هم فيه من ضيق الحال لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم
 كما أن السائلين في الحياة كانوا كذلك وفيهم من اجيب وأمر بالخروج من

المدينة فهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما أنه يدل على حسن حال السائل فلا وفرق بين هذا وهذا ، انتهى . فتبين من كلام العلماء ان الجأى إلى قبر النبي ليس هو بلال بن الحارث كما زعمه المعترض لأنه اعتمد على أن هذا فعل صحابي وحاشا لله من ذلك فانهم كانوا أعلم بالله وبدينه ورسوله وهم أبعد الناس عن سلوك ما يتوهمه الغلاة فبطلت الشبهة العراقية والله الحمد والمنة .

فصل

(قال العراقى) ومنها ما ذكر فى صحيح البخارى من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه من استسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمن خلافته بالعباس عم النبي ﷺ لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا ، وفى المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى أن عمر رضى الله عنه لما استسقى بالعباس رضى الله عنه قال : يا أيها الناس ان رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى .

(والجواب) أن نقول : قد ثبت فى صحيح البخارى عن أنس أن عمر استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال : اللهم انا كنا إذا أجدبنا تتوسل اليك بنينا فنتسقين ، وانا تتوسل اليك بعم نينا فاستسقين .

قال شيخ الإسلام : فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ فى حياته ، وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته فيدعوا لهم ويدعون معه كالإمام والمؤمنين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ، ولهذا قال الفقهاء : يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين ، والأفضل أن يكونوا من أهل بيت النبي ﷺ ، وقد استسقى معاوية بين يد ابن الاسود الجرشي ، وقال : اللهم انا نستسقى بيزيد بن الاسود يا يزيد ارفع يدك فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى أمطروا ، وذبح الناس ولم يذهب أحد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقى عنده ولا به ، انتهى .

فإذا هو التوسل المشروع وهذا هو المنقول عن الصحابة لا كما يلفقه هؤلاء الغلاة من الأحاديث الموضوعة والمعلولة التي لا تثبت بها الأحكام الشرعية ، وأما ما ذكره عن القسطلاني في المواهب اللدنية ، فلا شك أنه من الموضوعات لأنه لم يذكره بسند يعتمد على مثله ، وفي المواهب اللدنية من الموضوعات والأحاديث المعلولة والأقوال المردودة ما لا يحصى فلا يعتمد على مثل هذا النقل والله أعلم .

فصل

ثم قال العراقي الملحد : لا فرق في التوسل بين الأنبياء وغيرهم من الصالحاء بين كونهم أحياء أو أمواتاً لأنهم في كلا الحالتين لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير في شيء وإنما الخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له في كل ذلك .

(والجواب) أن نقول فيه كلام من وجوه (الاول) انه يعتقد كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل حتى نطق ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً ويصرحون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء .

(والثاني) أن مجرد عدم اعتقاد التأثير والخلق والإيجاد والاعدام ، والنفع والضرر إلا لله لا يبريء من الشرك ، فإن المشركين الذين بعث الله الرسول إليهم أيضاً ، كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق ، بل لا بد فيه من إخلاص توحيده وأفراده ، وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ، ومنه لا بغيره ولا من غيره وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها تكون لله .

(والثالث) أن مجرد كون الأحياء والأموات شركاء في أنهم لا يخلقون شيئاً

وليس لهم تأثير في شيء ، لا يقتضى أن يكون الأحياء والأموات متساويين في جميع الأحكام حتى يلزم من جواز التوسل بالأحياء جواز التوسل بالأموات وكيف وليس معنى التوسل بالأحياء إلا التوسل بدعائهم ، وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة ، وأما التوسل بالأموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن ، انتهى من كلام بعض المحققين . إذا عرفت ما تقدم فمن المعلوم أن الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقتلهم واستحل دماءهم وأموالهم كانوا مقرين أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار الذى يدبر جميع الأمور ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء كلها ، وأنه لا مشارك له في إيجاد شيء وإعدامه ، وأنهم لا يخلقون شيئاً وأنه ليس لهم تأثير في شيء وإنما الخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له ، وإنما كانوا يدعون الأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين ويلتجئون إليهم ، ويستغيثون بهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلنى وليشفعوا لهم عنده . لأنهم أقرب إلى الله وأرفع درجة ومنزلة ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام وقتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدين كله لله . والدعاء كله لله ، والذبح والندرة لله ، والاستغاثة والاستعانة والالتجاء إليه لا لغيره ولا من غيره ، فالإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يدخل في الإسلام بل لا بد معه من توحيد الله بأفعال العبد الصادرة منه من أنواع العبادة المتقدم ذكرها ، وهذا هو الذى قاتل عليه رسول الله ﷺ كفار العرب .

﴿ وأما قوله ﴾ وأما من يعتقد التأثير للأحياء دون الأموات فلهم أن يفرقوا بين التوسل بهم والتوسل بالأموات .

﴿ فأقول ﴾ لا يجوز لأحد أن يعتقد أن الأحياء يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله فإن اعتقاد ذلك شرك وإذا كان الأحياء لا يقدرون على شيء من ذلك فالأموات بطريق الأولى وإنما يجوز من الحى طلب الدعاء منه والاستغفار والتوسل بدعائه وشفاعته ، إذ هو قادر على ذلك ، وأما الميت فقد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً لمن استغاث به أو دعاه أو سأله أن

يشفع له ، كما قال ﷺ . اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، الحديث وهذا يدل على انقطاع الحسن والحركة من الميت ، وان أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره ، فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ، وأما الاحياء القادرون على الاسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية ، في قتال أو ادراك عدو أو دفع سبع صائل وغيره فهذا لا مانع منه ، وهذا ليس في قدرة الاموات (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) ومن سوى بينهما فقد جمع بين ما فرق الله بينه ، وكفى بذلك عتواً وعناداً .

﴿ وأما قوله ﴾ أما نحن فنقول إن الله هو الخالق لكل شيء (والله خلقكم وما تعملون) .

﴿ فأقول ﴾ كون الله تعالى هو الخالق لكل شيء وان الله خلق العبد وعمله كما قال تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) بما لامرية فيه وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة وانما ينسب الفعل حقيقة عن فاعله ومن قام به القدرية المجبرة الذين يزعمون ان العبد مجبور وانه لا اختيار له ولا مشيئة كما هو مبسوط في موضعه فاذا زعمتم أن دعاء الاموات والاستغاثة بهم والالتجاء اليهم والتعلق عليهم انما هو باعتبار التسبب والكسب العادى وانما المستغاث به في الحقيقة هو الله فاسناد العوثر الى الله تعالى اسناد حقيقى باعتبار الخلق والايجاد والى الانبياء والصالحين اسناد مجازى ، فاذا كان ذلك كذلك لزم أن يكون اسناد أفعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقياً فان اعتقاد أهل السنة والجماعة ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى وهذا يقتضى أن يتصف الله تعالى حقيقة بالايان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة ، من الكفر والفسوق والفجور والزنا والكذب والسرقة ، والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الافعال حسنها وسيئها والتزام هذا فعل من لاعقل له ولا دين ، فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الاوصاف المتضادة بل

المتناقضة ، وأيضاً فإنه لو كان مناط الاسناد المجازى اعتبار التسبب والكسب كما زعمتم ، لزم أن لا يكون الانسان حقيقة مؤمناً ولا كافراً ولا باراً ولا فاجراً ولا كاذباً فيطل الجزاء والحساب ، وتُلغى الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين ، واسناد أفعال العبد اليه حقيقة من اضافة الفعل إلى فاعله لا مجازاً لا يَنازع فيه من عرف شيئاً من اللغة فالعبد يفعل حقيقة ويأكل حقيقة ويشرب حقيقة ويهب حقيقة وينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً حقيقة ، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل .

(وأما قوله) فالوهابية التي تتظاهر بالذب عن التوحيد ، وتجاوز التوسل بالاحياء قد دخل الشرك في توحيدها من حيث لا تدري لكونها اعتقدت تأثير الاحياء ، مع أنه لا تأثير في الحقيقة إلا الله تعالى .

(فأقول) هذا قول من لا يعقل ما يقول فان الوهابية ما أجازت من التوسل بالاحياء إلا ما فعله أصحاب رسول ﷺ ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فتوسلوا بدعاء العباس ، كما كانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ ، فان كان هذا شركاً دخل عليهم ، فقد دخل على أصحاب رسول الله ﷺ ، وان لم يكن شركاً فالشرك هو العدول الى من قد انقطع عمله ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، فكيف بمن دعاها واستغاث به .

وأما التوسل بالاحياء فيما يقدرون عليه من الأسباب العادية فهذا مما لا خلاف في جوازه بين العلماء والله أعلم .

(وأما قوله) والتوسل والتشفع والاستغاثة بمآل واحد فانما المقصود منها التبرك بذكر أحياء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً فالموحد الحقيقي هو الله تعالى ، وانما هؤلاء الأسباب عادية لا تأثير لهم في ذلك .

(فأقول) التوسل والتشفع الشرعى هو التوسل والتشفع بدعائهم في حال حياتهم وطلبهم من الله تعالى كما تقدم بيانه ، وأما بالمعنى الاصلاحي المحدث وهو دعاؤهم والتبرك بهم والاتجاه اليهم وتعليق الآمال بفيض نوالهم فيما لا يقدر

عليه إلا الله تعالى ، فلا فرق بينه وبين الاستغاثة بهم ، بهذا الاعتبار وهذا هو
الشرك سواء كان المدعو حياً أو ميتاً ، وسواء اعتقد التأثير أو لم يعتقد كما تقدم
بيانه بأدلته فيما مضى .

فصل

قال العراقي الملحد : وأما قول العامي من المسلمين يا عبد القادر أدركني
ويابدوى المدد مثلاً ، فيحمل على المجاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل ، هذا
الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني ، وهذا الدواء شفاني ، فان الطعام لا يشبع ،
والماء لا يروى ، والدواء لا يشفي ، حقيقة بل المشبع والمروى والشافى الحقيقي
هو الله تعالى وحده وانما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل لما يرى من حصوله
بعدها في الظاهر .

(فالجواب) أن يقال : قد تقدم في كلام شيخ الاسلام قوله « فكل من
غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول : ياسيدي
فلان انصرني ، أو أغثنى ، أو ارزقني » أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال
ان هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل ، إلى آخر كلامه وتقدم
قوله : « وأيضاً فإن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم
ويسألهم كفر اجماعاً ، وقال صنع الله الحلبي : فمن اعتقد أن لغير الله من نبي «
أو ولي ، أو روح . أو غير ذلك في كشف كربة ، وقضاء حاجة تأثيراً فقد وقع
في وادى جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير » . وأما كونهم مستدلين
على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن تكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن
أهل الاوثان كذا أخبر الرحمن (هم شفاعونا عند الله « ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى ») أتأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تنفع عني شفاعتهم
شيئاً ولا ينقذون) فان ذكر من ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي وولي
وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير
إلا خيره ، انتهى . وقال الامام ابن عقيل في فنونه « لما صعبت التكليف على

الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم
فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندى كفار بهذه الأوضاع
مثل تعظيم القبور وتخليقها ، وطلب الحوائج من الموتى ، ودس الرقاق فى القبور
فيها يامولأى افعل بى كذا وكذا ، انتهى .

(وقوله) فيحمل على المجاز العقلى .

فيقال لهذا الملحد : الجواب من وجوه (الأول) ان هذه الالفاظ دالة
دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى .

(والثانى) لو سلم هذا المحمل لاستحال الارتداد وانسد باب الردة الذى
يعقده الفقهاء فى كل مصنف وكتاب من كتب اهل المذاهب الاربعة وغيرها ،
فان المسلم الموحد متى صدر منه قول أو فعل موجب للكفر يجب حمله على
المجاز والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز .

(والثالث) انه يلزم على هذا ان لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله
بشركهم مشركين فانهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق ، الضار النافع
وان الخير والشر بيده ، لكن كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم الى الله زلفى ،
فالاعتقاد المذكور قرينة على ان المراد بالعبادة ليس معناه الحقيقي ، بل المراد
هو المعنى المجازى اى التكريم مثلا ، فما هو جوابكم فهو جوابنا .

(والرابع) ان هؤلاء الذين أولتم عنهم فى تلك الالفاظ الدالة على تأثير
غير الله فما تفعلون فى اعمالهم الشركية من دعاء غير الله ، والاستغاثة ، والذبح ،
والذبح ، فان الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله . بل اذا صدر من احد
عبادة من العبادات لغير الله صار مشركا سواء اعتقد ذلك الغير مؤثرا أم لا .
وقد تقدم الكلام على الأسباب العادية وما يقال فيها فيما مضى .

(وأما قوله) ومعظم الأمة اجمعوا على جواز التوسل به بغيره وبغيره
من الصحابة والصالحين ، فقد صدر من كثير من الصحابة والعلماء من
السلف والخلف .

(فأقول) أما اجماعهم على جواز التوسل بهم التوسل الشرعى بدعائهم

وشفاعتهم في حال حياتهم فهذا حق ، وأما بعد وفاتهم فعاذ الله وقد تقدم بيانه ،
وأما بالتوسل الشركي فهم مجمعون على كفر فاعله بعد قيام الحجة عليه لا ينكره
إلا مكابر .

(وقوله) واجتماع أكثرهم على الحرام والاشراك لا يجوز لقوله ﷺ في
الحديث الصحيح وقيل المتواتر . لا تجمع أمتي على ضلالة . ولقوله تعالى (كنتم
خير أمة أخرجت للناس) فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة .

فأقول : المقصود بالآمة في الحديث هم أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية
المنصرون إلى قيام الساعة ، وهم المعينون بقوله في الحديث الصحيح ، وستفترق
أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل يا رسول الله من
هم ؟ قال . من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ، فمن كان على مثل
ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فهو من الآمة الذين اجماعهم حجة
وهم الفرقة الناجية ، قليلا كانوا أو كثيراً بخلاف عباد القبور المتخذين
الانبياء والاولياء ، والصالحين ولائح يدعونهم مع الله ، ويشركونهم في عبادته ،
ويستغيثون بهم في المهمات والملمات ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفرج
الكربات ، وإغاثة اللهفات ، فهؤلاء ليسوا من آمة الاجابة الذين استجابوا لله
والرسول ، بل هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة مخالفون لما عليه
الآمة من أهل السنة والجماعة مجتمعون على الضلالة .

وقد قال الفضيل ابن عياض ما معناه : الزم طرق الهدى ، ولا يغرك قلة
السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ، ولا تغتر بكثرة الهالكين . وقال بعض
السلف : اذا وافقت الشريعة ، ولاحظت الحقيقة ، فلا تبال وإن خالف رأيك
جميع الخليفة .

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهيان . فالبصير الصادق
لا يستوحش من قلة الرفيق ، ولا من فقدته إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل
الاول (الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين
وحسن أولئك رفيقاً) منفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق طلبه ،

إلى أن قال وما أحسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب الحوادث والبدع حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة ، فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك به قليلا ، والمخالف له كثيرا لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ، ولا تنظر الى كثرة أهل الباطل بعدهم ، قال عمر وابن ميمون الأودى صحبت معاذاً باليمن فما فارقتهم حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد الله بن مسعود فسمعتهم يقول : عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول : سبى عليكم ولالة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة ، وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، فقلت : يا أصحاب محمد ما أدرى ما تحدثونا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ، ثم تقول : صل الصلاة وحدك وهي الفريضة ، وصل مع الجماعة وهي النافلة . قال يا عمر وابن ميمون : قد كنت أظنك من أئمة أهل هذه القرية تدري ما الجماعة ؟ قلت : لا . قال : ان جمهور الناس الذين فارقوا الجماعة ، الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك .

وقال نعيم بن حماد : اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد ، وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ . وعن الحسن قال : السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجاني فاصبروا عليها رحمكم الله ، فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ، ولا مع أهل البدع ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك انشاء الله فكونوا ، وكان محمد بن أسلم الطوسي الامام المتفق على امامته من اتباع الناس للسنة في زمانه حتى قال : ما بلغني سنة عن رسول الله ﷺ الا عملت بها ، ولقد حرصت أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك ، وسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذي جاء فيهم الحديث « اذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم » من السواد الأعظم قال محمد بن أسلم الطوسي : هو السواد الأعظم ، انتهى . وكلام العلماء في الجماعة

الذين هم السواد الأعظم كثير جداً وذكروا أنهم هم الذين كانوا على ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، ولو ذهبنا نذكر أقوالهم لخرجنا عن المقصود بالاختصار والمقصود أن الأمة التي لا تجمع على ضلالة هم أهل السنة والجماعة وإن قلوا ، وأن الأكثرين هم الذين قال الله فيهم (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) .

فصل

قال العراقي : ومن أدلة جواز الاستغاثة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ ذكر في قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت : أغث إن كان عندك غوث . فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركاً لما طلبت الغوث ولما ذكر النبي ﷺ لأصحابه ولم ينكره ولما نقله الصحابة من بعده وذكر المحدثون .

(والجواب) أن نقول الكلام فيمن يستغاث به عند الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله أو سؤال ما لا يعطيه إلا الله ولا يمنعه إلا الله وأما ما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاقد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض في الأمور العادية فهذا لا نمنع منه ونقول به وليس الكلام فيه ولفظ الاستغاثة لفظ مشترك بين ما يجوز وبين ما لا يجوز فاما ما يجوز فما قدمنا ذكره مما هو في مقدور العبد والذي لا يجوز وفاعله يكون مشركاً هو طلبها من الأموات والغائبين من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كما نطق بذلك الآيات والاحاديث النبوية وقصة هاجر قد أورها البخاري في باب قوله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) من كتاب أحاديث الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمقصود من القصة أن هاجر عليها السلام لم تطلب إلا من حاضر محسوس وليس ما طلبته مما أختص طلبه بالله سبحانه فانها طلبت من المصوت ما يسد جوعتها ويروى غلتها كما يقول المنقطع في الطريق العادم الزاد والماء إذا مرَّ عليه أحد وأحس به اغتنى بما عندك من ماء وطعام

واعطى مما تفضل الله به عليك من الانعام ، أفيقال لهذا انه طلب ما لا يقدر عليه
الا الله والتجأ في شدته الى من سواء ، فقاتل الله أهل الكفر والضلال كيف لعب
الشیطان بعقولهم حتى أوردهم المهالك ، انتهى باختصار من قول بعض أهل
التحقيق من أهل العلم .

فصل

قال العراقي . ومنها ما رواه البخارى فى حديث الشفاعة . ان الخلق بينهما هم
فى هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم بآبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وكلهم
يعتذرون ويقول عيسى اذهبوا الى محمد فيأتون اليه ﷺ فيقول أنا لها ، الحديث
فلو كانت الاستغاثة بالخلق ممنوعة لما ذكرها النبي ﷺ لاصحابه رضى الله عنهم
وأجاب المانعون أن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبي ﷺ قدرة ورد عليهم
انهم فى حياتهم الدنيوية لا قدرة لهم إلا بنوع التسبب فكذلك بعد الموت
على أنهم أحياء فى قبورهم يتسبيون .

(والجواب) أن نقول : قال بعض المحققين من أهل العلم فى جوابه . ان
استغاثة الناس بالنبي ﷺ وقبلة بآدم ثم بنوح الى آخر حديث الشفاعة فهذه
شفاعة بالدعاء . والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلاً وشرعاً
ومن ذلك الرفقة يستغيث بعضهم بعضاً أى فى مهماتهم التى يقدرون عليها وكذلك
ما طلب الناس منه وهى الشفاعة التى هى الدعاء وكذلك يقول سيد الشفعاء ﷺ
فى آخر الحديث فأجىء فأسجد وأنه يلهمه الله من التناء والدعاء شيئاً لم يلهمه
لغيره ﷺ فعند ذلك يأذن الله بالشفاعة ويقول له كما ورد فى الحديث :
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهذا ظاهر جداً وأما ما أورده
على الجواب من أن المستغاث بهم قدرة كسبية وتسبباً فتنسب الاغاثة اليهم بهذا
المعنى سواء كانوا أحياء أم أمواتاً وسواء كانت الاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث
أم لا مدفوع بأن كون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية
لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا يلجأ

في ذلك اليه فلا يقال لأحد حي أو ميت قريب أو بعيد أرزقني أو أمتني أو أوحى
 ميتي أو أشف مريضى الى غير ذلك مما هو من الافعال الخاصة بالواحد الأحد
 الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها من أهله الله
 لها أعنى في حمل متاعى أو غير ذلك والقرآن ناطق بمحصر الدعاء عن كل أحد
 لا من الاحياء ولا من الاموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء
 كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو غيرها فان الامور الغير المقدورة للعباد لا تتطلب
 إلا من خالق القدر ومنشئ البشر كيف والدعاء عبادة وهى مختصة به سبحانه
 بقى ما أدلى به العراقي واضرا به علينا من حياة الانبياء ليتوصلوا به الى ترويج
 مدعاهم من استحسان دعائهم وطلب إغاثتهم وأولوه بأن مرادهم من ذلك
 الاستشفاع طلب أن يدعوا لهم فنقول هذا حق ثابت فنعتقد حياتهم صلى الله
 تعالى عليهم وسلم حياة برزخية فوق حياة الشهداء وأن نبينا ﷺ قد جعل عند
 قبره الشريف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم والنائين عنه
 وأن الانبياء جميعهم طريون لا تأكل الارض أجسامهم الشريفة ولكننا نمنع
 أن يطلب منهم شيء فلا يسألوا شيئاً بعد وفاتهم سواء كان بلفظ الاستغاثة
 أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك لجميع ذلك من وظائف الألوهية فلا يليق
 جعلها لمن يتصف بالعبودية من البرية فان ادعى أحد أن حياتهم صلى الله تعالى
 عليهم وسلم اذا ثبتت الرواية بها حقيقة كما هو الأصل فى حمل الالفاظ على
 حقائقها ولم تثبت قرينة على التجوز بها فتبقى على حقيقتها أجنباه قائلين لا شك
 أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال
 وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك من وظائف الحياة وحيث انتفت حقيقة
 هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال بالموت الحال به ﷺ -
 وأرواحنا له الفداء - كما قال تعالى : (انك ميت وانهم ميتون) وقال عز من
 قائل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل) الآية ،
 وحلول الموت به ﷺ أمر لا يمكن انكاره - الى أن قال - ثبت الحياة الاخرى
 برزخية وهى متفاوتة بخياة الشهداء فوق حياة المؤمنين وحياة الانبياء أعلى من

حياة الشهداء فنقتصر على ما ثبت لها في النصوص القطعية من الاحوال المستحسنة المرضية ، الى آخر كلامه وقد تقدم الكلام على قوله فكذلك بعد الموت على أنهم أحياء في قبورهم يتسبيون وان الميت قد انقطع عمله فلا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف بمن استغاث به وهذا ظاهر والله الخد والمنة .

فصل

قال العراقي : ومنها ما رواه الطبراني عن زيد بن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال : « اذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني فان لله عبداً لا يرام ، لا يقال أن المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلو الجن أو رجال الغيب ، وهؤلاء كلهم أحياء فلا يستدل بالحديث على الاستغاثة بالاموات والكلام فيهم ، لانا نقول لا صراحة في الحديث بأن المقصود بعباد الله هم من ذكر لا غير ، ولو سلمنا فالحديث حجة على الوهاية من جهة أخرى . وهي نداء الغائب الذي لم يجوزوه كنداء الميت ولا يفيد الوهاية طعننا ببعض رواة هذا الحديث فانه قد روى بطرق شتى يعضد بعضها بعضاً فقد رواه الحاكم في صحيحه وأبو عوانة والبخاري بسند صحيح عن النبي ﷺ بهذا اللفظ أنه قال : « اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا . » وقد ذكر هذا الحديث شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه الكلم الطيب عن أبي عوانة في صحيحه وابن القيم في الكلم الطيب له والنووي في الاذكار والجزري في الحصن الحصين وغيرهم ممن لا يحصى من المحدثين وهذا لفظ رواية ابن مسعود مرفوعاً ورواية ابن مسعود موقوفاً عليه . فليناد أعينوني يا عباد الله .

(والجواب) ان نقول : كل أسانيد هذه الروايات لا تخلو من مقال وعلى تقدير صحتها فليس فيه إلا نداء الاحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الاحياء عليه وذلك مما لا يمجده أحد ، وأين هذا من الاستغاثة باصحاب القبور

الأولياء والصالحين وكون المراد بعباد الله رجال الغيب كما يزعم بعض المتصوفة فهو مردود بل هو من الخرافات ومثله زعم وجود الاوتاد والاقطاب والاربعين وما أشبه ذلك .

(وأما قوله) ولو سلمنا فالحديث حجة على الوهاية من جهة أخرى ، وهي نداء الغائب الذي لم يجوزوه كنداء الميت .

(فأقول) هذا مردود أيضاً بما سبق بأن هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم فانا لا نرى الحفظة ومع ذلك فهم حاضرون ولا نرى الجن ومع ذلك فهم حاضرون وكذلك الشياطين والهواء ونحو ذلك فان علة الرؤية ليس هو الوجود فقط .

قال العراقي : ونقل عن عبد الله بن أحمد حنبل ، قال سمعت أبي يقول حججت خمس حجج فضلت في احداهن الطريق وكنت ماشياً فجعلت أقول يا عباد الله دلونا على الطريق ، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق فقل للوهاية التي تدعى نسبتها الى الامام احمد جاز له أن يطلب الدلالة على الطريق من غير الله وهو غائب من غير أن يراه .

والجواب أن نقول : هكذا ذكره هذا العراقي ولم يعزه الى كتاب وقد رأيت في الآداب الكبرى لابن مفلح عن ابن الامام احمد (وجوابه) ما تقدم وهو أن هؤلاء العباد ليسوا بغائبين وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم ، كما تقدم وهذا لا يفيد شيئا غير ما تقدم إيضاحه .

ثم قال العراقي : ومن شبه الوهاية في تكفير من استنكث « بادي غائباً من نبي أو ولي قد مات ان الذين ينادون نبياً أو ولياً مستغيثين به قد يكون نداؤهم في أماكن متعددة في زمان واحد ويكون عددهم كثيراً جداً بما يبلغ مئات ألوف وهم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين ندائه في ذلك الآن وهذا بصرف النظر عن كونه كفراً وشركاً لما فيه من جعل ذلك المنادى موصوفاً بما هو من صفات الرب عز وجل متمتع عقلاً فمن البديهي أن الجسم الواحد لا يكون في زمان واحد موجوداً في أماكن متعددة .

قال والجواب : أنه ليس من معتقد المسلمين حضور المنادى بشخصه حين ندائه في الأماكن المتعددة فإن ذلك المعتقد كفر وذلك الحضور محال وإنما المعتقد حضور البركة بخلق الله تعالى إياها في تلك الأماكن المتعددة لطفاً منه ورحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به وليس في ذلك محال ، فإن رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد .

(والجواب) أن يقال : (أولاً) نعم ليس هذا من معتقد المسلمين وحاشا لله بل هو من معتقد من أشرك بالله غيره في عبادته . ويقال (ثانياً) دعوى حضور البركة بخلق الله تعالى إياها في تلك الأماكن المتعددة دعوى مجردة عن الدليل ، وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) وقال تعالى (فزينا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) وهذا كما هو بين في القرآن فهو بعيد في العقل فاذا كان المدعو في حال حياته واجتماع حواسه وحركاته لا يسمع من دعاه على البعد ولو مسيرة فرسخ فكيف يجوز في عقل من له أدنى مسكة من عقل أنه اذا مات وفارقت روحه جسده وذهبت حواسه وحركته بالكلية وصار رهيناً في الثرى جسداً بلا روح انه والحالة هذه يسمع من البعيد ولو مسيرة شهر أو أكثر ويوجب لكل عقل صحيح يحيل ذلك ويعلم أنه من أحمل المحال لكن هؤلاء المشركون فسدت عقولهم وفطرتهم وزين لهم الشيطان ما يعتقدون من الكذب والمحال والشرك والضلال حتى آل الأمر بهم الى أن زعموا في معتقدهم حضور البركة بخلق الله تعالى إياها في تلك الأماكن المتعددة لطفاً منه ورحمة بالمستغيث به لكونه أشرك في عبادة الله غيره ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (فان قيل) ان هذا الذي أردناه من هؤلاء الأموات يحصل لنا من أرواحهم ، قيل وهذا منتف في العقل ، كما نفاه القرآن وذلك أن أرواح الأنبياء والصالحين في أعلى عليين فيمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة وقدرا أن الأرواح التي فوق السموات السبع وفي أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل الأرض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال

قطعاً وضلال مبين فان الله قال (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعى من
الأموات والغائبين والانبيا والصلحين فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه
بنصوص القرآن العزيز الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد ف سبحانه من أنزل كتابه روحاً وهدى ونوراً وبرهاناً يهتدى
به من هداه الله الى صراطه المستقيم .

فصل

ثم قال العراقى : ثم ان الوهاية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد الذين هم براء
منه ساقط على بطلانه ما ذكره الفقهاء فى شرائط النكاح وذلك انهم قالوا
لو تزوج رجل امرأة بشهادة الله ورسوله لا ينعقد النكاح وقالت لو كان النبي
يعلم نداء المستغيث به اذا ناداه من بعيد لكان علام الغيوب ولصح انعقاد
النكاح الذى قال الفقهاء يبطلانه . ثم لم يأت بجواب ينقض على الوهاية إلا عدم
حضوره المستغاث عند نداءه وانه لا يعتقد هو والمشركون الداعون غير الله
علم الغيب لأحد ثم اعتذر عن عدم انعقاد النكاح انه صيانة لحقوق الزوجية
وبما ذكر بعده عما لا ينقض على الوهاية مدعاهم لكن تجارى به كفره وعناده
الى أن قال وحينئذ لا يمكن لأحد الخصمين ان يثبت دعواه بشهادة الله ورسوله
إذ نحن لو فرضنا ان الله - تعالى عما يقول الظالمون - جسم ينزل الى السماء الدنيا
كما زعمت الوهاية نقول ما جرت عادته تعالى أن ينزل الى غرفة الحاكم فيؤدى
شهادته أمامه حسبما لنزاع الخصمين فتعالى الله وتقدس عن كفر هذا العراقى
وإلحاده وجرأته على الله وعلى شرعه كيف تجارى به كفره الى هذه المقالة
والوهاية لا يقولون ان الله تعالى جسم كما تقدم بيانه بل يثبتون لله تعالى ما أثبتته
لنفسه وأثبتته له رسوله ولا يشبهون الله بخلقه فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن
جحد ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فقد كفر وليس ما وصف الله
به نفسه ووصفه به رسوله كفراً .

ثم قال العراقى الملحد : قد علمت أن الوهاية كفرت من نادى غير الله تعالى

كقوله يارسول الله ونحو ذلك ، ونحن إذا أمعنا النظر رأينا أن كفر هذا الذى يقول يارسول الله مثلا لا يخلو إما أن يكون لأنه يعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين ندائه ويسمع ندائه ويقضى بنفسه له حاجة وينجيه من الورطة التى ناداه من أجلها أو يكون لأنه يعتقد أن الذى يناديه يسمع ندائه باسماع الله إياه بمحض قدرته وإن الله تعالى لا غيره يقضى حاجته ببركة ذلك المنادى وأن الله تعالى ينجيه من الورطة التى هو فيها بجاه ذلك النبى وعلى كلا التقديرين فيه من السقط مافيه .

أما الاول فلأن من اعتقد أن أحداً غير الله تعالى يقضى الحاجة وينجى من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك الاحد أو لم يناده فلا وجه لتخصيص كفره بحالة النداء وأنت تعلم أن لا أحد من المسلمين يعتقد هذا المعتقد ، وأما الثانى فلأن من كان قلبه عريقاً بالايان معتقداً أن الذى يقضى الحوائج وينجى من المهالك إنما هو الله تعالى لا غيره لا يجوز أن يكون كافراً بمجرد نداء غائب معتقداً أن الله سبحانه يخلق فيه السماع .

(والجواب) أن نقول : إذا نادى المشرك من يدعوه من دون الله فى قضاء حاجة من حوائجه لينجيه من الورطة التى ناداه من أجلها فقد أشركه مع الله فى عبادته التى هو مختص بها سواء اعتقد حضوره حين نداه وسماعه له أو لم يعتقد أو اعتقد أنه يقضى حاجته بنفسه أو لم يعتقد فمن فعل هذا فهو كافر مشرك لأن الله تعالى قد نبى سماع من يدعونه ونبى استجابته لهم وأخبر أن من يدعونه غافلاً عن دعائهم قال تعالى (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) والكفار الجهال يعلون أن الله هو الخالق وأن الامور كلها بيده ، وأنه النافع الضار وأنه هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ولكنهم ما أرادوا إلا الجاه والشفاعة بمن يدعونه فإى قوله هؤلاء هو كما يقوله من قبلهم من الكافرين سواء بسواء .

وأما الجواب عن الثاني فلأن من كان قلبه عريقاً بالآيمان لا يدعو مع الله أحداً بل يخلص الدعاء لله وحده ولا يشرك معه أحداً سواه (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) فإن من دعا مع الله أحداً من خلقه وأشركه معه في عبادته لا ينفعه اعتقاده إن الله هو القادر على خلق الأشياء وهو يشرك معه غيره (فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) .

فصل

قال الملحد : ومن الجهل ما قالته الوهاية هنا من أن الشرع يحكم بالظاهر والظاهر من نداء أحد لغير الله أنه يعتقد في ذلك الغير علماً خاطئاً بالغيب وقدرة بالغة على قضاء الحوائج وتصرفاً تاماً في الكون مما هو مختص بالباري عز وجل ويكون اعتقاده في كفره ككفره وشركاً .

قال : والجواب أن الظاهر من حال من نادى غير الله تعالى يدل على أنه نادى غير الله فقط لأنه اعتقد في ذلك الغير قدرة ، وقضاء للحوائج وغير ذلك مما ذكرته الوهاية ، والاعتقاد أمر باطنى قد يدل بعض الظاهر عليه لكن النداء ليس من قبيلها ، فقل للوهاية التي تجعل ظاهر النداء دالاً على الشرك والكفر مالكم لا تنظرون الى ما للمسلم الذي تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك من أركان الدين ، فتعدونه دالاً على إيمانه ، وحسن اعتقاده ومن العجيب أن ذلك المسلم الذي ينادى يصرح بعدم اعتقاده القدرة وما شاكلها لمن ناداه وأتم مع ذلك تجعلون ظاهر ندائه دالاً على ذلك الاعتقاد الذي نفاه عن نفسه ، فليت شعري أى حكم لاستدلالكم بظاهر نداء الرجل على سوء اعتقاده في مقابلة تصريحه لكم بحسن ما يعتقد .

(والجواب) أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه حتى رأوا حسناً ما ليس بالحسن فإن من نادى غير الله ودعاه والتجأ إليه واستغاث به لا يدعوه ولا يلجأ إليه ، ويستغيث به إلا لما يعتقد أنه ينفعه ويسمع دعاءه ويغيثه ، لأن الاستغاثة

طلب الغوث ، وهو ازالة الشدة ، واذا طلب العبد هذا من غير الله فقد أشرك بالله في عبادته غيره ، لأن الله هو المختص بهذه الأشياء سواء اعتقد التأثير منه أو لم يعتقد ولا ينفعه ذلك مع وجود الشرك ، والنداء المجرد من غير اعتقاد لا يتصور وقوعه إلا من مجذوب العقل الذى ينطق بما لا يعقل .
(وأما قوله) : ما لكم لا تنظرون الى ما للمسلم الذى تكفرونه من ظاهر الصلاة والصوم والزكاة الى آخره .

(فنقول) اذا أشرك بالله في عبادته غيره لا تنفعه الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الأعمال الظاهرة ، ولا تدل على حسن باطنه وهو عرى من التقوى واخلاص الدين لله وحده ، قال الله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) يوضحه أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون ويذكرون ويجاهدون مع النبي ﷺ ، ولم يكن ظاهر الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والجهاد دالاً على حسن اعتقادهم ، بل كانوا فى الدرك الأسفل من النار تحت عبدة الاوثان والصلبان .

وأما جعلنا ظاهر ندائه دالاً على ذلك الاعتقاد ، وان نفاه عن نفسه فلائنه لا يكون فى العقل أن من دعا غير الله لا يعتقد أنه لا يرجو بدعائه طلب نفع أو دفع ضرر أو قضاء حاجة من يدعو ، فاذا اعتقد ذلك فيمن يدعو فلا ينفعه . ان ذلك انما يكون ببركة من يدعو له لجاهه عند الله وان الله هو الفاعل لذلك خلقاً وإيجاداً مع وجود السبب الداعى الى الشرك المنافى للتوحيد لانه لا فرق بين الدعاء والنداء ، فمن دعا أو نادى غير الله فقد أشرك ذلك المنادى المدعو مع الله فى عبادته لأن المشركين الاولين لم يريدوا إلا الشفاعة بجاه من يدعوهم ويركته .

(قال العراقى الملقب) — الوهاية وتكفيرها من زار القبور —

لو سأل سائل عما تمذهبت به الوهاية ماهو وعن غايته ما هى فقلنا فى جواب
كلا السؤالين هو تكفير كافة المسلمين لكان جواباً على اختصاره تعريفاً كافياً

لمذهبها ، وان من أنعم النظر فيما جاءت به رآها تتحرى في كل مسألة تكفير كافة المسلمين الذين رضى الله لهم الاسلام ديناً فقد كفرتهم لتزويهم الله تعالى عن الجسمية ، وكفرتهم لتقليدهم الأئمة المجتهدين في الدين وكفرتهم لاستشفاعهم بنبيهم ﷺ بعد موته وتوسلهم به الى الله تعالى وكفرتهم لزيارة القبور .

(والجواب) أن نقول : الله أكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً ويفسدون في الارض والله لا يحب المفسدين ، فلو سأل سائل عما تمذهبت به هؤلاء الغلاة النافون لعلو الله على عرشه المعطلون لآسمائه وصفاته الجاحدون لصفات كماله ، ونعوت جلاله ، المشركون بالله في عبادته غيره من مخلوقاته ، وعن غاية ما تريد بذلك قلنا هو الكفر الذى أجمع المسلمون على كفر من قام به ذلك ، ونطق القرآن والسنة بكفر من فعل ذلك واعتقده كما قدمناه بأدلة من الكتاب والسنة واجماع العلماء .

وأما الوهاية : فيعتقدون أن الدين الذى رضىه الله للمسلمين هو دين الاسلام ومنه أن الله تعالى على عرشه « بائن من خلقه » ، ويعتقدون أن الله تعالى له وجه ويدان ، وأن الله تعالى يرى في الآخرة كما يرى القمر ليلة البدر ، وكما ترى الشمس صحوماً ليس من دونها سحاب ، وأن الله ينزل الى السماء الدنيا كل آخر ليلة فينادى هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من داع فأجيبه حتى ينفجر الفجر ، وأن الله يشار اليه بالاصبع اشارة حسية ، كما أشار اليه أعرف الخلق به في أعظم مجمع وجد على ظهر الارض ، وأن الله تعالى يوم القيامة يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء على اصبع ، والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، فيقول أنا الملك كما صحت بذلك الاحاديث عن رسول الله ﷺ ، الى غيره مما جاء في الكتاب والسنة مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل ، ومن غير تكيف ولا تعطيل . وأما الجسمية فلا يقولون بها نفيّاً ولا اثباتاً ، لأنه يراد بها معنى صحيح ومعنى باطل ولأنه لم يرد بذلك قرآن ولا سنة ولا نطق بذلك الصحابة ولا التابعون ولا الأئمة المهتدون ، وأما زعمه

أنهم كفروا من أخذ بالاجماع وكفروا من قلد الأئمة المجتهدين ، فن الكذب
الواضح والافك الفاضح ، وأما تكفيرهم من دعا الانبياء والاولياء والصالحين
والتجأ اليهم واستغاث بهم في مهماته وملهاته ، وسى ذلك تشفعاً وتوسلاً فلكون
ذلك هو الشرك الصريح المخرج من الملة بدلائل الكتاب والسنة واجماع علماء
الأمة من أئمة السلف ومن تبعهم باحسان بعد قيام الحجة على من فعل ذلك .

فصل

(قال الملحد) لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها ، اما
الاستشفاع والتوسل الى الله بأصحابها والتبرك بهم ، كما في زيارة قبور الانبياء
والاولياء ، وأما الاعتبار بالقوم الماضين تمكينا للخضوع من قلبه ونيلاً للأجر
بقراءة الفاتحة والدعاء لهم بالمغفرة ، كما في زيارة قبور المسلمين أو يقصد تذكر
من مات من ذويه الاقربين وأحبائه الراحلين وأعزته الذين غالتهم يد المنون
فأسكنتهم القبور بعد القصور فذهبوا عنه ذهاباً ليس وراءه إياب وغادروه
كثيلاً يندب الأسى ولسان حاله يقول :

ألا ياراحلاً عنا مجداً على مهل فديتك من مجد

فلا تعجل وسر سير الهوينا لأنك راحل من غير عود

وتدفعه احساساته الى زيارة قبورهم فيقف على دوارس أجداتهم حزينا
يسكب على ترابها عبرات الاسف ولسان حاله ينشد :

ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا

كم من أخ لي صالح بوءته يدي لحدا

وليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله ولا أظن أن الجاهل الغر من الناس فضلاً عن العالم المتشرع
تدفعه جهالته أن يقصد بزيارة القبر عبادته ، وأن يعتقد كونه يقضى حاجته
فيخلق له ما يريد .

(والجواب) أن يقال : لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها

الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها والتبرك بهم ، كما في زيارة قبور الانبياء
 والأولياء ودعائهم هي الزيارة الشريكة التي ذكرها العلماء كما قال ابن القيم رحمه
 الله تعالى في إغاثة اللهفان « وأما الزيارة الشريكة فأصلها مأخوذ من عباد الأصنام
 قالوا الميت المعظم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتية
 اللطاف من الله تعالى ويفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه
 به وأدناه منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك اللطاف بواسطتها
 كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ،
 قالوا : فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت ويعكف بهمة
 عليه ويوجه قصده كله وإقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره وكلما كان
 جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه ، وقد ذكر هذه الزيارة على
 هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها
 وقالوا إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور ، وبهذا
 السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات واتخذت
 الأصنام المجسدة لها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياداً
 وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي
 قصد رسول الله ﷺ إبطاله ونحوه بالكلية ، وسد الذرائع المفضية إليه ،
 فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده ، وكان ﷺ في شق وهؤلاء في
 شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي
 ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى ، قالوا : فإن العبد إذا
 تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجه بهمة إليه وعكف بقلبه
 صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا
 ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فما يحصل
 لذلك السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به ،
 فهذا سر عبادة الأصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله وتكفير
 أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذرائعهم وأوجب لهم النار ،

والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله وإبطال مذهبهم ، قال تعالى
(أم اتخذوا من دون الله شفعاء ؟ قل : أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ،
قل : لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض) فأخبر أن الشفاعة لمن له
ملك السموات والأرض وهو الله وحده ، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه
ليرحم عبده ، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما
هي له والذي يشفع عنده إنما يشفع بأذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه وهي
إرادته من نفسه أن يرحم عبده ، وهذا ضد الشفاعة الشريكية التي أثبتها هؤلاء
المشركون ومن وافقهم ، وهي التي أبطلها سبحانه في كتابه بقوله (واتقوا
يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) وقوله
(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة) وقال تعالى (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم
من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون) وقال (الله الذي خلق السموات
والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي
ولا شفيع) فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد الله
سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى (ما من شفيع إلا من بعد
إذنه) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) فالشفاعة بأذنه ليست
شفاعة من دونه ولا الشافع شفيعاً من دونه بل شفيع بأذنه والفرق بين الشفيعين
كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك فانه
لا شريك له والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم
بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول اشفع في فلان ، ولهذا كان أسعد
الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا
التوحيد وأخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه
قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من
أذن له الرحمن ورضي له قولا) فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد
رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع فيه ، فأما المشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضى

قوله فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه ، فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له ، واذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة ، وسر ذلك ان الامر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الامر شيء ، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون ، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئاً إلا بعد اذنه لهم وأمرهم ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره واذنه فاذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه انه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه ، فان هذا تمتنع شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج ، وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق والرب والعبد والمالك والمملوك والغنى والفقر والذى لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام الملك والكبراء بهم ، ولولاهم ما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم على الكره والرضا ، فأما الغنى الذى غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه بذاته وكل من في السموات والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرفون بمشيئته لو أهلكهم جميعاً لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وآلهيته مثقال ذرة . وذكر آيات في المعنى ، ثم قال - فبين ان الشفاعة التى نفاها الله سبحانه في القرآن هى هذه الشفاعة الشركية التى يعرفها الناس ويفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هى المعروفة المتعاهدة عند الناس ، ويقيدها تارة بأنه لا تنفع إلا بعد اذنه - الى أن قال : فتتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه وتتخذ الرب

وحده آله ومعبوده ومحبوه ومرجوه ومخوفه الذى يتقرب اليه ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه هو الذى يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه ، وذكر الآيات فى ذلك وذكر كلاماً حسناً تركناه لطلب الاختصار .

(وأما قوله) وأما الاعتبار بالقوم الماضين الى آخره .

(فأقول) قد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الزيارة الشرعية وليس لنا أن نتقدم بين يديه لأنه قد جاء بما يكفى ويشفى وهو من أئمة المسلمين والعلماء المجتهدين ، قال رحمه الله تعالى بعد ذكر المفاسد العظيمة باتخاذ القبور أعياداً ومنها أن الذى شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكّر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت فقلب المشركون هذا الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعائه والدعاء به وسؤالهم حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ولو لم يكن إلا مجرد ما به تركه ما شرعه الله من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له فاسمع الآن زيارة أهل الايمان التى شرعها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ ثم وازن بينها وبين زيارة أهل الاشراك التى شرعها لهم الشيطان واختار لنفسك ، قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا كان ليلتى منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأناكم ما توعدون غداً مؤجلون وأنا ان شاء الله بكم لا حقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، رواه مسلم وفى صحيحه عنها أيضاً أن جبريل أتاه فقال ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم ، قالت : قلت كيف أقول يا رسول الله . قال : قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وأنا ان شاء الله بكم لا حقون . .

وفى صحيحه أيضاً عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا : السلام على أهل الديار

وفي لفظ السلام عليكم أهل الديار - من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء به
لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » وعن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ
« كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمَن أراد أن يزور فليرز ولا تقولوا هجرا ؛
رواه أحمد والنسائي وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور
سداً للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي
شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرا فمَن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله
ورسوله فإن زيارته غير مأذون فيها ومن أعظم الهجر الشرك عندها قولاً وفعلًا
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
« زوروا القبور فإنها تذكركم الموت » ثم ذكر أحاديث نحو ما تقدم ثم قال
فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأُمَّته وعلّمهم إياها هل تجد فيها ما يعتمده
أهل الشرك والبدع أم تجد لها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما أحسن ما قال
مالك بن أنس رحمه الله لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولكن
كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع
والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحملوا جانبهم حتى كان أحدهم إذا سلم على
النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا فقال
سَلِّمْ بِنِ وَرْدَانِ رَأَيْتُ أَنْسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْلُمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْنُدُ
ظَهْرَهُ إِلَى جِدَارِ الْقَبْرِ ثُمَّ يَدْعُو وَنَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ أَنَّهُ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ
وَقَتَّ الدَّعَاءَ حَتَّى لَا يَدْعُو عِنْدَ الْقَبْرِ فَإِنَّ الدَّعَاءَ عِبَادَةٌ وَفِي التَّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهَا
مَرْفُوعاً الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَلَمْ يَفْعَلُوا عِنْدَ الْقُبُورِ مِنْهَا إِلَّا مَا أُذِنَ فِيهِ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ السَّلَامُ عَلَى أَصْحَابِهَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِمْ وَالدُّعَاءُ فَالْمِيتُ قَدْ
انْقَطَعَ عَمَلُهُ فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ يَدْعُو لَهُ وَيَشْفَعُ لَهُ وَلِهَذَا شَرَعَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنْ
الدَّعَاءِ لَهُ وَجُوباً أَوْ اسْتِحْبَاباً مَا لَمْ يَشْرَعْ مِثْلَهُ فِي الدَّعَاءِ لِلْحَيِّ قَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ
صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ خَفِضَتْ مِنْ دَعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ
وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَارْحَمْهُ » وَوَسَّعَ مَدْخَلَهُ وَاغْسَلَهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ
وَنَفَقَهُ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقِيَتِ الثُّوبُ الْإِيضُ مِنَ الدَّنَسِ وَابْدَلَهُ دَارَ خَيْرٍ مِنْ دَارِهِ

واهلا خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وادخله الجنة وأعذه من عذاب
 القبر أو من عذاب النار ، حتى تمتيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله ﷺ
 على ذلك الميت رواه مسلم وذكر أحاديث نحو هذا ثم قال فهذا مقصود الصلاة
 على الميت وهو الدعاء له والاستغفار له والشفاعة فيه ومعلوم أنه في قبره أشد
 حاجة منه على نعشه فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان عليه السلام
 يقف على القبر بعد الدفن فيقول « سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل فعمل انه
 أحوج الى الدعاء له بعد الدفن فاذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعو
 به ونشفع له لا نستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل البدع والشرك
 قولاً غير الذى قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع
 به وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إحساناً الى الميت
 وإحساناً الى الزائر وتذكيراً بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله
 وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة وحضور القلب عندها
 وخشوعه أعظم منه فى المساجد وأوقات الأسحار ومن المحال أن يكون دعاء
 الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مشروعاً وعملاً صالحاً ويصرف عنه
 القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلفون الذين يقولون
 ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرن فهذه سنة رسول الله ﷺ فى أهل القبور
 بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه
 طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل يمكن بشرأ على وجه الارض
 أن يأتى عنهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع انهم كانوا اذا كان
 لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا فضلاً أن يصلوا عندها
 أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفونا على أثر واحد أو حرف
 واحد فى ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلفون التي خلفت بعدهم بكثير من
 ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد فى ذلك
 مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين
 ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه

من الأحاديث أو آثار الصحابة فأكثر من أن يحاط بها ، ثم ذكر رحمه الله قصة الرجل الذي وجد في بيت مال الهرمزان ثم قال : ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور أو ثنائاً من لا يداني هذا ولا يقاربه وأقاموا له سدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك دعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلفاء التي خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأنصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا عنده ولا استسقى به ولا استنصر به ومعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا يكون فإن كان أفضل فكيف خفي علماً وعملاً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم فكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم وتظهر به الخلفاء علماً وعملاً ولا يجوز أن يعلموه ويؤذوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فإن المضطر يتشبت بكل سبب وإن كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً فتعين القسم الثاني وهو أنه لا فضل للدعاء عندها ولا مشروع ولا مأذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة إلى ما تقدم من المفاسد ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله البتة بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم ينزل بها سلطاناً . إلى آخر الفصل . فهذا كلامه رحمه الله في الدعاء عندها والدعاء بأربابها فكيف بدعائهم وطلب الخوائج منهم والاستغاثة بهم كما تقدم في أول كلامه .

فصل

ونذكر نموذجاً من معتقد عباد القبور والصالحين وحقيقة ما هم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أى الفريقين أحق بالأمن ان كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن ولئلا يلتبس الامر بتسميتهم لكفرهم ومخالطهم تشفعاً وتوسلاً قال ابن القيم رحمه الله فى إغاثة اللهفان « فمن مفاصد اتخاذها أعياد الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترباتها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التى كان عباد الاوثان يسألونها أوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الارض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ورأوا انهم قد أربوا فى الربح على الحجيج فاستغاثوا بمن لا يبدى ولا يعيد ونادوا ولكن من مكان بعيد حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ورأوا انهم قد أحرزوا من الاجر ولا أجز من صلى الى القبليتين فتراهم حول القبر ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الميت ورضواناً وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسراناً فليغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ويرتفع من الاصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل من تفريج الكربات واغناء ذوى الفاقات ومعاونة أولى العاهات والبيات ثم انبشوا بعد ذلك حول القبر طائفتين تشيهاً له بالبيت الحرام الذى جعله الله مباركاً وهدى للعالمين ثم أخذوا فى التقبيل والاستلام رأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ثم عرفوا لديه تلك الجباه والحدود التى يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه فى السجود ثم كلوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق وقرّبوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين . فلو رأيتم بنى بعضهم بعضاً ويقول أجزل الله لنا ولكم أجراً

وافراً وحظاً فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر
بحج المتخلف الى البيت الحرام فيقول : لا ، ولو بحجك كل عام هذا ولم تتجاوز
فيما حكيناك عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم ، اذ هي فوق ما يخطر
بالبال أو يدور في الخيال وهذا كان مبدأ عبادة الاصنام في قوم نوح ، كما تقدم
وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة الى
هذا المحذور وان صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول اليه وأحكم
في نهيه عنه وتوعده عليه وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال
في معصيته ومخالفته . ثم ذكر رحمه الله كلاماً طويلاً .

وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف قدس الله روحه . ومما بلغنا عن بعض علماء
زيد أن رجلين قصدا الطائف فقال أحدهما لصاحبه والمسئول من يترشح للعلم :
أهل الطائف لا يعرفون الله إنما يعرفون ابن عباس فأجابه بأن معرفتهم
لابن عباس كافية لأنه يعرف الله فأى ملة صان الله ملة الاسلام لا تمنع هذه
الكفریات ولا تدافعها ، وذكر الزيدى أيضاً أن رجلاً كان بمكة عند بعض
المشاهد قال لمن عنده أريد الذهاب الى الطواف ، فقال بعض غلاتهم : مقامك
ها هنا أكرم ومن وقف على كتاب مناقب الاربعة المعبودين بمصر وهم البدوى
والرافعى والدسوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء فقد وقف على ساحل كفرهم
وعرف صفة إفكهم ، قال : وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الاسلام
في بيت رجل من أهل مصر وبقربه رجل يدعى العلم فأرسل اليه صاحب البيت
فسأله بجمع من الحاضرين فقال له كم يتصرف في الكون ، قال يا سيدى سبعة ،
قال من هم ؟ قال فلان وفلان وعدّ أربعة من المعبودين بمصر ، فقال صاحب
الدار لمن بحضرته من الموحدين إنما بعثت لهذا الرجل وسألتك لأعرفكم قدر
ما أتم فيه من نعمة الاسلام أو كلاماً نحو هذا . قال : وقد ذكر هذا شيخ
الاسلام في مناجاه عن غلاة الرافضة في على فعاد الامر إلى الشرك في توحيد
الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية بل ذكر
الله جل ذكره أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقررون به ولذلك احتج عليهم

في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من
الالهية ومن ذلك وهو من عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعمي في بعض
رسائله أن امرأة كف بصرها فنادت وليها أما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق إلا
حسبك ، انتهى .

قال الشيخ وحدثني سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمي رحمه الله أن بعض
المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين
رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا
لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدة المشهد وبعض الحاضرين ، فقالوا هذا
عجة في سيدنا الحسين . وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا وقع
عندهم وحدثني الشيخ خليل الرشيدى بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين
هناك قال : لا يدق وتد في القاهرة إلا باذن أحمد البدوي قال ، فقلت له :
هذا لا يكون إلا الله أو كلاما نحو هذا فقال حي في سيدى احمد البدوي
اقتضى هذا .

وحكى أن رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني
فقال لم أرا أكثر منه إلا في جبال عرفات إلا أني لم أرى سجدوا لله سجدة قط
ولا صلوا مدة ثلاثة أيام فقال السائل قد تحملها الشيخ قال بعض الافاضل وباب
تحمل الشيخ مصرعاه ما بين بصرى وعدن قد اتسع خرقة وتتابع فتقه ونال
رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد ، انتهى .

قلت وحدثني الشيخ اسحاق انه رأى أيام رحلته الى مصر للطلب هذا الجمع
العظيم الذى يسمونه مولد احمد البدوي فذكر انه اعظم بما رآه في جبال عرفات
قال ورأيت فيه سوقا طويلا للبغايا اللواتى أوقفن أنفسهن للزنا في هذا الجمع
صدقة لسيدهن احمد البدوي وليس هذا بعجيب ولا غريب من فعلهم فإنه
يجرى منهم في ذلك الجمع من الكفر بالله والاشراك به ما لم يصل إلى ساحله
كفر أبى جهل وأشياعه فالتة المستعان .

وأما قول العراقي : وأما الاعتبار بالقوم الماضين تمكيناً للخضوع من
قلبه ونيلاً للأجر بقراءة الفاتحة .

(فأقول) أما قراءة الفاتحة فمن البدع المحدثه ولو كان في قراءتها نيل للأجر في ذلك المكان لأمر بها رسول الله ﷺ أصحابه .
(وأما قوله) وليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الى آخره (فيقال)
لهذا إن طلب الحوائج من الموت والاستشفاع بهم والاستغاثة بهم ناقض لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولا تنفعه الشهاداتان مع الاشرار بالله شيئاً وقد تقدم بيان ذلك .

فصل

(ثم ذكر العراقي) اختلاف العلماء في شد الرحال الى المشاهد .
وهذه المسألة قد فرغ منها فمن أراد الوقوف على الصحيح من كلام العلماء فهو مبسوط في رد شيخ الاسلام على ابن الاثنائي ورد الحافظ بن عبد الهادي على السبكي والحق في ذلك واضح فلا حاجة بنا الى التطويل بذكره مع وضوحه في كلام العلماء المحققين .

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : وأما السفر الى مجرد زيارة قبر الخليل أو غيره من مقابر الانبياء ، والصالحين ، ومشاهدهم ، وآثارهم فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين لا الاربعة ولا غيرهم ، بل لو نذر ذلك ناذر لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر عند الأئمة الاربعة ، وغيرهم بخلاف المساجد الثلاثة ، فانه اذا نذر الحج أو العمرة لزمه باتفاق المسلمين ، واذا نذر السفر الى المسجدين الآخرين لزمه عند أكثرهم كالك ، واحمد ، والشافعي في أظهر قوليه لقول النبي ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه ، ذواه البخاري . » وانما يجب الوفاء بنذر كل ما كان طاعة مثل من نذر صلاة ، أو صوما أو اعتكافا أو صدقة لله أو حجا ، ولهذا لا يجب بالنذر السفر الى غير المساجد الثلاثة لأنه ليس بطاعة لقول النبي ﷺ « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، فغير المساجد أولى بالمنع مع ان قوله لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد يتناول السفر الى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة

وطلب العلم ونحو ذلك ، فان السفر لطلب تلك الحاجة حيث كان ، وكذلك السفر لزيارة الاخ في الله ، فانه هو المقصود حيث كان ، وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء أنه لا يأس بالسفر الى المشاهد واحتجوا بأن النبي ﷺ كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشيأ . أخرجاه في الصحيحين ولا حجة لهم فيه لأن قباء ليس مشهداً بل مسجد وهو منهي عن السفر اليها باتفاق الائمة لأن ذلك ليس بسفر مشروع ، بل لو سافر الى قباء من ديرة أهله لم تجز ، ولكن لو سافر الى المسجد النبوي ثم ذهب منه الى قباء فهذا يستحب كما يستحب زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد ، انتهى .

(ثم قال العراقي) ويدل على جواز شد الرحال لزيارة القبور ما قاله عمر رضي الله عنه بعد فتح الشام لكعب الاحبار يا كعب ألا تريد أن تأتي معنا الى المدينة فتزور سيد المرسلين ، قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك يدل عليه مجيء بلال رضي الله عنه من الشام الى المدينة لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه .

(والجواب) أن نقول : هؤلاء الغلاة يتعلقون بأذيال الموضوعات ويعتمدون الاقوال المكذوبات ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون . قال الحافظ بن عبد الهادي في جوابه للسبكي وهو مطالب أولاً ببيان صحته وثانياً ببيان دلالاته على مطلوبه ولا سبيل له الى واحد من الأمرين . ومن المعلوم أن هذا من الأكاذيب والموضوعات على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتوح الشام فيه كذب كثير وهذا لا يخفى على آحاد طلبة العلم ، ولكن شأن هذا المعارض الاحتجاج دائماً بما يظنه موافقاً لهواه ولو كان من المنخقة والموقودة والمتردية ، وليس هذا شأن العلماء بل على المستدل بحديث أو أثر عليه أن يبين صحته ودلالاته على مطلوبه . وهذا المنقول عن عمر رضي الله عنه لو كان ثابتاً عنه لم يكن فيه دليل على محل النزاع ، وقد عرف أن شيخ الإسلام لا ينكر الزيارة على الوجه المشروع ولا يكرهها ، بل يحضها ويندب الى فعلها ، انتهى .

اقول وكذلك الوهاية لا ينكرون الزيارة على الوجه المشروع بل هي عندهم من أفضل الأعمال والله المستعان .

(ثم ذكر العراقي) أن من القائلين بالجواز الامام النوى والقسطلاني والامام الغزالي وهؤلاء مقابلون بأفضل منهم وأعلم وأتبع لرسول الله ﷺ ولأصحابه والتابعين لهم ، ومن العلماء المانعين من شد الرحال الامام مالك رحمه الله ولم يخالفه أحد من الأئمة الثلاثة ومنهم الامام أبو عبد الله بن بطة وأبو الوفاء ابن عقيل وغيرهم من العلماء الراسخين .

(ثم ذكر العراقي) مسألة سماع أهل القبور وذكر من التخليط ما لا مزيد عليه وقد أجاب على ذلك كله محمود شكرى بن عبد الله بن محمود الألوسى فى تتمته وبه الكفاية فلا نطيل بذكره إلا انا نقول : إن سماع أهل القليب قلب بدر لكلام رسول الله ﷺ سماع حقيقى ، وكذلك سماع أهل القبور سلام المسلم عليهم وردهم عليه . وأن إعادة الأرواح لتلك الاشباح بعد مفارقتها إياها إنما هى إعادة عارضة لا إعادة مستقرة مستمرة بل لسماع الكلام ورد السلام والسؤال فقط ، وأما دعوى إجابة الدعوات وإغاثة اللفهات وتفريج الكربات وقضاء الحاجات من الأموات فمن الممتنع عقلاً وشرعاً وفطرة وقدراً كما هو صريح نصوص الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ولكن قد ذكر هذا الملحد فى قصة المعراج رؤية النبي ﷺ لعيسى وموسى وإبراهيم ، فقال : وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « رأيت عيسى وموسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام » رواه الشيخان ومالك فى الموطأ والمقصود أن هذا الملحد لما أتى إلى هذا المقام لم يذكر فيه أنه رآهم فى السموات على قدر منازلهم فأخرس عن ذلك أخرس الله لسانه لأنه قد ذكر فيما تقدم من الحادثة أن عروج النبي ﷺ إلى الله تعالى هو بمعنى العروج إلى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه لأنه ينكر أن يكون الله فوق السموات على عرشه فلذلك جحد عروج النبي ﷺ إلى الله بذاته الشريفة .

(فنقول) الوهاية لهذا الملحد المعطل كيف جاز لك أن تحتج علينا بسماع

الشهداء والانباء نداء من ينادى وهم عند الله وبأن النبي ﷺ رأى عيسى
 وموسى وابراهيم وهم أرفع منزلة عند الله من الشهداء وقد صحت الاحاديث
 بأنه رأى عيسى في السماء الثانية، ورأى موسى في السماء السادسة، ورأى
 ابراهيم في السماء السابعة وكل هذا عندك لا حقيقة له، فان كانوا في السماء كما
 رآهم النبي ﷺ، لما عرج به الى الله بطل ما تذهب اليه من أن العروج هو الى
 موضع يتقرب اليه بالطاعات لا الى السماء وان لم يكن رآهم في السموات ففي
 أى مكان رآهم ولا بد من تعيين ذلك الموضع، وقد كان من المعلوم أن أرواح
 الشهداء بعضها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها
 وتأوى الى قناديل تحت العرش وبعضها على بارق بياب الجنة ويخرج اليهم
 رزقهم من الجنة وبعضهم في قباب في رياض بقاء الجنة، وفي بعض الاحاديث
 أن أرواح المؤمنين في عليين، ومن المعلوم أن أرواح الانبياء في أعلى عليين
 وأنهم أرفع منزلة من الشهداء، فيمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة وقدرأ، أن
 الارواح التي فوق السموات السبع وفي أعلى عليين أنها تسمع دعاء أهل
 الارض وتنفعهم وتتصرف فيهم هذا محال قطعاً وضلال مبين، فان الله قال
 (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعى من الاموات والغائبين والانباء
 والصالحين، فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذي
 لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بقي من هذه
 المسألة مسألة، وهي أن المسلم اذا سلم على أهل القبور رد الله على المسلم عليه
 روحه حتى يرد السلام، قال ابن عبد البر ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « ما من
 مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى
 يرد عليه السلام، وعن عائشة رضی الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ
 « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم،
 وعن أبي هريرة رضی الله عنه قال: اذا مرّ الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد
 عليه السلام وعرفه، واذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام، ذكره
 ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ : ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام ، وهذه الأحاديث تدل على أنهم ليسوا بأحياء في قبورهم بدليل قوله ﷺ : ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام ، ففي هذا دليل على أن الأرواح قد فارقت الأشباح ، وإنما ترد الأرواح لرد السلام ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام سبق : على أن قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على حياة مستقرة وإنما يدل على إعادة لها إلى البدن وتعلق به الروح لم تزل متعلقة يديها وإن بلى وتمزق وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغيرة الأحكام أحدها تعلقها به في بطن الأم جنينا ، الثاني تعلقها به بعد خروجه الى وجه الأرض ، الثالث تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه ، الرابع تعلقها به في البرزخ ، فانها وإن فارقت وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة ، وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها اليه وقت سلام المسلم وهذا الرد اعاده خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة ، الخامس تعلقها به يوم بعث الأجساد الى آخر كلامه رحمه الله .

(وأما قوله) ومن الأدلة على أن الله تعالى يحيى الموقى في قبورهم فيسمعون قوله تعالى — حكاية على سبيل التصديق — (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فالمراد بأحدى الاماتتين الاماة قبل مزار القبور ، وبالأخرى الاماة بعد مزار القبور فانهم لو لم يحيوا في القبور ثانية ما صحت اماتهم ثانية .

وأما جواب الوهاية أن الاماة الاولى هي حال العدم قبل الخلق . والثانية الاماة بعد الخلق ، فما يضحك الصبيان لأن الاماة لا تكون إلا بعد الحياة ، ولا حياة قبل أن يخلق الله الحياة . وأما جوابها أن الاماة الاولى هي اماة الناس بعد حياتهم في عالم الذر فهو أوهن من جوابها الاول لأن الناس في عالم الذر لم يكونوا غير أرواح خلقها الله تعالى فسألهم (ألسن يربكم) فأجابوا قائلين : بلى ، وأنت تعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح للجسد ، وحيث لا جسد فلا موت نعم يجوز أن يفنى الله الأرواح بعد خلقها

في عالم النذر ، ولكن ذلك ليس من الموت في شيء لما تقدم .
 (فالجواب) أن يقال : ليس هذا جواب الوهاية فقط ، بل قد ذكره
 ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح فقال : وأما قول أهل النار (ربنا أمتنا اثنتين
 وأحييتنا اثنتين) ففسير هذه الآية الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى (كيف
 تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم) فكانوا أمواتاً
 وهم نطف في أصلاب آبائهم ، وفي أرحام أمهاتهم ، ثم أحياهم بعد ذلك ، ثم أماتهم ،
 ثم يحييهم يوم النشور ، فصار جوابك هو الذي يضحك منه الصبيان لأنه مكابرة
 للقرآن لأن الله وحده قد أخبر أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم ،
 وفي أرحام أمهاتهم (ولا ينبئك مثل خبير - ومن أصدق من الله قيلاً - ومن
 أحسن من الله حديثاً) ثم أحياهم سبحانه باخراجهم الى دار الدنيا ، ثم أماتهم
 سبحانه ثم يحييهم يوم النشور . وبما ذكره ابن القيم رحمه الله قال أهل التفسير :
 قال الحافظ ابن كثير رحمه الله على هذه الآية يقول الله تعالى خبراً عن الكفار
 أنهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون ، وذلك عندما باشروا
 من عذاب الله تعالى ما لا قبل لأحد - إلى أن قال .

(أما قوله) (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري عن
 أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله
 تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم
 اليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو
 الصواب الذي لا شك فيه ولا مزية . وقال السدي : أمتوا في الدنيا ، ثم أحيوا في
 قبورهم فخطبوا ، ثم أمتوا ثم أحيوا يوم القيامة . وقال ابن زيد : أحيوا حين
 أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ، ثم خلقهم في الارحام ، ثم أماتهم
 ثم أحياهم يوم القيامة ، وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما
 على ما قالوا ثلاث احياء واماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس
 ومن تابعهما الى آخر كلامه رحمه الله ، فان كان ما قال أصحاب رسول الله ﷺ
 يضحك الصبيان فليس على وجه الارض صحيح إلا ما صححه هذا المحدث بمعقوله

الذى هو بكلام المجاذيب أشبه به من كلام المجانين « وحيث نسب تفسير أصحاب رسول الله ﷺ إلى الوهاية فأهلا به أهلا فانا به قائلون ، وعلى ما أثبتوه معتمدون ، ولما سواه نافون .

• (وأما قول العراقي) وأما جوابها أن الامامة الاولى هى امارة الناس بعد حياتهم فى عالم الذر فهو أوهم من جوابها الأول لأن الناس فى عالم الذر لم يكونوا غير أرواح الخ .

فأقول : هذا الجواب ليس هو للوهاية ، بل هو كلام ابن زيد وقد ضعفه ابن كثير كما تقدم وهو مبنى على خلاف العلماء فى خلق الارواح هل هو مقدم على أبدانها أم متأخر ، والصحيح الذى تشهد له النصوص من الكتاب والسنة أن خلقها بعد خلق الابدان وذلك بعد ارسال الله ملك الارواح الى النطق فى بطون الامهات ينفخ فيها الروح والذى ثبت انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شتى وسعيد . وأما الاحاديث التى وردت فى تقدم خلقها على أبدانها فلا يصح منها شئ ، والصحيح الثابت هو ما ذكره ابن القيم من الوجوه التى ذكرها فى الفصل الذى ذكر فيه الادلة على أن خلق الارواح متأخر عن خلق الابدان وبه الكفاية فمن أراد تحقيق المسألة فهى مبسطة فى كتاب الروح فى هذا الفصل ، واذا تقرر هذا فليس للوهاية كلام على هذه المسألة منسوب اليها فيكون هذا الجواب جوابا له ، بل هو جواب باطل فاسد على أصل لا يصح بدليل شرعى ثابت ، فان كان تكلم فى هذه المسألة أحد ممن تنسبونه إلى الوهاية فرجما . وأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه فليس لهم فيها كلام معروف غير ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى والقول الذى نعتمده فى هذه المسائل كلها هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى فى الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية ، قال رحمه الله تعالى :

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم
قال الرسول بقبره حي كما
من فوقه أطباق ذاك التراب والد
لو كان حياً في الضريح حياته
ما كان تحت الأرض بل من فوقها
أترأه تحت الأرض حياً ثم لا
ويريح أمته من الآراء وال
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه
وعن الحراك فما الحياة اللاء قد
هذا ولم لا جاءه أصحابه
إذ كان ذلك دأبهم ونبههم
هل جاءكم أثر بأن صحابه
فأجابهم بجواب حي ناطق
هلا أجابهموا جواباً شافياً
هذا وما شئت ركائبه عن الح
مع شدة الحرص العظيم له على
أترأه يشهد رأيهم وخلافهم
إن قلتهموه سبق البيان صدقتموه
هذا وكم من أمراً شكل بعده
أو ما نرى الفاروق ودَّ بأنه
بالجد في ميراثه وكلالة
قد قصر الفاروق عند فريقكم

ترقيعه يا كثرة الخلقان
قد كان فوق الأرض والرجان
بنات قد عرضت على الجدران
قبل المات بغير ما فرقان
والله هذي سنة الرحمان
يفتيهموا بشرائع الايمان
خلف العظيم وسائر البهتان
وعن الجواب لسائل لهفان
أثبتموها أوضحوها ببيان
يشكون بأس الفاجر الفتان
حي يشاهدكم شهود عيان
سألوه فتياً وهو في الاكفان
فأتوا إذا بالحق والبرهان
ان كان حياً ناطقاً بلسان
جرات للقاصي من البلدان
ارشادهم بطرائق التبيان
ويكون للتبيان ذا كتمان
قد كان بالتكرار ذا تبيان
أعني على العلماء كل زمان
قد كان منه العهد ذا تبيان
وبيعض أبواب الربا الفتان
إذ لم يسله وهو في الاكفان

أتراهم يأتون حول ضريحه
ونبيهم حي يشاهدكم ويس
أفكان يعجز أن يجيب بقوله
يا قومنا استحيوا من العقاء والم
والله لا قدر الرسول عرفتموا
من كان هذا القدر مبلغ علمه
ولقد أبان الله أن رسوله
أخفاء أن الله باعته لنا
أثلاث موتات تكون لرسله
إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرء
أفهل يموت الرسل أم يبقوا اذا
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيه
أو لم يقل من قبلكم للرافع الا
لا ترفعوا الاصوات حرمة عبده
قد كان يمكنهم يقولوا انه
لكنهم بالله أعلم منكموا
ولقد أتوا يوما الى العباس يس
هذا وبينهم وبين نبيهم
فبينهم حي ويستسقون غي

لسؤال أمهموا أعز حصان
مهمهم ولا يأتي لهم ببيان
إن كان حياً داخل البنيان
بعوث بالقرآن والرحمن
كلا ولا للنفس والانسان
فليستتر بالصمت والمكتمان
ميت كما قد جاء في القرآن
في القبر قبل قيامة الابدان
ولغيرهم من خلقه موتان
في الارض حياً قط بالبرهان
مات الوري أم هل لكم قولان
ثبوا بالدليل فنحن ذو أذهان
صوات حول القبر بالسكران
ميتاً كحرمة لدى الحيوان
حي فعضوا الصوت بالاحسان
ورسوله وحقائق الايمان
تساقون من قحط وجذب زمان
عرض الجدار وحجرة النسوان
ر نبيهم حاشا أولي الايمان

فصل

فما احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فان احتججتم بالشهيد بأنه حي كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا شك وهذا ظاهر التبيان

فلذلك كانوا بالحياة أحق من
وبأن عقد نساءه لم ينفسخ
ولأجل هذا لم يحل لغيره
أفليس في هذا دليل أنه
أو لم يرى المختار موسى قائماً
أفيت يأتي الصلاة وإن ذا
أرد ميت السلام على الذي
أو لم يقل إني أرد على الذي
هذا وقد جاء الحديث بأنهم
وبأن أعمال العباد عليه تعد
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي
شهدائنا بالعقل والایمان
ففساؤه في عصمة وصيان
منهن واحدة مدى الأزمان
حي لمن كانت له أذنان
في قبره لصلاة ذي القربان
عين المحال وواضح البطلان
يأتي بتسليم مع الاحصاف
يأتي به هذا من البهتان
أحياء في الأحداث ذا تبيان
رض دائماً في جمعة يومان
قد خص بالفضل العظيم الشان

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذلك حجج
إن الشهيد حياته منصوبة
هذا مع النهي المؤكد أننا
ونسأوه حل لنا من بعده
هذا وإن الأرض تأكل لحمه
لكنه مع ذاك حي فارح
فارسل أولى بالحياة لديه مع
وهي الطرية في التراب وأكلها
ولبعض أتباع الرسول يكون ذا
فانظر إلى قلب الدليل عليهموا
تنا عليكم وهي ذات بيان
لا بالقياس القائم الأركان
ندعوه ميتاً ذاك في القرآن
والمال مقسوم على السهمان
وسباعها مع أمة الديدان
مستبشر بكرامة الرحمن
موت الجسم وهذه الابدان
فهو الحرام عليه بالبرهان
أيضا وقد وجدوه رأي عيان
حرفاً بحرف ظاهر التبيان

لكن رسول الله خص نساؤه
 خیرین بین رسولہ وسواہ فاخذ
 شكر الاله لمن ذاك وربنا
 قصر الرسول على أولئك رحمة
 وكذلك أيضاً قصرهن عليه مع
 زوجاته في هذه الدنيا وفي الآ
 فلذا حرمهن على سواه بعده
 لكن أتین بعدة شرعية
 هذا ورؤيته الكليم مصلياً
 في القلب منه حسبة هل قاله
 ولذلك أعرض في الصحيح محمد
 والدارقطني الامام أعله
 أنس يقول رأى الكليم مصلياً
 بين السياق إلى السياق تفاوتاً
 لكن تقلد مسلم وسواه م
 فرواته الاثبات أعلام الهدى
 لكن هذا ليس مختصاً به
 فروى ابن حبان الصدوق وغيره
 فيه صلاة العصر في قبر الذي
 فتمثل الشمس الذي قد كان ير
 عند الغروب يخاف فوت صلاته
 حتى أصل العصر قبل فواتها
 هذا مع الموت المحقق لا الذي
 هذا وثابت البناني قد دعا ال
 أن لا يزال مصلياً في قبره

بخصيصة عن سائر النسوان
 ترون الرسول لصحة الايمان
 سبحانه للعبد ذو شكر ان
 منه بهن وشكر ذي الاحسان
 لوم بلا شك ولا حساب
 خرى يقيناً واضح البرهان
 إذ ذاك صون عن فراش ثان
 فيها الحدود وملزم الأوطان
 في قبره أثر عظيم الشأن
 فالحق ما قد قال ذو البرهان
 عنه على عمد بلا نسيان
 برواية معلومة التبيان
 في قبره فاعجب لذا الفرقان
 لا تطرحه فما هما سيان
 من صح هذا عنده ببيان
 حفاظ هذا الدين في الأزمان
 والله ذو فضل وذو احسان
 خيراً صحيحاً عنده ذا شان
 قد مات وهو محقق الايمان
 عاها لأجل صلاة ذي القربان
 فيقول للملكين هل تدعان
 قال سنفعل ذاك بعد الآن
 حكيت لنا بثبوته القولان
 رحمان دعوة صادق الايقان
 إن كان أعطى ذاك من انسان

لكن رؤيته لموسى ليلة الـ
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم
ولذلك ظن معارضاً لصلاته
وأجيب عنه بأنه أسرى به
فراه ثم وفي الضريح وليس ذا
هذا ورد نبينا لسلام من
ما ذاك مختصاً به أيضاً كما
من زار قبر أخ له فأتى بتسـ
رد الاله عليه حقاً روحه
وحديث ذكر حياتهم بقبورهم
فانظر الى الاسناد تعرف حاله
هذا ونحن نقول هم أحياء لا
والترب تحتهم ووفوق رؤوسهم
مثل الذي قد قلتموه معاذنا
بل عند ربهموا تعالى مثلما
لكن حياتهموا أجل وحالهم
هذا وأما عرض أعمال العبا
وأتى به أثر فان صح الحديث
لكن هذا ليس مختصاً به
فعلى أبي الانسان يعرض سعيه
إن كان سعيماً صالحاً فرحوا به
أو كان سعيماً سيئاً حزنوا وقا
ولذا استعاذ من الصحابة من روى
يارب آني طائد من خزية
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة

سمراج فوق جميع ذي الأكوان
والقطع موجبه بلانكران
في قبره إذ ليس يجتمعان
ليراه ثم مشاهدأ بعيان
بتناقض إذ أمكن الوقتان
يأتي بتسليم مع الاحسان
قد قاله المبعوث بالقرآن
ليم عليه وهو ذو إيمان
حتى يرد عليه رد بيان
لما يصح وظاهر النكران
إن كنت ذا علم بهذا الشأن
كن عندنا كحياة ذي الابدان
وعن الشامل ثم عن إيمان
بالله من إفاك ومن بهتان
قد قال في الشهداء في القرآن
أعلى وأكمل عند ذي الاحسان
د عليه فهو الحق ذو امكان
ث به الحق ليس ذا نكران
أيضاً بأثار روين حسان
وعلى أقاربه مع الاخوان
واستبشروا يالذة الفرخان
لوا رب راجعه الى الاحسان
هذا الحديث عقيب بلسان
أخزى بها عند القريب الدان
المحبو بالفقران والرضوان

لكن هذا ذو اختصاص والذي
هذي نهايات لأقدام الورى
والحق فيه ليس تحمله عقو
ولجملهم بالروح مع أحكامها
فارض الذي رضى الاله لهم به
هل فى عقولهموا بأن الروح فى
وترد أوقات السلام عليه من
وكذلك ان زرت القبور مسلماً
فهموا يردون السلام عليك لا
هذا وأجواف الطيور الخصرمس
من ليس يحمل عقله هذا فلا
للروح شأن غير ذي الاجسام لا
وهو الذي حار الورى فيه فلم
وهذا وأمر فوق ذا لو قلته
فلذلك أمسكت العنان ولو أرى
هذا وقولي إنها مخلوقة
هذا وقولي إنها ليست كما
لا داخل فينا ولا هي خارج
والله لا الرحمن أثبتهم ولا
عطلتموا الأبدان من أرواحها

للمصطفى ما يعمل الثقلان
فى ذا المقام الضنك صعب الشان
ل بني الزمان لغلظة الازهان
وصفاتها للألف بالابدان
أتريد تنقض حكمة الديان
أعلى الرفيق مقيمة بجنان
اتباعه فى سائر الأزمان
ردت لهم أرواحهم للآن
كن لست تسمعه بذى الأذنان
سكنها لدى الجنات والرضوان
تظلمه وعذره على النكران
تمله شأن الروح أعجب شان
يعرفه غير الفرد فى الأزمان
بادرت بالانكار والعدوان
ذاك الرفيق جريت فى الميدان
وحدوثها المعلوم بالبرهان
قد قال أهل الأفك والبهتان
عنا كما قالوه فى الديان
أرواحكم يا مدعي العرفان
والعرش عطلتم من الرحمان

فصل

(قال العراق) الوهاية وتكفيرها الحالف بغير الله والناذر والذابح ، قاتل الله الوهاية إنها تتحرى في كل أمر أسباب تكفير المسلمين مما يثبت أن مهماً إلا كبر هو تكفيرهم لا غير ، فتراها تكفر من يتوسل الى الله تعالى بنبيه ﷺ ويستعين باستشفاعه الى الله تعالى على قضاء حوائجهم ، وهي لا تخلج إذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجاتها التي هي قهر المسلمين وحرهم وشق عصاهم والمروق عن طاعة أمير المؤمنين الذي أمر الله تعالى في كتابه المبين بلزوم طاعته كما بسطناه في مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الدين أولياء يستمد منهم في إحضار القوى التي تسعى بها الى الفساد وتلج بها في الغواية والعداء ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) حقاً للوهاية انها لا تدري ان أولئك الأولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقرونها ويهضمونها أيضاً مع من تبعه خصماً مخالفاً لمذهبها .

(فأقول إليه يا بن اللخنا) لقد - والله - علمتم أنكم لأنتم أخذان إخوان القردة والخنازير ، وإخوان عبدة الصليب أصحاب السعير ، وأنا لم ننزع اليهم ولم نستعن بهم في شيء من الأمور التي تزعمونها ، وأنا لم تتخذهم أولياء وقد علمتم انه ليس في ديارنا لهم علما ، ولا جعلنا في أوطاننا قناصل ، ولم نلتزم في ملتنا قوانينهم ونقدمها على شرع الله ورسوله ، ونحن نبرأ الى الله منهم ومنكم ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ولكن قد غلبت عليكم الفحمة والتظاهر بالكذب والعدوان لكي تطفئوا نور الله بأفواهكم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فانظر قاتلك الله يا عدو الله من قناصل أعداء الله ورسوله عنده ، ومن أعلامهم منصوبة في ديارهم ، ومن اليهود والنصارى والرافضة في جملة عساكرهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، وتدري من سعى

في الارض بالفساد ولج في الغواية والعناد وعام في بحر الضلالة وتدرع برداء الشرك والجهالة .

﴿ وأما قوله ﴾ من غير مرة إن ديدن الوهاية تكفير كافة المسلمين بكل أمر فهم تكفروهم لتوسلهم بجاه الانبياء والاولياء ونداهم (فأقول) أما تكفير عامة المسلمين فمن الكذب الواضح وقد بيناه غير مرة وأما التوسل بجاه الانبياء والاولياء فالوهاية لا يكفرون بمجرد التوسل بجاههم وأما دعاؤهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم والالتجاء اليهم فهو كفر مخرج عن الملة وقد قدمنا أدلة ذلك وكلام أهل العلم في ذلك .

﴿ وأما قوله ﴾ وتكفروهم بالحلف بغير الله (فأقول) وهذا أيضاً من الكذب على الوهاية والأوهام الوية .

﴿ وأما قوله ﴾ والنذر لذلك الغير والذبح له فسيأتي الكلام عليه قريباً .
﴿ وقوله ﴾ ولو سلمنا أن في بعض الاقوال التي تنسبها الوهاية الى المسلمين كفر أيصح أن يقال فيه إن قاتل هذا القول يكفر لما صح أن تكفر جميع الامة أو تكفر شخصاً معيناً قال ذلك القول فقد يكون القاتل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق أو لم تثبت عنده أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها أو يكون قد عرضت له شبهات يعذر الله تعالى فيها .

﴿ فأقول ﴾ الوهاية لا يكفرون إلا من كفر الله ورسوله وقامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ولا يلزم من تكفير من قام به الكفر وقامت عليه الحجة تكفير جميع المسلمين فان هذا من اللوازم الباطلة والاقوال الداحضة (وأما) تكفير الشخص المعين فلا مانع من تكفيره اذا صدر منه ما يوجب تكفيره فان عبادة الله وحده لا شريك له من الامور الضرورية المعلومة من دين الاسلام فمن بلغته دعوة الرسول وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة (وأما) الامور التي لا يكفر فاعلها حتى تقوم الحجة إنما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى دليلها (وأما) عباد القبور فهم عند السلف وأهل العلم يسمون الغالية لأن فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الانبياء والصالحين وعبادتهم .

فمسألة توحيد الله وإخلاص العبادة له لم ينازع في وجوبها أحد من أهل الإسلام لا أهل الأهواء ولا غيرهم وهي معلومة من الدين بالضرورة كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هي عليه عرف أن هذا زبدتها وحاصلها ، وسائر الأحكام تدور عليه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيراً قال : وهذا وإن كان في المقالات الخفية فقد يقال فيها إنه مخطئ . ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها لكن هذا يصدر منهم في أمور يعلمها الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم فإن هذا أظهر شرائع الإسلام ومثل إيجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي - قال وهذه ردة صريحة ، انتهى . فالشخص المعين إذا صدر منه ما يوجب كفره من الأمور التي هي من ضروريات الإسلام مثل عبادة غير الله سبحانه وتعالى فإن الله قد أقام الحجة بانزال كتبه وبعث رسله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهذا مما لا إشكال فيه .

(وأما قوله) فقد يقول القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق إلى آخره .

(فأقول) أما ما عدا الأمور الضرورية المعلومة من دين الإسلام فإنا لا نكفر من قال قولاً لم يبلغه النص في ذلك بتكفير من فعله لأن الشرائع لا تلزم إلا بعد البلوغ وكذلك من لم يثبت عنده النص أو قام لديه معارض من نص آخر أو وقعت له شبهة يعذر الله بها هذا مما لا إشكال فيه عند أهل العلم .

(وأما قول) هذا الجاهل المركب أو لم يتمكن من معرفتها وفهمها (فإنا) هي من عدم معرفته بالفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة فإن من بلغته دعوة

الرسول فقد قامت عليه الحجة ان كان على وجه يمكن معه العلم ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول فان فهم الحجة نوع آخر غير قيامها قال الله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) وقال تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) وقال تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه) الآية .

(وأما قوله) فالذي يؤمن بالله ورسوله فان الله قد يغفر له برحمته بعض الذنوب القولية والعملية .

(فأقول) هذا حق وذلك فيمن أتى ذنباً لا يخرج من الملة أو كان ذلك القول أو الفعل مما ليس بضروري في الدين كما تقدم بيانه وما من أشرك بالله في عبادته فقد قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأما من أتى بالشرك الا كبر فالله قد حرم عليه الجنة وماواه النار وانزعم أنه مؤمن بالله ورسوله وتلفظ بالشهادتين فان هذا لا ينفعه مع فعل الشرك المخرج من الملة كدعائه غير الله واستغاثته بمن سواه والاتجاء اليه وطلب الخوانج من الولائج فان هذا مناف لشهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وما نزل من الآيات في الوعيد على من اقترف ذنباً لا يخرج من الاسلام فهو تحت مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولا يكفر بهذه الذنوب الا الخوارج .

(وأما قوله) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين ما ملخصه ان أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى وعداوة من وجهين مختلفين وقد يكون فيه ايمان ونفاق وايمان وكفر ويكون أحدهما اليه أقرب من الآخر فيكون من أهله قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) .

(فاقول هذا حق) فقد يكون الشخص فيه ولاية لله تعالى وعداوة وذلك كمثل الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله ﷺ لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ، وكذلك كمثل الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به كان فيه خصلة من النفاق كمن اذا خاصم فجر واذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر وكذلك الكفر مع الايمان كقوله ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ومن حلف بغير الله فقد كفر الى غير ذلك من الأمور التي لا تخرج من الملة من الأقوال والأعمال وبالجملة فالقلب الذي لم يتمكن منه الايمان ولم يزهر فيه سراحه حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله رسوله بل فيه مادتان مادة منه ومادة من خلافه فتارة يكون للكفر أقرب منه للايمان وتارة يكون للايمان أقرب منه للكفر والحكم للغالب واليه يرجع فهذا وأمثاله لا يدخل في مسألة من صرف لغير الله نوعاً من العبادة فانا قد بينا فيما تقدم الأدلة على كفره من الكتاب والسنة وأقوال العلماء فالمغالطة بادخال هذه الأمور في مسألة عبادة غير الله سفسطة وتمويه ومزج للحق بالباطل فسحقاً وبعداً للقوم الظالمين .

(وأما قول العراقي) أما الحلف بغير الله فلا يخرج مرتكبه عن الاسلام الى آخر كلامه (فأقول) قد كان من المعلوم أن مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة ومن زعم أنا نكفر بهذه الأشياء كفرأخرجنا عن الملة فهو من أكذب خلق الله وأجرأهم على الفرية وقول الزور وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن من عظم مخلوقاً بالحلف تعظيماً كتعظيم الله فقد أشرك شركاً أكبر وقال لما عده من هذه الالفاظ ونحوها في شرح المدارج وقد يكون ذلك شركاً أكبر بحسب ما قام بقلب فاعله وحديث ابن عمر صريح في اطلاق الكفر والشرك بالحلف بغير الله فمن منع الاطلاق فهو مشاق لله ولرسوله ولكن ساق البخاري في صحيحه قول ابن عباس كفر دون كفر وشرك دون شرك وظلم دون ظلم .

(وأما قوله) من حلف بغير الله فقد كفر فقد حمله أئمة الحديث من شافعية

وحنفية وحنبلة ومالكية على أن المقصود به كفر النعمة (فأقول) هذا الحمل ضعيف جداً إذ ما من معصية وذنب يفعلها المكلف المختار إلا وفيه من كفر النعمة بحسبه والشكر هو استعمال النعمة في طاعة معطيها ومسديها مع محبته والرضا عنه والثناء بها عليه والشكر ضد الكفر فمن أدخل بشيء من الشكر ففيه من كفر النعمة بحسب ذلك فتحصل أن كفر النعمة لا يختص بما أطلق عليه الشارع الكفر من الأفعال فلا بد للنص من معنى يخصه وحكمة في تخصيص بعض الأفراد وهذا معلوم بالشرع والفطرة إذ تخصيص بعض أفراد الجنس من غير تخصيص يقتضي ذلك تحكم محض وترجيح بلا مرجح .

(وأما قوله) حتى إن أصحاب الشافعي قالوا بأنه مكروه تنزيهاً لا تحريماً فالخلف الذي قد اختلف فيه العلماء أنه مكروه أو حرام لا يجوز أن يقال في مرتكبه إنه كافر خارج عن الملة (فأقول) أما كونه مكروهاً كراهة تنزيه لا كراهة تحريم فهذا إما لا دليل عليه من الكتاب والسنة بل هو عرف حادث والكراهة في عرف الكتاب والسنة وقدماء العلماء تطلق على التحريم قال الله تعالى بعد ذكر المحرمات (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) وكما في الحديث « ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ، فلا عبرة بخلاف من خالف ما يقتضيه الكتاب والسنة بالإصلاح الحادث وأما دعوى أن ذلك يخرج عن الملة فقد بينا أنه من الكذب والبهتان .

فصل

(ثم قال العراقي) وأما النذر لغير الله فقد صرح الشيخ تقي الدين ابن تيمية وابن القيم وهما من أعظم من شدد فيه بعدم جوازه وكونه معصية لا أنه كفر وشرك مخرج عن الإسلام فلا يجوز الوفاء به ولو تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء كان خيراً له عند الله فلو كان الناذر لغير الله كافراً لما أمراه بالصدقة لأن الصدقة لا تقبل من الكافر بل أمراه بتجديد إسلامه .
(والجواب أن نقول) قد أجاب على هذه الشبهة شيخنا الشيخ عبد اللطيف

رحمه الله في رده شبهات داود ابن جرجيس فقال رحمه الله ، ليس في كلام الشيخ وكلام ابن القيم ما يدل على أن النذر الواقع من عباد القبور لمن يدعونه ويقصدونه لحوائجهم واغاثتهم في الشدائد ليس بشرك بل كلام الشيخ وابن القيم صريح في أنه نذر معصية واشراك بالله تعالى فكيف يسوقه وقد عده ابن القيم من أنواع الشرك الاكبر وقرنه بالتوكل على غير الله والعمل لغيره والاناة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره وقد تقدم ذلك فراجع كلامه في موضعه تعرف كذب هذا العراقي على الله وعلى رسوله وعلى أولى العلم من خلقه فرحم الله امرأً نظرت نفسه قبل أن تزل قدمه ويحال بينه وبين أهل العمل وكذلك الشيخ صرح بأنه معصية والمعصية تصدق بالشرك وغيره من الكبائر اذا أطلقت واستدلال المعترض بأنه لم يقل هذا ، هذا النذر كفر مخرج عن الملة فاطلاق المعصية كاف في المقصود وأيضاً فالكفر انما يطلق بعد قيام الحجة وقول العراقي فكيف يكفر من نذر لأحد الانبياء وقصده لوجه الله في هذه العبارة شيثان (الأول) استبعاده تكفير من نذر للانبياء وجعله ذلك دون النذر للشجرة والبقرة مع أن الفتنة بقبور المعظمين أشد بجنة من الشجر والبقاع وقد قال النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد » فالشرك بالانبياء والصالحين أخوف وأعظم فتنة كما هو معروف (والثاني) إضافة النذر لأحد الانبياء وقوله بعده وقصده لوجه الله فاذا كان النذر نفسه للانبياء والصالحين بطل قوله وقصده لوجه الله وانما يكون ذلك نذراً لله وحده وجعل الثواب لمن شاء من عباده ومسألة اهداء ثواب القرب الى الانبياء لا يخفى ما فيها من القول بالمنع على من له أدنى ممارسة والقصد هنا بيان تناقض العراقي وان كلامه يدفع بعضه بعضاً وقوله فان ذلك لا يضر بالاتفاق كذب ظاهر فان قول الشيخين إنه يصرف الى الفقراء دليل على أنه يضر اذا صدر منه لغير الله وانه مأمور بالتوبة وصرف ذلك الى الجهة المشروعة وقد صرف النبي ﷺ مال اللات في الجهاد والمصارف الشرعية التي يستعان بها على عبادة الله وحده لاشريك له والاستدلال بصرفها

في ذلك المصرف الشرعي على انها شرك وضلال أوجه من الاستدلال بذلك على أن النذر للاصنام ونحوها ليس بشرك .
(وأما قوله) فلو كان الناذر كافراً عندهما لم يأمره بالصدقة ، فان الصدقة لا تقبل من الكافر .

(فالجواب) من وجوه : (الاول) أنه اذا أقطع عن الذنب وصرف المال في مصرفه الشرعي فهذا رجوع عما كان عليه وتوبة منه ، (الثاني) انه لا يقال بالكفر مطلقاً لكل ناذر لغير الله حتى تقوم الحجة الرسالية ، واما ما نقله عن ابن القيم فقد صرح فيه بأنه نذر معصية واشراك ، وشبهة هذا العراقي انه لو كان شركاً مخرجاً عن الملة لما جاز صرفه للفقراء .

(فالعراقي) لم يفرق بين النذر والمنذور ، فكون النذر شركاً لا يمنع الاتقاء بالمنذور في الجهة الشرعية كما تقدم من فعله عليه السلام بمال اللات (الوجه الثالث) أن الذي يصرفه في المصارف الشرعية ولأهله ، وأهل العلم ، وليس المقصود أن يصرفه الناذر نفسه ، فان هذا لا يعتبر بل يرد إلى المشروع قسراً ويعامل بنقيض قصده وكلام الشيخ وأمثاله من أهل العلم ليس حجة مستقلة بل الحجة فيما يساق من الأدلة وقد تقدم أن القصد هنا بيان جهله بكلام الشيخ والكشف عن تحريف هذا العراقي لما نقله عن الشيخين ، وإلا فالمرجع إلى أدلة الكتاب والسنة قال الله تعالى (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) ، وقال تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) فوصف خواص عباده بالوفاء بالنذر وأثنى عليهم بذلك ، وفي الآية الاخرى الوعد بالاثابة والجزاء فثبت أنه عبادة يحبها الرب ويرضاها ، أي الوفاء به وما كان كذلك فيجب اخلاصه لله ، لأن صرف العبادة لغير الله شرك .

وفي حديث عليّ عليه السلام لعن الله من ذبح لغير الله ، وهذا العراقي وأمثاله من القبورين دفعوا في صدر النصوص ورودها بشبهات وهذيان لا يصدر عن بعقل ما يقول ، وفي آخر العبارة التي نقلها العراقي عن شيخ الاسلام ابن تيمية « وهذا الحكم العام في قبر نفيسة ومن هو أكبر من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة

والزبير وغيرهما بالبصرة ، وفي سلبيان وغيره بالعراق ، (قلت) وفيها بيان تدليس العراقي وأنه أسقطها ليروج قوله : فكيف يكفر من نذر لأحد الأنبياء والصالحين الى أن قال الشيخ « فيعتقدون أنها باب الحوائج الى الله وأنها تكشف الضر أو تفتح الرزق أو تحفظ مصر فان هذا كافر مشرك يجب قتله وكذلك من اعتقد ذلك في غيرها كائناً من كان (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً - قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) والقرآن من أوله الى آخره بل وجميع الكتب والرسل انما بعثوا بأن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن لا يجعل مع الله إلهاً آخر والاله من يأله القلب عبادة واستعانة واجلالاً واكراماً وخوفاً ورجاء كما هو حال المشركين في آلهتهم ، وان اعتقد المشرك أن ما يأله مخلوق ومصنوع كما كان المشركون يقولون في تليبتهم : لبيك لا شريك لك ، لا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وقال النبي ﷺ الحصين الخزاعي « يا حصين كم تعبد ، قال : أعبد سبعة آلهة ستة في الأرض وواحد في السماء » قال « فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » قال الذي في السماء ، قال : يا حصين فاسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، فلما أسلم قال « قل اللهم ألهمني رشدى وقتي شر نفسي ، والله أعلم ، انتهى .

(قلت) فانظر الى تصريح الشيخ ان من اعتقد في مخلوق أنه باب الحوائج الى الله يعني واسطة في الحوائج أو أنه يكشف الضر أو يفتح الرزق أو يحفظ مصر أنه كافر مشرك يجب قتله وهذا بعينه هو معتقد عباد القبور الناذرين للوقى المستغيثين بهم وهو طريقة العراقي ومذهبه الذي نصره وقرره واستظهره وزعم أنه لا يضر الا اذا اعتقد الاستقلال بغير الله كما مرّ عنه في غير موضع وسيأتيك هذا القيد فيما يأتي من كلامه في مواضع متعددة ، والشيخ قد رد عليه في هذا وأبطل هذا الشرط بقوله ، وان اعتقد المشرك ان ما يأله مخلوق مصنوع وساق ما يقوله المشركون في تليبتهم وساق حديث حصين وهذا لأن الآيات

القرآنية دالة على تكفير هذا النوع ، أعنى من اتخذ الشفعاء والوسائط وقصدهم في حاجاته وملاباته كما كان يفعله المشركون مع آلهتهم فكل هذا أعمى الله بصيرة العراقي عنه (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

قال الشيخ صنع الله الحلبي نزيل مكة ، وأما كونهم جوتزوا الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيها الأجر فيقال هذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان وفلان فهو لغير الله فيكون باطلاً وفي التنزيل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) والحديث « لا نذر إلا فيما يتغى به وجه الله ، متفق عليه . وورد أن من حلف بغير الله فقد أشرك ، رواه الحاكم وغيره ونحو النذر لغير الله الذبح وفي التنزيل (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) الآية أى إن صلاتى وذبحى لله كما به نظير قوله تعالى (فصل لربك وانحر) الآية وفي الحديث « لا نذر فى معصية الله » رواه أبو داود وغيره والنذر لغير الله إشراك مع الله فلا أكبر من معصيته وفي التنزيل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) الآية . فالنذر لغير الله كالذبح لغيره .

وقال الفقهاء خمسة لغير الله شرك ، الركوع والسجود والذبح والنذر واليمين ومن ذكر غير اسم على ذبيحته فهى ميتة يحرم أكلها ولو أشرك مع اسمه أحداً كقوله باسم الله ومحمد ﷺ أو العطف فكذا تحرم ذبيحته وكذا لو ترك اسم الله عمداً على الذبيحة لا تؤكل عندنا فهى ميتة بصريح قوله جل ذكره (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) فترك المؤمن ذكر الله عمداً كذكر غيره . نعم لو قال هذا النذر لله يذبح فى مكان كذا ويصرف على جماعة فلان أو على رباط فلان فلا بأس به كما فى الوقف على فلان وفلان فان قوله لله ملك له وتصرف غلته على من عينه الواقف وكذا هنا . والحاصل أن النذر لغير الله نجور فمن أين لهم الأجر ، وكذا الذبائح ومن قال إن هذا النذر لفلان وهذه الذبيحة لفلان فهو من العصيان ، ومن نذر لله ذبائحاً أو غيره وقال يذبح بمكان كذا ويأكله قوم جاز والله الهادى .

قلت : وإذا نذر لله وجعل مصرفه على السدنة والمجاورين عند القبور فهو

نذر معصية لا يجوز صرفه في القرب الشرعية كاللحاج والمعتكفين في المساجد وقد ذكر هذا غير واحد والمنع منه لما فيه من الاعانة على العكوف عند القبور الذي هو من أكبر الوسائل والذرائع إلى عبادتها أو دعائها قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وفي الحديث : أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة قبل اسلامه ، فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ عن نذره ، فقال : هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية ؟ قال : لا ، قال : هل كان بها عيد من أعياد الجاهلية ؟ قال : لا ، قال : فأوف بنذرك . ففيه المنع من عبادة الله في أما كن الشرك وعبادة غيره المشابهة الصورية ، وإن لم تقصد فكيف بالذرائع والوسائل القرينة المفضية إلى عين الشرك ، ونفس المحذور إلا كبر فقف وتأمل ان كان لك بصيرة تدرك بها أسرار الشريعة ، انتهى .

(وأما قوله) وأما الذبح فقد ذكره ابن القيم في المحرمات لا في المكفرات إلا إذا ذبح لما عبد من دون الله وكذلك أهل العلم ذكروا أنه مما أهل به لغير الله ولم يكفروا صاحبه .

(فالجواب أن نقول) ما ذكره في كتاب الكبائر من الذبح لغير الله وجعله من المحرم فنعيم هو محرم قال تعالى (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً - إلى قوله - لعلمكم تتقون) فجعل هذا كله محرماً . هذا عرف القرآن والسنة والشرع ، والعراقى لجهله وسوء قصده يحمل كلام أهل العلم على العرف النبوى الحادث واصطلاح العامة فقاتل الله الجهل والهوى ، فما أغلظهما حجاباً بين العبد والهدى .

قال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم : وأيضاً فإن قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) ظاهره ما ذبح لغير الله سواء لفظ فيه به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم ، وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله أذكر مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فوائح الأمور ،

والعبادة لغير الله أعظم كفرآ من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه لحرم ، ولو قال فيه بسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن ، انتهى كلام الشيخ . فأخذ هؤلاء المعارضون السطر الأخير من كلامه أو بعض السطر ، وأخذ المشبه وترك المشبه به لأن في الأول التصريح بردة من ذبح لغير الله ، وأن الذبح للجن مانع آخر لأنه مما أهل به لغير الله ، وقوله في العبارة فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فوائح الأمور ، والعبادة لغير الله أعظم كفرآ من الاستعانة بغير الله فتركوا هذا وسرقوا بعض العبارة واختلسوا منها كاختلاس الشيطان من صلاة العبد واختطافه بعضها ، وفي العبارة التصريح بكفر من استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله خلافاً للعراق وشيعته من عباد القبور الصادين عن سبيل الله المحرفين للكلم عن مواضعه ، الوارثين لليهود في تحريف كلمات الله وتبديل دينه .

وقال صاحب الروض من كتب الشافعية ، إذا ذبح المسلم للنبي ﷺ كفر . نقله شيخنا رحمه الله وذكره غير واحد من المفسرين في الكلام على (وما أهل لغير الله به) ونقل بعضهم عن فقهاء بخارى أنهم أفوا بتحريم ما عقر بين يدي الملوك تعظيماً لهم لأنه مما أهل لغير الله به . قال العلامة الشوكاني . قال بعض أهل العلم ، إن أراقة دماء الانعام عبادة لأنها إما هدى أو أضحية أو نسك وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب حلال فإنه عبادة ويتحصل من ذلك شكل وضعى هو أراقة دم الانعام عبادة وكل عبادة لا تكون إلا لله ، فأراقة دم الانعام لا تكون إلا لله ، ودليل الكبرى قوله تعالى (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . وإياى فاعبدون . إياك نعبد . وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) انتهى . ويكفى المؤمن في هذا الباب قوله تعالى (قل إن صلاتى ، ونسكى ، ومحياى ، ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) وقوله تعالى (إنا أعطيناك

الكوثر ، فصل لربك وانحر) وقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ،
ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ،
وبشر المحسنين) فان الاحسان أعلى مراتب الايمان ، ودخول العبادة فيه لأن
السياق لها ظاهر لا يخفى .

« وفي المسند عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال « دخل الجنة
رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟
قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب اليه شيئاً ، فقالوا
لأحدهما : قرب ، قال ما عندى شيء أقرب ، قالوا : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً
نفلوا سبيله فدخل النار ، فقالوا للآخر : قرب ، قال ما كنت أقرب لأحد
دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة ، فقف على هذا وتأمل حكمة
الشريعة وسرها في اخلاص العبادة والتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله ولو بأحق
شيء كالذباب فكيف بكرائم الأموال والله المستعان ، انتهى .

ثم ان من العجب استدلال هذا الملحد بكلام ابن القيم رحمه الله تعالى في
هذا الموضع وفي غيره بما تقدم .

وهذا الملحد قد ذكر فيما تقدم من قوله : والوهابية قد خبطت كل الخبط
في تنزيهه تعالى حيث أثبت إلا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ،
واستقراراً وعلواً فوقه ، وأثبتت له الوجه واليدين ، وبعضته سبحانه فجعلته
ماسكاً بالسموات على أصبع ، والأرض على أصبع ، والشجر على أصبع ،
والملك على أصبع ، ثم أثبتت له الجهة فقالت : هو فوق السموات ثابت على
العرش يشار اليه بالأصابع إلى فوق إشارة حسية ، وينزل إلى السماء الدنيا
ويصعد . وقد علمت أن نقي هذا وجده هو مذهب الجهمية ، وقد قال ابن القيم
رحمه الله تعالى .

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
والللكا في الامام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني
فذكر رحمه الله كفرهم عن خمسمائة عالم . وقال شيخ الاسلام لما ذكر أهل

الأهواء قيل لابن المبارك فالجهمية قال : ليست من أمة محمد ﷺ ، فطائفة هذا الملحد عند شيخ الاسلام وابن القيم هم من أكفر خلق الله وأبعدهم عن سواء السبيل .

قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الشافي : الشرك شركان ، شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، والشرك الاول نوعان : أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال : وما رب العالمين ، وقال تعالى مخبراً عنه (ياهايمان ابن لي صرحاً لعلني اطلع الى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) فالشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل ، بل قد يكون المشرك مقرباً للخالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ، وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام : تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد .

والمقصود أن هذا العراقي اجتمع فيه من الكفر تعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته فزعم أن الله تعالى ليس على السموات على عرشه ، ولا هو فوقه ، ولا يشار اليه الى فوق ، بل زعم انما ورد من الاشارة اليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء وأن السماء مظهر قدرته ، وأنكر عروج النبي ﷺ الى السماء حين أسرى به ، فقال وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات ، وأنكر رؤية الله تعالى في الآخرة ، وأنكر أحاديث النزول ، وذكر أن من قال أن الله ينزل الى السماء الدنيا كل آخر ليلة ، فقد زعم أن الله جسم . وأن الله منزّه عن ذلك ، فعطل الله من أوصافه وأفعاله المقدسة وأضاف الى هذا الكفر الشرك في معاملته سبحانه باجازه الاستغاثه بغير الله والاستشفاع به ، والاتجاء اليه ، وأن النذر والذبح لغير الله ليس بشرك اذا اعتقد أن الله هو الخالق المتفرد بالايجاد ، وأنه هو

المؤثر لا غيره ، ومع هذا كله يستدل بكلام شيخ الاسلام وابن القيم وهما يكفرا به وهو يعلم ذلك ولكنه أراد التلبس على خفافيش الابصار أن شيخ الاسلام وابن القيم لا يكفران من نذر لغير الله ، أو ذبح لغير الله . والمقصود بيان ضلاله وخروجه عن الصراط المستقيم ، واتباعه غير سبيل المؤمنين ، وأنه ممن نكب عن الصراط المستقيم ، ودخل في جملة أصحاب الجحيم .

فصل

(ثم اعلم) أيها الواقف على هذا الكتاب ، والتناظر في هذا الجواب انا قد حررنا فيما مضى شيئاً يسيراً على ما افتراه هذا العراقى على الوهاية من الكذب والزور ، والافك والفجور ، بزعمه أنهم نزعوا إلى الدولة الأجنبية يعنى الانقليز النصارى ، وأنهم استعانوا بهم كما ذكره في مقدمة رسالته وفي آخرها ، قال

« فتراها تكفر من يتوسل الى الله تعالى بنيه ﷺ ويستعين باسنشفاعه الى الله تعالى على قضاء حوائجه وهى لا تخلل إذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجتها التى هى قهر المسلمين وحرهم ؛ وشق عصام ، والمروق عن طاعة أمير المؤمنين الذى أمر الله تعالى فى كتابه الميين بلزوم طاعته كما بسطناه فى مقدمات الرسالة ، وتتخذ أعداء الدين أولياء تستمد منهم فى احضار القوى التى تسعى بها إلى الفساد ، وتلج بها فى الغواية والعناد ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سحفاً للوهاية إنها لا تدرى أن أولئك الاولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقهرونها ويهضمونها أيضاً مع من تعده خصماً مخالفاً لمذهبها » هذا قول هذا الملحد بحروفه وجميع ما ذكره من الكذب الفاضح والافك الواضح على الوهاية بل هؤلاء الذين يزعم أنهم المسلمون قد ظهر مكنون ما لديهم ومحصل ما انطوت عليه ضمائرهم من الميل الى أعداء الله وأعداء رسوله ودينه وهذا الملحد المفترى من جملتهم ومن أنصارهم وأعوانهم ، فانه قد كذب على الوهاية ورماه بما هو

وحزبه أهله لا أهل الاسلام فقد أ كذبه الله ونكسه على رأسه وعاذ فجوره عليه وعلى من قام في نصرته بما أظهروه واجتمعوا عليه من الدستور ، وما أعلتوه من الكفر والفجور ، سنة ١٣٢٦ لست وعشرين بعد الثلاثمائة والالف فصرحوا فيه انها عيسوية موسوية عثمانية عرية وأن كل هذه الطوائف المتباينة في أديانها تكون اخوانا وانها تجتمع على حرب من خرج عن حكم هذا الدستور ، ونصبوا في كل الاماكن من ديارهم مدارس يعلمون الناس دين النصرانية وجعلوا قاضياً عاماً من الاقليز الكفار يحكم بين الناس لأنه بزعمهم أعلم بالسياسات يكون ذلك القاضي بمصر فتبين بهذا أنهم هم الذين نزعوا اليهم واتخذوا أعداء الدين أولياء واخواناً وانهم هم الذين سعوا بهذا الى الفساد ، وولجوا به في الغواية والعناد .

قال الله تعالى : • ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ، الآية .

وأنتهم هم الذين مرقوا عن طاعة أميرهم وسلطانهم حتى عزلوه وجعلوا الامر شورى بين من نزع الى أعداء الله ورسوله واتخذوهم أولياء وجعلوهم اخواناً واخذاناً ، فما حكم به هذا الملحد في مقدمات رسالته من مروق الوهاية بزعمه عاد عليه وعلى اخوانه ، فهلا نصح هذا العراقي نفسه ورجع اليها باللوم والعتاب ، وترك أهل الاسلام المتمسكين بحكم السنة والكتاب الذين باينوا أعداء الله ورسوله من جميع الطوائف ولم يدخلوا تحت أوامرهم ، ولا أخذوا بقوانينهم ولم يبنذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم كما فعله أعداء الله ورسوله وقد كان من المعلوم والمتقرر المفهوم ان ما حكاه عن الوهاية من نزوعهم الى الدولة الاجنبية انه من الكذب الظاهر وانه هو وأشياعه هم الذين نزعوا اليهم وحكموا قوانينهم فبعداً للقوم الظالمين .

وهذا كتاب الله ينادى بكفر من اتخذهم أولياء ، قال الله تعالى : • يا أيها

الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولم
منكم فإنه منهم ، ، الآية .

وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين
وإذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون . الى غير
ذلك من الآيات وهذا لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ودين وقد وضع
الحق واستبان وما بعد الحق إلا الضلال .

والحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدي لولا أن يرسل الله المبعوثين
الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وانبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيد
المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن
تبعهم باحسان الى يوم الدين . وقد فرض على جواب جميل رجل يقال له
عبد الصمد بن احمد النساك وهذا جواب على تقريره ومن الله استمد الصواب .

وكل كفور من ذوي الغي مارق	ألا قل لأهل الجهل من كل مأزق
ولا بسديد يرتضى في الحقائق	كلام جميل لا جميل فينتقى
أكاذيب لا تعزى الى نقل صادق	على أنه هبط وخرط ملفق
ومرتضياً ما قد أتى من شقاشق	أتى فيه بالكفر الصريح مجاهراً
وأعلى به سبل الردى بالخارق	لعمري لقد أوهى به مبيع الهدى
وشاد من الكفران أخنع زاهق	وهده به ركناً من الدين شامخاً
وكفراً وتمطيلاً لب الخلائق	كتاب حوى إفكاً وزوراً ومنكراً
وعن كونه من فوق سبع الطرائق	فمطل أوصاف الكمال لبنا
بذات رسول الله سبحانه مارق	وأنكر معراج الرسول حقيقة
عن جاء بالوحيين أصدق صادق	وأوله تأويل من ليس مؤمناً
فتباً له تبا وسحقاً لمازق	وأنكر رؤيا المؤمنين لهم

وسمى كتاب الله والسنن التي
ظواهر لا تبدي يقيناً لأنها
فلا يستفيد المؤمنون بها الهدى
فإن خالفت معقول من أسسوا لهم
حق على كل امرئ بل وواجب
وتصرف للمرجوح عن حكم راجح
وإلا فبالتفويض حتماً لديهموا
وتفويضهم إبطالها عن حقائق
فلا عالماً بالعلم فيما لديهموا
ولا قادراً ذو قدرة فصافته
فليست معانيها بأسماء ربنا
وقدم حكم العقل حتماً بزعمه
لأن لديهم إنما العقل أصله
فتباً لمن يبدى ثناء ومدحة
فما كان جراً صادقاً في ظهوره
ووالله ما أبدى صواباً ولم يكن
وليس يروق الكفر إلا لوائغ
وجوز أن يدعى سوى الله بالرجا
وأن يستغيث المشركون بغيره
فتباً لعباد القبور الذين هم
فقد نبذوا الوحيين خلف ظهورهم
وقد أحكموا عقد الاخوة بينهم
وقد أحكم الله العداوة بيننا
وآراؤهم لم تقض إلا اخوة
وطابوا علينا باتباع نبينا

أنت عن رسول الله أذكرى الخلائق
على زعمه ظنية في الحقائق
ولكن بمقولات أهل الشقاشق
قواعد كفر شائعات الشواهد
تؤول عن مدلوها بالمخارق
لأجل مقالات الفواة الموارق
إذا لم تؤول في خلاف الحقائق
تدل عليها بالمعاني الشقاشق
ولا راحماً ذو رحمة بالخلائق
تؤول عن وصف لها بالخلائق
بمشتقة ذا قول كل مشاقق
على النقل فيما قد رأى كل مارق
وهذا افتراء من جهول ممازق
لتأليفه أو ما حوى من شقاشق
ولكنه جران يبدو لرامق
على المنهج الأسنى وليس برائق
عن الحق أو مستغرق بالعوائق
وبالظوف والتعظيم فعل المشاقق
وان يلجئوا في كل خطب مضائق
حماة ذوى الاهواء من كل مارق
وقد حكموا القانون بين الخلائق
وبين النصارى واليهود الموارق
وبين ذوى الكفران أهل الشقاشق
وصلحاً وتوفيقاً بمحض التطابق
وقد تبموا أحكام كل منافق

وقد زعموا انا وهم أهل خلة	لأهل الكتاب المارقين السوابق
ونحن براء من ذوى الكفر جملة	فلسنا وایام بحکم التوافق
ونحن على دين النبي محمد	ونكفر بالطاغوت دين المشايق
ونرمي عداء الدين من كل مارق	وكل جهول ماذق بالجلالاق
ودونك من هذا الضياء شوارقا	توضح منهاجا لاهدى الطرائق
وتنشر أعلام الهدى مستنيرة	وتمحق أهل الكفر من كل مارق
وتصعقهم صعقا فينثل عرشهم	وتهدم من أركانهم كل شاهق
وذاك يقال الله قال رسوله	وما قاله الاصحاب أهل السوابق
وأتباعهم والتابعون ومن على	طريقتهم من كل حبر موافق
وصل على المعصوم ربي واله	وأصحابه أهل النهى والحقائق
وتابعهم والتابعين لنهجم	على السنن المحمود من كل لاحق



تم بحمد الله

تقريظ الشيخ محمد بن حسين الانصاري

طائر السعد بالتهاني أتاني
 أن بدا طالع الزمان بحبر
 معلوم بها لقد أغم الخصب
 أعنى حبر الانام قدوة نجد
 فسلیمان جل قدراً وفضلاً
 سالم العرض والشمال والاخ
 قامع الملاحين منه بوعظ
 بلسان كوابل الغيث في الس
 يفهم الخصب بالدليل وإلا
 يطلب الحق والرشاد إلى الح
 دام في العز والسعادة والمج
 في أمان الاله يرعى ويحظى
 مع عبد العزيز آل سعود
 جاهداً في الاله حق جهاد
 شاهر السيف والسنان على من
 ناصر الدين تابع الحق أضحي
 دام يرقى إلى المعالي بسعد
 قامع الابتداع من كل قطر
 ما تغنت بلابل الايك تشدو
 أو حدا بالقريض نجل حسين
 بسرور مبشراً بالأمان
 ثابت الجأش ماله من ثاني
 سم وفيها قد قام بالبرهان
 ذا سليمان عالي البنيان
 وعلوماً تسمو مدى الملوان
 ملاق مما يشين في كل آن
 ويكتب تحال مثل السنان
 لم وسيف في حلبة الميدان
 فبعضب يرى كسيف يعاني
 ق له ديدن على كل شاني
 بد بنصر وخصمه في الهوان
 بالذي يرتجى ونيل الأمان
 نجل عبد الرحمن فخر الزمان
 بسنان وساعد وجنان
 قد غدا ملحداً وذا عدوان
 ثابت الجأش كامل الايمان
 وبنصر علا على رغم شاني
 منجم القرن قائم البرهان
 وتلتها حمام الاغصان
 بو خليل في الهند سيف يمان

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٣
منشأ دعوة الشيخ محمد رحمه الله	٤
حالة البلاد الاسلامية في عصر الشيخ	٨
حقيقة عقيدة الشيخ	١٤
تعيين اعدائه وإياه بسكناء بلاد مسيلمه	١٧
الرؤساء الذين ناووا الدعوة	١٩
رجوع سليمان بن عبد الوهاب أخى الشيخ عن مذهبه المعادي للشيخ	٢٢
بعض مفتريات أعداء الشيخ عليه	٢٩
الشيخ لا يكفر الا من كفره الله ورسوله	٣٣
حرب الدولة التركية ومحمد علي لأهل نجد	٤١
يمنع الشيخ زيارة قبر الرسول ﷺ	٤٨
أتباع الشيخ يبرأون من رأى الخوارج	٤٩
أمور بدعية أنكرها الشيخ	٥٦
الدولة السعودية في العهد الحاضر	٥٨
تجديد الشيخ محمد للعقيدة الاسلامية ، وحقيقة دعوته	٦٩
إثبات صفات الباري جلّ وعلا كالأستواء	٧٩
الاعتماد على المنقول في أمور الدين	٩٢
بعض مفتريات منسوبة الى أهل التوحيد	٩٣
اثبات الصفات امس تجسيدا بل هو مذهب السلف	٩٦
الأستواء على العرش	١٠٠
الفاظ مبتدعة لم ترد عن السلف نفياً ولا اثباتاً	١١١
رؤية الله سبحانه وعلوه	١٢٠
الكلام على العرش	١٢٨

(ب)

الموضوع	صفحة
مذهب السلف في اثبات الصفات	١٣٠
نبذ العقل إذا خالف النقل الصحيح	١٤٠
تعارض العقل والنقل	١٤٤
بطلان تأويل آيات الصفات وأحاديثها	١٥٣
أتباع الشيخ محمد لا ينفون الاجماع	١٥٧
اتباع الشيخ محمد لا يمنعون التقليد ولا القياس	١٦٠
» » لا يكفرون المقلد	١٦٤
مذهب السلف تكفير من قام به الكفر من أهل الاهواء	١٧٢
تناقض الزهاوي فيما ينسبه الى اتباع الشيخ	١٧٦
حكم الاستغائة والتوسل	١٧٩
شرك عياد القبور كشرك الاولين	١٨٤
الشرك وأنواعه	١٩٠
تعريف الاستغائة	٢٠٠
الاستغائة الشركية	٢١٠
يجوز الاستغائة لبسوا من العلماء	٢١٦
استدلال الزهاوي بأدلة في غير محلها	٢٢١
معنى (وابتغوا اليه الوسيلة)	٢٢١
آية (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة)	٢٢٥
آية (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك)	٢٢٩
آية (فاستغاثه الذي من شيعته)	٢٣٣
معنى آية (لا يملكون الشفاعة)	٢٣٦
حديث « أسألك بحق السائلين عليك »	٢٤٠
» الضرير الذي أتى الرسول ليدعوه له	٢٤٢
» مجيء بلال بن الحارث الى قبر الرسول ﷺ	٢٤٨
» استسقاء عمر بالعباس	٤٩٢

(ج)

الموضوع	صفحة
الفرق بين التوسل بالاموات والاحياء	٢٥٠
دعاء الاموات شرك	٢٥٤
قصة هاجر لا تدل على الاستغاثه بغير الله	٢٥٨
استغاثه الخلق بالنبي ﷺ يوم القيامة	٢٥٩
حديث « اذا أضل أحدكم شيئاً ، لا يصح دليلاً	٢٦١
عقيدة اتباع الشيخ	٢٦٨
زيارة القبور وحكمها وحكمتها	٢٦٩
عباد القبور وما ذكره العلماء عنهم	٢٧٧
حكم شد الرحال الى المشاهد والقبور	٢٨٠
كلام ابن القيم في التوبة عن حياة الانبياء	٢٨٦
الحلف بغير الله ، والنذر والذبح لغيره	٢٩٣
النزوع الى الدول الاجنبية غير المسلمة	٣٠٧
خاتمة الكتاب وتقريره نظماً للمؤلف وللشيخ محمد بن حسين الانصاري	٣٠٩

كتاب الضياء الشارق

في رد شبهات المازق المارق

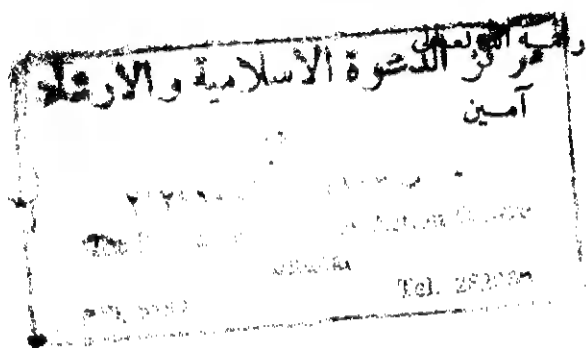


تأليف

العالم العامل ، والأستاذ الفاضل

الشيخ - إمامه بن سحمانه

من علماء نجد الأشعلام



رئاسة إدارة البحوث العلمية والأفكار والحرية والريادة